
KÖPRÜLÜ KÜT.
171
M. ASIM BY.







عصيدة الشهده
شرح قصيدة البرده

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى ملأ قلوب الشاعرين بحكمته * وزين نفوس العاشقين بوصلته * والصلاة على محمد الذى مدحه الواصفون بالقصائد والاشعار * وعجزوا عن بيانه واعترفوا بالاقرار * وعلى آله الذين هم اهل الهدى والاقتدا * واصحابه الذين من اقتدى بهم اهتدى * و بعد فيقول العبد العليل * والفقير الكليل * عمر بن احمد الخربوتى * اكرمهما الله تعالى فى الاولى والاتى * لما بدأت بقراءة القصيدة البردة المباركة فى سنة احدى واربعين بعد المائتين والالف من الهجرة على مولانا العلامه * واولانا الفهامه * ذى القلب السديد * والرأى الشديد * العاشق لجمال رسول الله * الصادق فى حب نبى الله * استاذنا محمد بن عبد الله القيصرى * سمى نبى الله الملك القوى * جعله الله تعالى لنا آية تامه * ورحمة عامه * ونفعنا بظل وجوده * ورفعنا بايادى جوده * ووجدت تقريراته بهذه القصيدة الرائقة * منظومة كنظم اللآلى الفائقة * أردت ان اجمعها بلا نقصان * مع ازديادمنى من القواعد والبيان * مع عجزى وعدم استطاعتى فى هذا الميدان * بل وجب ان يقال لمثلى فى هذا الشان * تنكب لا يقطرك الزحام * ولكن تشبثت باذيال همم علماء هذا العام * لانهم كالاعلام بين الانام * ومعينوا الاسلام * مستعينا من الملك اللطيف الجميل * وهو المعين فى كل امر جليل * فجاء بحمد الله تعالى كتابا مطلوبا وشرحا مرغوبا * وسميته بعصيدة الشهدة * شرح قصيدة البردة * فشرعت بعون الله الملك العظيم * والطف ربنا الرحيم الكريم * فقلت يجب اولا نقل بعض احوال الناظم * وسبب تاليف

هذه القصيدة المشتملة على مدائح النبى ابى القاسم * و بيان الشروط المبينة فى قرآتها * والوجوه المذكورة فى تسميتها * و بيان بعض تأثيراتها * ليرغب الناس فى تعظيماتها * (اعلم) ان الناظم الفاهم رحمه الله كان ساكنا بمصر واسمه محمد البوصيرى نسبة الى بوصير قرية من قرى مصر وكان قدس الله سره عالما بالعلوم العربية * فصيحا فى غاية الفصاحة * و بليغا فى نهاية البلاغة * بل لا يوجد له مثل ولا نظير * فى الفصاحة والبلاغة فى الجم الغفير * وكان قدس سره فى بداية عمره من مقربات السلاطين * وكان مقبولا عندهم * ومرغوبا فيما بينهم * وكان يصفهم بالابيات والاشعار الفصيحة * و يمدحهم بالاوصاف الفظيعة * وكان قد جاء يوما من عند احد السلاطين الى بيته فدخل السكة فصادف شيخا صالحا * فقال الشيخ له أنت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فى المنام * قال البوصيرى انى لم ار النبى فى تلك الليلة لكن امتلأ قلبى من ذلك الكلام بعشقه ومحبته عليه السلام * فجئت الى بيتى فنمت فاذا انا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاصحاب كالشمس بين النجوم * فانتبهت وقد ملئ قلبى بالمحبة والسرور * ولم يفارق بعد ذلك من قلبى محبة ذلك النور * وانشدت فى مدحه قصائد كثيرة كالمضرية والهمزية * ثم قال الامام اصابنى خلط فالج فابطل نصفى وقطعنى عن الحركة * ففكرت ان اعمل قصيدة مشتملة على مدائح النبى صلى الله عليه وسلم واستشفى بها من الله تعالى فانشدت هذه القصيدة ونمت فرأيت النبى عليه الصلاة والسلام فى المنام * فقرأت عليه عليه السلام هذه القصيدة على التمام * فمسح بيده الكريمة على اعضائى الحقيرة فقمت من المنام * ملابسا بالعافية من الالام * فخرجت من بيتى غدوة فلقينى الشيخ ابو الرجاء الصديق لى * فقال لى ياسيدى هات قصيدتك التى مدحت بها النبى عليه السلام والحال انى لم اكن اعلمت بها احدا من الناس فقلت اى قصيدة تريد فانى مدحته عليه السلام بقصائد كثيرة فقال هى التى اولها

امن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

فقلت من اين حفظتها يا ابا الرجا * وما قرأتها على احد ممن الى جا * قال لقد سمعتها البارحة تنشدها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل ويتحرك استحسانا كتحرك الاغصان المثمرة بهبوب نسيم الرياح فاعطيته اياها فنشر الخبر بين الناس (ثم اعلم) انه يلزم فى قرآتها على الوجه المرضى شروط لتكون مؤثرة فيما قرئت له اولها التوضى وثانيها استقبال القبلة وثالثها الدقة فى تصحيح الفاظها واعرابها ورابعها كون القارى عالما بمعانيها لان الدعوات لو لم يكن القارى عالما بمعانيها لا يكون فيها تأثيرات كما اشار اليه على القارى فى مقدمة حزبه الاعظم بقوله فعليك بحفظ مبانيه والتأمل فى معانيه وخامسها قراءتها بالنظم لانها وردت منظومة لا منثورة وسادسها حفظها وسابعها ان يكون القارى مأذونا بقرآتها من اهلها وثامنها قرآتها مع التصلية على النبى عليه السلام لكن يلزم ان تكون التصلية بالصلاة التى صلى بها الامام

البوصرى وهى

مولاى صل وسلم دائما ابدا * على حبيبك خير الخلق كلهم

لا بغيرها والا فلا تكون مؤثرة كما روى ان الامام الغزنوى كان يقرأ هذه القصيدة فى كل ليلة ليرى النبى عليه السلام فى منامه ولم توفق له الرؤيا فشكا ذلك الى شيخ كامل وسأل عن سره فقال الشيخ لعلك لا تراعى شرائطها فقال لا بل اراعيها فراقب الشيخ فقال بعدها وقفت على سره وهو انك لا تصلى بالصلاة التى صلى بها الامام البوصرى اذ هو يصلى عليه عليه السلام بقوله

مولاى صل وسلم دائما ابدا * على حبيبك خير الخلق كلهم

وسر تصليته بهذه الصلاة دون غيرها انه لما انشدها قرأها عليه عليه السلام ولما جاء الى قوله فمبلغ العلم فيه انه بشر وقف الامام فيه فقال عليه السلام اقرأ فقال الامام انى لم اوفق للمصراع الثانى لهذا البيت يا رسول الله فقال عليه السلام قل يا امام وانه خير خلق الله كلهم * فادرج الامام هذا المصراع الذى قرأه عليه السلام فى صلاته وكرره فى آخر كل بيت لشدة حرصه وكمال محبته للنبى عليه السلام كذا ذكر فى شرح هذه القصيدة المسمى بالشفا وتاسعها الصلاة بتلك الصلاة فى تمام كل بيت ثم انهم بينوا تأثيراتها قال الشارح الشهير بشيخ زاده وحكاية ما شوهد من آثار بركاتها فى الكتب مشهورة عند جماهير الانام فاغنانى عن الاكثار فى وصفها واطالة الكلام وحكى اكثر الشارحين انه لما كان فى عينى سعد الفاروقى رمد عظيم حتى اشرف على العمى رأى النبى عليه السلام يقول امض الى فلان وخذ منه القصيدة البردة واجعلها على عينيك فجاء عنده فاخذ القصيدة ووضعها على عينيه وقرأ فشفاه الله بها وقال فى شرح معتمد من قرأ هذه القصيدة فى كل ليلة جمعة بين المغرب والعشاء مع مراعاة شروطها يموت على الايمان والاسلام ثم انهم اختلفوا فى اسمها فقال بعضهم اسمها برءة بضم الباء مع الهمزة لانه لما كان الامام قد برئ من مرضه بهذه القصيدة سميت برءة من قبيل تسمية السبب باسم المسبب وقال بعضهم اسمها بردة بضم الباء وانما سمى بها لانها فى المعنى كسوة شريفة قرضت على قد النبى عليه الصلاة والسلام حيث ذكر فيها مدائحه عليه السلام فسميت الصفات باسم الكسوة لان الصفات بتمامها استوعبت بدنه عليه السلام مثل الكسوة وقيل اسمها بردية بياء النسبة لان البوصرى قرأها حين الاتمام على النبى عليه السلام فالبسه عليه السلام بردته الشريفة فشفى بها فسميت بردية واما ما اشتهر بين الناس من تسميتها بالقصيدة البريدة فغلط صريح ثم قال الناظم الفاهم اقتداء بالكتاب الكريم وامتثالا لحديث النبى الفخيم وجريا على سنن السلف القديم

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث البسملة مشهور بين ارباب الافادة والاستفادة فلا حاجة لنا الى الاعادة لكن يرد ان ترك الناظم الفاهم الحمدلة والتصلية مع ورود الآثار فى حقهما لا يخلو

عن سوء ادب ونجيب عنه بانه لا نسلم انه تركهما كيف وقد سمع من بعض العرب ان الناظم الفاهم ذكرهما فى بيت مستقل وهو قوله

الحمد لله منشى الخلق من عدم * ثم الصلاة على المختار فى القدم

ولو سلم عدم ورود هذا البيت منه قدس سره فلا يجوز ان تكون الهمزة فى امن تذكر الخ اشارة الى لفظ الجلالة ويشعر بالحمدلة كما هو المشهور بين ارباب التصوف ولو سلم عدم جوازه فلا نسلم انه ورد فى حقهما اعنى فى كتابتهما حديث بل الحديث الوارد فى حقهما يدل على الذكر اللسانى والناظم الفاهم وان لم يكتبهما لكن تلفظ بهما ولو سلم فلا نسلم انه سوء ادب كيف وتركهما لهضم النفس كما وقع مثله من كبار العلماء ثم اعلم ان الناظم الفاهم جعل قصيدته مرتبة على عشرة فصول وذكر فى الفصل الاول ميل النفس والهوى فقال مخاطبا نفسه اى ذاته على سبيل التجريد * مستفهما عن بكائه الشديد * وسائلا عن موجب مزج دموعه بالدم السائل * فلله در القائل

امن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

الهمزة للاستفهام ومن متعلقة بمزجت وانما قدم للحصر او للضرورة او لكونه علة لمزج الدمع بالدم فقدم وضعا ليوافق الوضع الطبع واما تقديم الهمزة فلما تقرر من ان الاستفهام انما يدخل على المسئول عنه والمسئول عنه هنا ليس مزج الدموع بالدم بل سبب المزج وهو تذكر الجيران ولانها تقتضى الصدارة كما لا يخفى والتذكر مصدر تذكر فهو اما من الذكر بكسر الذال واما من الذكر بضمها والفرق بينهما ان الاول يستعمل فى الذكر اللسانى والثانى يستعمل فى الذكر القلبى كذا بينه الخيالى فى بحث العلم والتذكر مضاف الى مفعوله وفاعله محذوف وهو كاف الخطاب اى امن تذكرك بقرينة مزجت والخطاب لنفسه ففيه تجريد بديعى حيث جرد من نفسه شخصا آخر فخاطبه وانما احتاج الى التجريد ولم يخاطب صاحبه لعدم وجدانه محبا صادقا فى الدنيا وفيه التفات اذ مقتضى الظاهر ان يقول تذكرى بياء المتكلم فتركه وعدل الى صيغة الخطاب ففيه التفات على مذهب السكاكى وهو ظاهر اذ هو لم يشترط سبق التعبير بمقتضى الظاهر سواء سبق اولا بخلاف الجمهور حيث اشترطوا سبق التعبير بما هو مقتضى الظاهر بل يجوز ان يتحقق الالتفات على مذهبهم ايضا حيث سبق التعبير فى البسملة بالتكلم فان قلت انما يتحقق مذهب الجمهور اذا كانت البسملة جزأ من الكتاب وفيه شبهة قلت كونها جزأ من الكتاب ههنا محقق لدلالة القرينة عليه وهى كون الناظم الفاهم شافعى المذهب على ما قاله اكثر الشارحين وعندهم البسملة جزء من الكتاب كما لا يخفى على اولى الالباب فان قلت فما نكتة الالتفات هنا قلت قال العصام فى اطوله نكتة الالتفات ثلاث من جهة المتكلم ومن جهة الكلام ومن جهة المخاطب فاما النكتة ههنا من جهة المتكلم فالاشارة الى انه قادر على ان يأتى بالكلام على اساليب مختلفة واما من جهة الكلام فهو تزيين الكلام لوروده ان تغيير الاسلوب تنشط به القلوب واما من جهة المخاطب فهو اخراج الكلام من البيان الى العيان اذ الخطاب عيان والتكلم بيان والجيران جمع

جار كالجيران جمع نار والجار من قرب داره الى داره والمراد بالجيران ههنا المحبوب على طريق المجاز والاستعارة بان شبه المحبوب بالجار الحقيق فى كثرة الاختلاط معه والالتفات اليه فكذلك الناظم صنع بمحبوبه وادعى ان المحبوب من جنس الجار ثم استعير الجار للمحبوب وذكر الجيران واريد به المحبوب فعلى هذا يكون جمع الجيران لتعظيم كما فى قوله تعالى فنعم الماهدون وتنوينه للتفخيم كما فى قوله تعالى فيه آيات بينات والباء فى بذى سلم بمعنى فى والظرف مستقر صفة لجيران اى جيران كائنين فى مكان ذى سلم والسلم بفتح اللام اسم شجر وبكسرها اسم جنس للسلمة كما فى كلم وكلمة وهى ايضا اسم شجرة فى الوادى بين مكة والمدينة فالمراد ههنا هذه الشجرة لان مراده من الجيران محبوبه اعنى النبى عليه الصلاة والسلام وهذه الشجرة لها مناسبة بالنبى عليه الصلاة والسلام لانه عليه السلام كان كلما ذهب الى مكة وسلك ينزل تحت هذه الشجرة ويستريح فيه فالمعنى امن تذكرك المحبوب الكائن والملابس فى مروره بمكان ذى شجرة معهودة وقيل المراد من السلم دار السلام من الجنان فيكون فيه استعارة بان شبه روضة النبى عليه السلام بالجنة المسماة بدار السلام فى كونهما شريفتين وكونهما خير مكان وادعى ان الروضة من جنس دار السلام ثم استعير دار السلام للروضة فذكر اللفظ الدال على دار السلام واريد منه الروضة المباركة وقيل المراد من السلم معنى السلامة من الآثام لان قوله ذى سلم صفة موصوف محذوف اى مكان ذى سلامة والمراد من المكان اعلى عليين فعلى هذا يكون المراد من الجيران ارواح الانبياء والاولياء والصالحين والمراد بمجاريتهم جاريتهم فى عالم الارواح قبل حلولها فى الابدان كما فى قوله عليه السلام الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فحاصل المعنى امن تذكرك الجيران فى عالم الارواح الكائنين فى محل ذى سلامة لان محل الارواح اعلى عليين قبل حلولها فى البدن واعلى عليين محل ذو سلامة من الآثام والآلام قال العصام ان كلمة ذى ان كان صفة لنكرة فهى تضاف الى نكرة وان كان بالعكس فهو بالعكس والفرق بين ذى وصاحب ان فى ذى يكون المضاف اشرف من المضاف اليه كما فى قوله تعالى ذو العرش المجيد وفى صاحب يكون بالعكس كقولهم لابى هريرة رضى الله عنه صاحب النبى عليه السلام دون ذى النبى مزجت بصيغة المخاطب خطاب للشخص الذى جرده من نفسه عبر بصيغة الماضى اشارة الى تحقق وقوعه والمزج الخلط واكثر العلماء لم يفرق بينهما لكن فرق بعضهم بان المزج انما يقال لما كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كالحلو المطبوخ من العسل والدهن والدقيق والخلط اعم سواء كان بعد الاختلاط حقيقة واحدة كما فى المزج او حقائق مختلفة كخلط الدراهم بالدنانير فبينهما عموم وخصوص مطلق فكل مزج خلط بدون العكس فاختيار الناظم المزج على الخلط للمبالغة كما لا يخفى والدمع ماء مالح يجرى من العين عند الحزن وفرقوا بين بكاء الحزن وبكاء السرور بان الماء السائل من العين فى السرور بارد وفى الحزن حار والدمع اسم جنس كتمر وتمرة ولم يقل دمعة اما

للاشارة الى ان الجارى من عينيه ليس واحدة بل هو كثير واما للنظم وجرى من الجيران وهو كالسيلان لفظا ومعنى والجملة صفة دمع لكنه وصف وقوعى لا احترازى كما فى قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه ومن مقلة متعلق بجرى والمقلة البياض والسواد اللذان فى داخل العين كما قال الشاعر

اذا ما مقلتى رمدت فكحلى * تراب من نعال ابى تراب
هو البكاء فى المحراب ليلا * هو الضحاك فى يوم الضراب

وبدم متعلق بمزجت والتنوينات فى دمع وفى مقلة وفى دم عوض عن المضاف اليه وهو كاف الخطاب ثم ان مزج الدمع بالدم اما حقيقة كما يشعر به قوله الآتى واثبت الوجد خطى عبرة وضنى * واما كناية عن لازمه وهو شدة الحزن والالم ثم اعلم ان الشخص المجرد من نفسه كانه لما استرعشقه وانكر محبته عملا بما فى كتب التصوف من ان العشق كلما كتم فى القلب ازداد لانه كالمسك كلما كان مستورا كان منشورا اثبته الناظم الفاهم فى مقابلة الشخص المجرد من نفسه بقوله مزجت الخ بترتيب قياس استثنائى ترتيبه هكذا سلطان المحبة فى مدينة قلبك والا اى ولو لم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لما مزجت الدمع بالدم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك ولما منع من جهة الشخص المجرد من نفسه ملازمة هذا القياس اثبته بقوله أمن تذكر مع ما عطف عليه لانه علة له كما سبق وما عطف عليه قوله

ام هبت الريح من تلقاء كاظمة * واومض البرق فى الظلماء من اضم

فترتيب قياسه هكذا مزجك الدمع بالدم من آثار المحبة لان مزجك الدمع بالدم اما من تذكر الجيران واما من هبوب الريح من تلقاء كاظمة واما من ايماض البرق فى الليلة الظلماء من اضم وتذكر الجيران دال على آثار المحبة وهبوب الريح من تلقاء كاظمة دال على آثار المحبة وايماض البرق دال على آثار المحبة ينتج ان مزجك الدمع بالدم دال على آثار المحبة ثم ان كلمة ام متصلة او منقطعة واكثر الشارحين رجحوا الاولى لان ام المنقطعة هى الواقعة بين جملتين كل منهما مستقل بفائدة مستغن عن الاخر وههنا ليس كذلك لان هذا البيت بمصراعيه والبيت الاول كلام واحد علة لكون مزج الدمع بالدم من آثار المحبة كما عرفت وليس كل واحد منهما مستغنيا عن الآخر واما ام المتصلة فهى التى ما قبلها وما بعدها لا يستغنى باحدهما عن الآخر وهنا كذلك ومن اختار المنقطعة قال ان هذا البيت منقطع عما قبله كان قيل امن تذكر جيران مزجت لا بل من هبوب الريح وهى واحدة الرياح يذكر ويؤنث والريح من الروح وهو بمعنى الذهاب سمى الريح ريحا لكونه رائحا دائما ومن تلقاء متعلق بهبت وتلقاء بمعنى الجانب والجهة كما فى قوله تعالى تلقاء مدين وكاظمة اسم من اسماء المدينة نورها الله تعالى الى يوم القيامة وهى اسم فاعل من الكظم وهو تسكين الغضب كما فى قوله تعالى والكاظمين الغيظ فاسناد الكاظمة الى المدينة مجازى مثل جرى

النهر لان المدينة غير كاظمة الغضب بل من خواصها ان من سكن فيها يسكن غضبه وقيل المراد من الكاظمة روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجازا من ذكر العام وارادة الخاص ثم المراد من هبوب الريح من جانب المدينة اما حقيقة لانه لما وقع من ان الريح اذا جاء من جانب المحبوب يحرك حزن العاشق و يورث له البكاء واما المراد منه لازمه اعنى وصول آثار المعشوق واخبار المحبوب لان الريح من لوازمها ايصال شئ كالرائحة والكلا اليابس مثلا من مكان الى مكان آخر فعلى هذا يكون مجازا مرسلا مركبا على القائلين به و يكون حاصل المعنى ام وصلت اليك الاخبار والآثار من طرف الكاظمة او المراد من الريح الرائحة الطيبة كما فى قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام (انى لاجد ريح يوسف) اى رائحته فعلى هذا يكون الهبوب بمعنى النشر مجازا من ذكر الملزوم وارادة اللازم فالمعنى ام شم انفك الرائحة الطيبة التى نشرت من تلقاء كاظمة او المراد من الريح ريح الصبا فيكون المراد به اوصاف النبى عليه السلام مجازا و استعارة بان شبه اوصاف النبى عليه السلام واخلاقه العظيمة بريح الصبا فى كونهما باعثين للسرور فكما ان ريح الصبا يعطى الفرح لمن اصابه كذلك اوصافه عليه السلام واخلاقه تعطى السرور لمن سمعها وادعى ان اوصاف النبى من جنس ريح الصبا ثم استعير ريح الصبا لاوصاف النبى عليه السلام فذكر ريح الصبا واريد منه اخلاقه عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون هبت ترشيحا للاستعارة المصرحة بمعنى التحريك او النشر والواو فى واومض اما على حقيقته اى للجمع فيكون سبب البكاء اما تذكر الجيران واما مجموع هبوب الريح وايماض البرق واما بمعنى او الفاصلة فيكون على هذا سبب البكاء اما تذكر الجيران فقط واما هبوب الريح فقط واما ايماض البرق فقط و تكون نكتة المجاز اى التعبير بالواو دون او الاشارة الى ان الترديدات الثلاثة مانعة الخلو اى سبب البكا لا يخلو من هذه الامور الثلاثة بل يجوز جمعها ثم ان كلا من هبت الريح واومض البرق فى تأويل المصدر معطوف على تذكر اى هبوب الريح وايماض البرق واومض ماض من الايماض وهو اللمعان والظهور والبرق بالرفع فاعل اومض وفى الظلماء متعلق باومض والظلماء صفة موصوف محذوف اى الليلة الظلماء وهى مؤنث اظلم ولمعان البرق فى الليلة الظلماء اما على حقيقته لانه اذا لمع البرق فى جانب المعشوق ينور ذلك الجانب و يورث دهشة للعاشق او المراد من الليلة الظلماء بداية العشق واوله مجازا واستعارة كما فى قوله

صدغ الحبيب و حالى * كلاهما كالليالى

فكانه شبه ههنا بداية العشق واوله بالليلة الظلماء فى وقوع التحير وفقدان الطريق فكما ان فى الليلة الظلماء يتحير كل من سلك و يفقد طريقه فكذلك العاشق فى بداية الامر يعرض له احوال فيتحير و يفقد طريقه ثم استعير الليلة الظلماء لبداية العشق فذكر الليلة الظلماء واريد بداية العشق فعلى هذا يكون فى ايماض البرق ايضا استعارة

حيث شبه وصلة الحبيب ونهاية العشق بلمعان البرق فى سرعة الذهاب فكما ان لمعان البرق يذهب سريعا فكذلك الوصلة اذ تقرر فى موضعه ان العاشق متى وصل معشوقه لا يبقى فى الدنيا بل يذهب سريعا ومن اضم متعلق باومض واضم بكسر الهمزة و فتح الضاد اسم جبل قريب من المدينة وهو محله عليه السلام اذ فى اكثر اوقاته كان يسكن فيه فهو اما على حقيقته واما ان يراد به المحبوب من ذكر المحل وارادة الحال وهو المناسب ان اريد بلمعان البرق ظهور نور النبى عليه السلام على وجه الاستعارة المصرحة بان شبه ظهور نور النبى عليه السلام بلمعان البرق فى الاضاءة ورفع الظلمة ثم يستعار لمعان البرق لظهور نور النبى عليه السلام وذكر المشبه به واريد المشبه فعلى هذا تكون الليلة الظلماء على حقيقتها و يؤيد هذا المعنى ما روى انه كلما دنا الحاج من المدينة ظهر منها نور النبى عليه السلام لبعض الخلصاء من الحجاج والناظم الفاهم من اخلص الخلصاء فكيف لا يظهر له وقال المصنف يلزم لهبوب الريح وايماض البرق بعد مسافة للمحبوب ومن عادة البلغاء انهم يجعلون بعد المسافة استعارة لبعد المرتبة وعلو المكان لعلو القدر كما قال الشاعر

هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعودا * وان تستطيع اليك النزولا

فما لعينيك ان قلت اكففا همتا * و ما لقلبك ان قلت استفق يهم

فكانه لما ورد المنع على صغرى القياس للناظم الفاهم من طرف الشخص المجرد من نفسه بان يقال لا نسلم ان امتزاج دمعى بالدم امامن تذكر الجيران اوهبوب الريح اوايماض البرق لم لا يجوز ان يكون من سبب آخر من مرض اصاب الجسم اواصابة مصيبة ترك الناظم ما وجب عليه من اثبات مقدمته الممنوعة وانتقل الى دليل آخر مثبت لكون مزجه بسبب العشق والمحبة فقال فما لعينيك الخ اى مزج الدمع بالدم من العشق والمحبة ولو لم يكن مزجك الدمع بالدم من المحبة والهوى لكنت مالكا لعينيك وقلبك لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو مزج الدمع بالدم من المحبة والهوى واثبت التالى بقوله ان قلت الخ اى انك غير مالك لعينيك وقلبك ولو كنت مالكا لهما لكف عيناك ان قلت لهما اكففا واستفاق قلبك ان قلت له استفق لكن التالى باطل لانك لو قلت لهما اكففا لا تكفان بل تهميان ولو قلت له استفق لا يستفيق بل يهيم والمقدم مثله فثبت نقيضه فان قلت الانتقال من دليل الى دليل آخر لا يجوز للمعلل لانه افحام من وجه فكيف يجوز للناظم الفاهم قلت انما لا يجوز الانتقال من دليل الى دليل آخر لو لم يكن المعلل قادرا على اثبات الحكم الاول بانواع الدلائل كما كان فى محاجة ابراهيم عليه السلام مع نمرود عليه اللعنة واما اذا كان قادرا و يكون مراده اثبات اصل المطلوب بانواع الدلائل فلا يضر الانتقال وما وقع ههنا من قبيل الثانى كما لا يخفى ثم ان الفاء فى فما فصيحة والفاء الفصيحة هى التى تدل على الشرط المحذوف وهو ههنا ان لم يكن مزجك الدمع بالدم من العشق والمحبة

فما حصل لعينيك الخ هذا عند الكشاف وعند السكاكى هى التى تدل على السبب اى على السبب المحذوف غير الشرط كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت واما عند غيرهما فالفاء الفصيحة هى التى دلت على سبب محذوف سوآء كان شرطا او معطوفا عليه وما استفهام فهو اما يسئل به عن الجنس او الصفة وههنا سؤال عن الجنس ولعينيك اللام فيه متعلق بالمقدر اى ما حصل لعينيك وفى الكاف الخطابى تجريد ايضا فتذكر وجملة ان قلت اكففا همتا تفسير لما وقلت على صيغة الخطاب ومفعوله محذوف اى لهما فالقول هنا بمعنى الخطاب لما تقرر ان القول يجيء لمعان بحروف لانه ان استعمل بالباء يكون بمعنى الحكم واذا استعمل بعلى يكون بمعنى الاعتراض واذا استعمل بفى يكون بمعنى الاجتهاد واذا استعمل باللام يكون بمعنى الخطاب وقال دده جنكى فى حاشية سعد الدين من الصرف القول فى استعماله بالباء يجيء لمعان نحو قال بيده اى اخذ بيده وقال برجله اى ضرب بها او مشى بها وقال برأسه اى اشار برأسه وقال بالماء على يده اى قلب وقال بثوبه اى رفعه وجملة اكففا مقول قول له واكففا على صيغة التثنية امر من كف اى منع كما قيل خير المرء من كف فكه وفك كفه وشر المرء من كف كفه وفك فكه فان قلت كان الادغام فى اكففا واجبا ففكه خلاف القياس ومخل بالفصاحة قلت اجاب عنه الشارحون بوجوه قال العصام يجوز ان يكون فكه لضرورة الشعر كما قال الشاعر فى عد ضرورات الشعر

واشباع تحريك وفك بمدغم * وتذكير تأنيث وعكس بندرة

وقيل تعدد العين انما هو فى الصورة واما هو فى الحقيقة فواحد فلفظ اكففا بالنظر الى الحقيقة مفرد وان كان تثنية فى الصورة وفك ادغام المفرد جائز وهذا الجواب تكلف جدا لانه مبنى على مذهب الوجودية من المتصوفة فانهم قالوا العين فى الانسان واحد لا اثنان ولهذا لا يرى الانسان شيئا شيئين والتعدد الصورى لا يقدح فى الوحدة فى الحقيقة وقيل فك الادغام على توهم الافراد فلا يخل بالفصاحة كما يخل فى قوله الحمد لله العلى الاجلل وقال بعضهم انه اشارة الى ان الناظم الفاهم قال به بلسان دهشة وحيران * كأنه لم يتعقل قواعد البرهان * ومثل هذا يعد ظرافة فى البيان * فلا يعاتب بسنان اللسان * همتا ماض مثنى من همى يهمى هميانا بمعنى سالتا وضمير التثنية راجع الى العينين واسناده الى العينين مجاز اذ العينان لا تسيلان بل يسيل منهما الماء فاسناده اليهما من قبيل سال الميزاب ورد السكاكى هذا المجاز الى الاستعارة المكنية والتخييلية وانكر المجاز العقلى فعلى هذا شبه العين فى الذهن بالمطر فى الشرافة فكما كان المطر اشرف المياه كذلك كانت العين اشرف الاعضاء ثم ادعى للمشبه به فردان فرد متعارف وهو المطر وغير متعارف وهو العين ثم استعير المشبه به فى الذهن وهو الفرد المتعارف اعنى المطر للفرد الغير المتعارف اعنى العين ثم ذكر فى الخارج المشبه وهو الفرد الغير المتعارف

اعنى العين واريد العين الغير المتعارف ثم انتزع من جانب المشبه وهو سيلان العين امر وهمى وشبه بجريان الماء فى سرعة الجريان ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه به وهو سالتا واريد المشبه ويجرى فيه ايضا مذهب الجمهور بان يشبه العين فى الذهن بالمطر فى سرعة السيلان ثم استعير المطر فى الذهن للعين وفى الخارج ذكر المشبه اعنى العين واريد هو وللرمز والاشارة الى الاستعارة التى كانت فى الذهن اثبت همتا التى من لوازم المشبه به الى المشبه وهذا الاثبات تخييلية عندهم ثم ان جملة همتا جزآء لقوله ان قلت اكففا فان قلت الشرط سبب للجزآء على ما تقرر فى النحو فكيف يكون قوله ان قلت اكففا سببا للهميان وسيلان الماء بل عكسه سبب له قلت السبب اعم من السبب العقلى والعادى والعرفى وهذه الجملة الشرطية وان لم تكن سببا عقليا او عاديا لهذا الجزآء لكنها سبب عرفى والمراد من العرف عرف العاشقين لان فى عرفهم العشق يفعل خلاف ما يأمر به العقل فههنا وان امر العقل بترك البكاء ومنع عنه لكن العشق عمل ذلك الامر بخلافه فسال من عينيه ماء اشد السيلان وما لقلبك اى وما حصل لقلبك والقلب شكل صنوبرى تحت الضلع الايسر وهو منبع الحياة والايمان قال بعض العارفين خلق الله اولا الروح ثم الجسد وكان الروح مذكرا والجسد مؤنثا ثم امر الروح بالازدواج مع الجسد فازدوجها فحصل منهما ولدان ذكر وهو القلب الذى هو موضع الايمان وتبع هو للروح وانثى وهو النفس محل الفساد وتبعت هى للشيطان والجسد لان النتيجة تابعة لاخس المقدمتين واستفق امر من استفاق بمعنى افاق والسين للوجدان اى كن مفيقا ويهم من هام يهيم بمعنى تحير حذف ياؤه للجزم وجملته جزآء لما قبله ويرد عليه ايضا السؤال السابق ويجاب بما يجاب فيه فتذكر واختار الماضى فى جزآء الشرط الاول لكونه محققا واختار ههنا المضارع لان ما فى القلب مضمر والاطلاع عليه متعذر ثم ان فى هذا البيت من صنائع البديع جناسا شبيها بالمشتق بين الهميان والهيمان كما فى قوله تعالى قال انى لعملكم من القالين الاول من القول والثانى من القلى ثم اعلم ان خاصة الابيات الثلاثة انه اذا كان عندك بهيمة لا تقبل التعليم فاكتب هذه الابيات الثلاثة فى زجاج وامحها بماء المطر واسقها للبهيمة فانها تتعلم وتذلل لك قال الاستاذ طول الله بقاه جربته فوجدته صحيحا وايضا اذا كتبت هذه الابيات الثلاثة فى رق غزال وعلقت على عضد من فى لسانه ركاكة وضيق يتعلم باذن الله تعالى ويكون فصيحا

ايحسب الصب ان الحب منكتم * ما بين منسجم منه ومضطرم

لما كان للناظم الفاهم حرص شديد على اثبات دعوى كون المحبة فى قلب الشخص المخاطب لم يكتف بدليل واحد بل اتى على دعواه بدليل آخر ولذا قال ايحسب الصب الخ اى لو لم تكن محبتك ثابتة لما كنت دآئرا بين دمع منسجم وقلب مضطرم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه ثم الهمزة للاستفهام الانكارى وهو بمعنى النفى ههنا كما كان فى قوله

ابقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كانياب اغوال

ويحسب بالكسر والفتح من افعال القلوب والحسبان الظن والمعنى لايظن العاشق كون المحبة منكتمة لان الظن منهى عنه لكونه اثما لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وفى يحسب التفات من الخطاب الى الغيبة على مذهب الجمهور والسكاكى ونكتة الالتفات عامية وخاصية فالنكتة العامية تنشيط القلوب بتغيير الاسلوب والخاصية اجرآء الصفة المادحة على نفسه وهى الصب لانه لو قال اتحسب بصيغة المخاطب لما امكن اجرآؤها على نفسه فان قيل لو قال تحسب لامكن ايضا اجرآء الصفة المادحة عليه بان يجعل الصب صفة لفاعل تحسب اعنى تاء الضمير او بدلا منه قلنا لايمكن على هذين التقديرين لان الضمير لايوصف ولايوصف به كما قال الشاعر

اضمرت فى القلب هوى شادن * مشتغل بالنحو لايوصف
فقلت ما اضمرت يوماله * فقال لى المضمر لايوصف

ولان الضمير لايبدل المظهر منه الا اذا كان غائبا وفيما نحو فيه مخاطب فان قلت لانسلم كون الصب صفة مادحة قلت ان الصب فى الاصل مصدر بمعنى الاراقة لكن المراد منه ههنا العاشق الكامل وانما سمى العاشق الكامل به لانه يبكى فى كل احواله كما قال الشاعر

وما فى الخلق اشقى من محب * وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا فى كل حال * مخافة فرقة والاشتياق
فيبكى ان ناؤا شوقا اليهم * ويبكى ان دنوا خوف الفراق

وان للتأكيد والحب مصدر بمعنى المحبة ومنكتم من الانكتام اى مستتر وقابل للاستتار واكد هذا الكلام بالاداة والجملة الاسمية لكون المقام مقام الانكار وما زآئدة وبين ظرف لمنكتم ومنسجم صفة موصوف محذوف اى دمع منسجم وهو من الانسجام بمعنى الهطل والصب اى دمع هاطل ومنه متعلق بمنسجم والضمير راجع الى الصب بطريق الاستخدام لان المراد من الصب العاشق الكامل ومن الضمير الراجع اليه العضو المخصوص اعنى العين كما لايخفى ومضطرم معطوف على منسجم وهو ايضا صفة موصوف محذوف اى قلب مضطرم وهو بمعنى ملتهب ومشتعل وفى المضطرم استعارة مكنية حيث شبه فى الذهن قلب العاشق وهو مذكور فيه بارجاع ضميره اليه بشجرة العود فى كونهما قابلين للايقاد وشاملين للرآئحة الطيبة لان قلب العاشق اذا كان ملتهبا ينتشر منه الرآئحة الطيبة على ما قاله المتصوفة وادعى لشجرة العود فردان فرد متعارف وهو شجرة العود حقيقة وفرد غير متعارف وهو القلب ثم استعير المشبه للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد به المشبه ايضا اعنى القلب وهذه استعارة مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهو التهاب القلب وايقاده وكونه مكيفا بالرآئحة الطيبة عند الايقاد وشبه بالتهاب شجرة العود

ثم ذكر اللفظ الدال على المشبه وهو مضطرم اذ هو حقيقة فى شجرة العود واريد المشبه وهو التهاب القلب وهذه الاستعارة تخييلية وهذا عند السكاكى واما عند الخطيب فبان يشبه فى الذهن القلب بشجرة العود وفى الخارج اثبت ما هو من لوازم المشبه به الى المشبه للاشارة والرمز الى التشبيه فى الذهن قال المصنف فى هذا المصراع ايماء الى ان الواشى اذا كان من قبيل صاحب السر فكتمان السر يتعسر عليه بل يتعذر فكيف اذا كان ذلك الواشى جزأ منه خصوصا اذا كانا اثنين سيما اذا كانا متعاونين كما فى ما نحن فيه انتهى وحاصل معنى البيت لاتظن ايها العاشق ان الحب مستتر كيف والدمع المنسجم والقلب المضطرم شاهدان على دعوى انكشاف الحب فكيف تظن انكتام الحب فكأن العاشق ادعى انكشاف المحبة والشخص المجرد من نفسه انكره فذهبا الى محكمة العشق فاستحكما من قاضى العشق فحكم القاضى بالاثبات للعاشق المدعى عملا بالحديث المشهور البينة على من ادعى واليمين على من انكر فاتى العاشق بشاهدين على دعوى انكشاف المحبة فقبل القاضى دعواه فان قلت الشاهد الاول مقبول لكن مقبولية الشاهد الثانى ممنوعة لان حاله مستور اذ القلب لايطلع عليه احد الا الله تعالى قلت الشاهد الاول يقوى الثانى لان الدمع يدل على ما فى القلب كما قال بعض الفضلاء اذا انفعل القلب سرى الاثر الى العين فعند اشتداد الحزن تدمع وعند اشتداد الفرح تلمع * ومن تقريرنا علم ان فى هذا البيت استعارة تمثيلية حيث شبه الهيئة المنتزعة من الامور المذكورة فى هذا البيت من كون الدمع المنسجم شاهدا والقلب المضطرم شاهدا آخر وكونهما مثبتين لدعوى مدعى قد اثبت المحبة ومبطلين لدعوى من انكر المحبة بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة وهى كون الشاهدين فى الخارج مثبتين لدعوى رجل على رجل آخر منكر ومبطلين لدعوى المنكر ونحو ذلك ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور الغير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به فعلى هذا تجرى استعارة مصرحة فى مفردات هذه الامور بان يشبه بالدمع المنسجم ثم ذكر المنسجم واريد الشاهد وقس عليه السائر تدبر

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل * ولا ارقت لذكر البان والعلم

ثم شرع فى اثبات دعواه بدليل آخر ايضا للتأكيد والتقوية وللاشارة الى ان دعواه صادقة غير زور وبهتان فقال لولا الهوى الخ يعنى ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك ولو لم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لم ترق دمعا على طلل ولا ارقت لذكر البان والعلم لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه ثم ان لولا يستعمل على اربعة اوجه الاول انه يدخل على جملة اسمية ويكون لامتناع الشئ لوجود غيره وخبر المبتدأ بعده واجب الحذف والثانى ان يكون للتحضيض والعرض فيختص بالمضارع والثالث ان يكون للتوبيخ والتنديم فيختص بالماضى والرابع للاستفهام وهنا من قبيل الاول فتقديره لولا الهوى موجود فيك والهوى بالقصر مصدر هوى من باب علم او هوى

من باب ضرب وهوهمنا بمعنى العشق والمحبة لان الهوى يجيء على ثلاثة معان الاول ميل النفس الى مالا يقتضيه الشرع وهو مذموم كما فى قوله تعالى افمن اتخذ الهه هواه والثانى العشق والثالث بمعنى المهوى اى المحبوب كما فى قوله

هواى مع الركب اليمانين مصعد * ويحتمل ان يكون المراد من الهوى المعنى الثالث ايضا ويكون الالف واللام عوضا عن المضاف اليه اى لولا محبوبك ولم ترق مضارع من اراق يريق اصله يروق فاعل كاعلال يقيم ثم دخل عليه الجازم فحذف الياء والاراقة بمعنى الصب كما فى قول ابن الحاجب بعد قتله

اری قدمی اراق دمی * وهان دمی وهاندمی

وفى لم ترق التفات من الغيبة الى الخطاب والتفاته سريعا الى الخطاب لاخراج الكلام من البيان الى العيان وتعريف الدمع قدمضى فامض اليه وتنوينه للتعظيم كما ان تنوين طلل للتحقير كما فى قوله

له حاجب فى كل امر يشينه * وليس له عن طالب العرف حاجب

وعلى متعلق بلم ترق والطلل بفتحتين اثر الدار الخربة فكأنه يقول لولم يكن لك محبة مع اهل المنازل وسكانها لما صببت من عينيك الدمع العظيم على اطلال المنازل الحقيرة ويحتمل ان يكون مراده بالطلل مكة المكرمة لانها بهجرة النبى صلى الله عليه وسلم منها صارت خربة معنى اذ معموريتها كانت بكون النبى عليه السلام فيها كما قال الله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد حيث استفيد منها ان كون مكة المكرمة لائقة بكونها مقسما به لله تعالى لاجل حلول النبى صلى الله عليه وسلم فيها فبعد هجرته عليه السلام كانت الآثار الباقية الدائمة فى مكة المكرمة الآن هى آثار الخربة معنى ولذا اتفقوا على ان التراب الماس لبدن رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الامكنة وانخهما كما سيأتى تفصيله وعلى هذا المعنى يكون على بمعنى اللام الاجلية اى لولم تكن محبتك لم ترق دمعا لاجل ملاحظة مكة بان المحبوب قد هاجر منها وكانت الارض الباقية خربة فتأمل ويجوز ان يكون فى طلل استعارة مصرحة بان شبه آثار المحبة والعشق الكائنة فى قلب العاشق بآثار الدار الخربة فى كونهما دائرين بين الامرين اعنى عدم المعمورية بالكلية وعدم الانهدام بالكلية ثم استعير آثار الدار الخربة لآثار المحبة فذكر اللفظ الدال على المشبه به واريد المشبه ولا ارقت عطف على لم ترق ولا زائدة لتأكيد النفى وارقت من ارق يأرق من باب علم وهو بمعنى سهر الليالى وعدم النوم فيها فالمعنى لولم يكن سلطان المحبة فى مدينة قلبك لما سهرت الليالى لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه لان المحب لا ينام كما قال الشاعر

عجبا للمحب كيف ينام * كل نوم على المحب حرام

واللام فى لذكر البان اجلية والذكر اما بالكسر او بالضم وهو مصدر مضاف الى مفعوله وفاعله متروك اى لاجل ذكرك البان والبان شجر لطيف الرائحة وقيل المراد به الشجر المعهود القريب من مكة الذى قد كان النبى عليه السلام يجلس تحته ويكالم

الاصحاب رضوان الله عليهم اجمعين فعلى هذا يكون مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وقيل هو شجر طيب الرائحة والقد ففيه استعارة مصرحة حيث شبه النبى عليه السلام بتلك الشجرة فى حسن الطلعة ونهاية اللطافة ثم استعير الشجرة المذكورة للنبى عليه السلام فذكر المشبه به واريد المشبه والعلم اسم جبل كما فى قوله

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

قيل المراد منه ههنا جبل من جبال مكة فقيل هو جبل ابى قبيس وقيل جبل حراء وقيل جبل فيه غاره عليه السلام وعلى كل تقدير يكون مجازا مرسلا من ذكر المحل وارادة الحال لان هذه الجبال كانت امكنة النبى عليه السلام او استعارة مصرحة بان شبه المحبوب بالجبل فى العظمة والمهابة وحسن الهيئة والرفعة ثم استعير الجبل للمحبوب فذكر المشبه به واريد المشبه وعلى هذا يكون اللام فى قوله لذكر البان للوقتية كما فى قوله تعالى لدلوك الشمس قال الاستاذ طول الله بقاه * وجعل آخرته خيرا من اولاه خاصية هذا البيت وحده انه من كان فى قلبه ضيق وكربة وعسرة من الآلام والاكدار فليكتب هذا البيت بالحروف المقطعة على تفاحة وليأكلها فانه يزول ضيق قلبه وعسرته ولو كتبه على زجاجة ومحاه بالماء وشربه يزول ضيق قلبه ايضا لكن فى الكتابة على التفاح يكون التأثير ازيد وقال الاستاذ جربناه مرارا فوجدناه صادقا

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت * به عليك عدول الدمع والسقم

لما جاء العاشق على دعواه بشاهدين كانه قيل من طرف الشخص المجرد من نفسه ان شاهديك غير عدلين فلا يثبت بهما دعواك فاثبت عدالتهما بقوله فكيف تنكر الخ الفاء فى فكيف فصيحة اى اذا دلت الادلة السابقة وبعدها شهدت الشواهد اللاحقة على دعوى ان سلطان المحبة فى مدينة قلبك فكيف الخ وكيف حال لا مفعول فيه والاستفهام اما للتعجب كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله) او للتوبيخ او للاستبعاد اى لا ينبغى ان تنكره بعد هذا وتنكر من الانكار وهو الجحد ضد الاقرار وحبا مفعول تنكر وتنوينه للتعظيم كما فى قوله

صبت على مصائب لوانها * صبت على الايام صرن لياليا

وبعد بالنصب ظرف لتنكر وما اما مصدرية فضميربه للحب واما موصولة فضميربه له والشهادة خبر صادق صادر من شخص صادق وبقرينة الاسناد الى العدول فيه استعارة مصرحة وتبعية بان شبه الدلالة بالشهادة فى اعلام الشيء واظهاره ثم استعير الشهادة لمفهوم الدلالة ثم كانه ذكر الشهادة واريد منها الدلالة وتبعية هذه الاستعارة اشتق من الشهادة شهدت ومن الدلالة دلت وبواسطة العلاقة فى مصدرهما شبه هيئة دلت بهيئة شهدت ثم استعير شهدت لمفهوم دلت فذكر شهدت واريد مفهوم دلت وعلى فى عليك مستعمل فى الضرر كما فى قوله تعالى (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وكقوله

قد اصبحت ام الخيار تدعى * على ذنبا كله لم اصنع

وانما استعمل فى الضرر لان قلب العاشق غير راض باظهار عشقه واثباته بل ينكره غاية الانكار ليتفرع عليه الاحوال والاسرار والعدول جمع عدل بمعنى عادل بمعنى الموثوق المعتمد فى الشهادة واضافته الى الدمع والسقم بيانية لغوية او بمعنى من اى العدول المستفادة من جهتهما واعلم انهم بينوا ان المضاف اليه اما مباين للمضاف وحينئذ ان كان ظرفا له فبمعنى فى والا فبمعنى اللام واما مساو او اعم مطلقا فالاضافة ممتنعة واما اخص مطلقا كيوم الاحد فبمعنى اللام واما اخص من وجه فان كان المضاف اليه اصلا للمضاف فبمعنى من والا فبمعنى اللام ولا يلزم فيما بمعنى اللام ان يصح التصريح بها بل يكفى افادة الاختصاص الذى هو مدلول اللام ثم انهم قالوا يشترط فى الاضافة البيانية الاصطلاحية اى النحوية العموم والخصوص من وجه وكون المضاف اليه اصلا للمضاف وفى اللغوية قد يكون بينهما عموم مطلق وقد يكون من وجه لكن يشترط على صورة الوجه ان لا يكون المضاف اليه اصلا وفى الاضافة اللامية قد يكون بينهما عموم مطلق فيجتمع مع الاضافة البيانية كما كان فى هذا المقام وقد يكون عموم من وجه ولا يكون المضاف اليه اصلا للمضاف فاحفظ هذا الكلام فانه مما يتقعك فى اكثر المقام ويجوز ان تكون اضافة العدول من قبيل اخلاق ثياب والدمع قدمر تعريفه غير مرة والسقم المرض والالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه اى سقم القلب ومن قال الالف واللام فى الدمع ايضا عوض عن المضاف اليه اى دمع العين فقد سها فافهم ثم ان استعمال صيغة الجمع اعنى العدول فى المثنى اعنى الدمع والسقم اما للتعظيم كما فى قوله تعالى وانا له لحافظون او مبنى على ما قيل ان اقل الجمع اثنان مستدلا بقوله عليه السلام الاثنان وما فوقهما جماعة فتأمل ويمكن ان يقال ايراد صيغة الجمع لكون كل من الدمع والسقم جمعا باعتبار الافراد والانواع من قبيل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فافهم ثم ان فى الدمع والسقم استعارة بالكناية بان يشبه كل واحد من الدمع وسقم القلب بالشخص الصادق فى اظهار شئ وقع فى نفسه وادعى للشخص الصادق فردان فرد متعارف وهو الشخص الصادق حقيقة وغير متعارف وهو الدمع او مرض القلب ثم استعير المشبه للمشبه به ثم ذكر فى الخارج المشبه واريد المشبه ايضا وهذه الاستعارة مكنية ثم انتزع من جانب المشبه امر وهمى وهو شهادة الدمع والسقم وشبه بشهادة الشخص الصادق فى افادة الحكم واستعير الشهادة المحققة لمفهوم الشهادة المخيلة ثم ذكر الشهادة المحققة اى فى شهدت واريد منه الشهادة المخيلة ثم اثبات العدول ترشيح لهذه الاستعارة وهذا البيت اول الابيات الستة التى تمايل فيها النبى عليه السلام حين قرآءة الامام فى رؤياه عليه عليه السلام و ينبغى للقارى لحاجة ان يقرأ هذا البيت ثلاثا كذا قاله شارح هذه القصيدة جعفر باشا الهى لا تجعلنا من زمرة اهل الفسق والهوى واجعلنا ممن قلبه ملئ بمحبة نبيك المصطفى وعينه فى كل وقت من عشقه يجرى ويبكى

واثبت الوجد خطى عبرة وضنى * مثل البهار على خديك والعنم

والشهد على دعوى الناظم بان فى قلبك محبة وعشقا شاهدان صادقان عادلان لان حكم القاضى فى دار الحكومة بان دعواه حق وصادق وقال لكاتب دار الحكومة اكتب دعواهما اى سجلها فسجلها ولهذا قال الناظم الفاهم للمخاطب واثبت الوجد الخ عطف على شهدت اى كيف تنكر حبا بعد شهادة الشاهدين وبعد اثبات الكاتب دعواى بالكتابة والاثبات جعل الشئ ثابتا مقررا سوآء بالخط او بغيره لكن المراد هنا اثباته بالخط بقرينة سياقه والوجد الاحزان القلبية والحالات العشقية وهو بالرفع فاعل اثبت واسناده اليه مجازى لانه سبب لها نحو اهلك المرض وفيه استعارة مكنية بان شبه فى الذهن الحالات العشقية والاحزان القلبية بكاتب دار الحكومة فى الاعلام والانباء وفى الكتابة على الصحيفة ثم استعير فى الذهن اللفظ الموضوع لكاتب دار الحكومة اعنى النائب مثلا لمفهوم الحالات والاحزان القلبية ثم ترك هذه الاستعارة فى جانب الذهن وذكر فى الخارج اللفظ الدال على المشبه اعنى الوجد واريد ايضا معنى الوجد وهذه الاستعارة مكنية ثم اسناد الاثبات الذى هو من ملائم الكاتب الى الوجد تخييل وايقاعه على الخط ترشيح والخط اما خط عربى وهو تصوير اللفظ بحروف هجائه واما حكمى وهو ماله طول فقط وقيل هو الذى يقبل الانقسام طولا لا عرضا ولا عمقا وهو على صيغة التثنية سقط نونه بالاضافة والعبرة بفتح العين الماء الجارى من العين على الوجه وضنى بالفتح مجرور تقديرا معطوف على عبرة وهو الهزال والضعف الذى يلازمه عادة صفرة الوجه والمراد به ههنا لازمه واضافة الخط الى العبرة من اضافة المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء يعنى اثبت الحزن عبرة وصفرة كالخط لان الناظم الفاهم لما بكى طويلا ومزج الدمع بالدم ظهر على خده الشريف خطان رقيقان كالف احدهما احمر وهو من اثر الماء الجارى من عينه وثانيهما اصفر وهو من حزن قلبه ومثل بالنصب على انه حال او مفعول ثان لاثبت بتضمينه معنى جعل ويجوز ان يكون صفة لخطى والبهار على وزن النهار اسم لورد اصفر ينبت فى اول الربيع والتشبيه فى صفرة اللون فقط لا فى الجرم والصورة وعلى خديك متعلق بمقدر حال من خطى والعنم بفتحتين اسم شجر احمر لين الاغصان يشبه البنان قيل هو الحناء وقيل هو البقم ويرجح الاول قوله

النشر مسك والوجوه دنا * نير واطراف الاكف عنم

واياما كان فالمماثلة فى الاحمرار فقط وفى هذا البيت من صنائع البديع لف ونشر معكوس حيث ذكر الحمرة ثم الصفرة فى المصراع الاول وعكس الحال فى هذا المصراع ونكتته للوزن والنظم وحاصل المعنى كيف تنكر المحبة بعد ان شهد بها شاهدا عدل ما استطعت على جرحهما وحكم عليك قاض لا ينقض حكمه وكتب على صحيفة خديك منشور المحبة بخطين احمرين فكل من يراك يقرأ آية المحبة من خديك فانكارك لا يسمن ولا يغنى من جوع اغفر لى يا من بسعة مغفرته شوقنى * واعف عن الفعل الذى من رضاك فرقنى * ولا تحرقنى بنار الجحيم لان عشق نبيك حرقنى

نعم سرى طيف من اهوى فارقنى * والحب يعترض اللذات بالالم

فلما اثبت العاشق دعواه بان سلطان المحبة فى مدينة قلبك وانكر الشخص المجرد من نفسه المخاطب ثم اثبت ثم انكر الى ان يأتى العاشق بشاهدين عادلين واثبت دعواه وكتب الكاتب وسجله فلم يبق لذلك المخاطب مجال الى الانكار فاقر بتلك الدعوى بالتصديق والاقرار فقال نعم الخ فنعم حرف تصديق مخبر بعد قول القائل قام زيد واعلام مستخبر بعد قوله أقام زيد ووعد طالب بعد قوله افعل اولا تفعل وههنا من قبيل الثانى والفرق بينه وبين بلى ان نعم حرف تصديق لكن يقع تصديقا للايجاب والنفى فى الخبر والاستفهام جميعا وبلى يختص بالمنفى خبرا واستفهاما على معنى انها انما تقع تصديقا للمنفى على سبيل الايجاب ولا يقع تصديقا ولهذا قال قائل مؤمن بلى فى جواب ألست بربكم لانه فى قوة بلى انت ربنا وقال نعم فيه كافر لانه فى قوة نعم لست بربنا وقد نظمه بعضهم

بعد نفى قل نعم لا بعد ايجاب كذا * بعد ايجاب نعم لا بعد ايجاب بلى

وجملة سرى استئنافية لانه لما اقر بالعشق واعترف بالشوق كأن سائلا قال كيف كان الحال فقال سرى الخ وهو من السرى وهو مختص بالسير ليلا كما فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا الاية لا يقال لا نسلم ان اسرى فى الاية السير ليلا كيف وكونه فى الليل مأخوذ من قوله ليلا والا لكان مستدركا لانا نقول ذكر المفسرون ان اسرى هو السير ليلا وذكر ليلا بعده فى الاية اشارة الى ان السير كان فى بعض الليل لا فى كله اذ تنوين ليلا للتقليل وسيأتى تفصيله والطيف الخيال ومن اسم موصول عبارة عن المحبوب ابهمه للتفخيم واهوى نفس متكلم من هوى يهوى وضمير المفعول الراجع الى الموصول محذوف اى اهواه واحبه والفاء فى فارقنى جواب شرط محذوف اى لما جاء الى خيال المحبوب ومحبة المعشوق فارقنى وفيه التفات من الخطاب الى التكلم على عكس ما فى المطلع وارق من التأريق وهو التسهير والايقاظ من النوم والنون فيه وقاية والايقاظ من النوم اما على حقيقته لانه اذا امتلأ قلب المشتاق بخيال المحبوب والاشواق يسلب النوم من عينيه ولا يحجب عنهما ابدا فيكون فى اليقظة فى كل حال سرمدا واما مجاز من سلب الغفلة باحوال الدنيا ولذاتها وهو المناسب لسياقه كما ترى والواو فى والحب اما حالية او استئنافية معانية كانه قيل هل شغلت فى اثناء عشقك باللذات فقال كيف والحب يعترض اللذات بالالم ويقول الفقير يمكن ان يكون الواو عاطفة من عطف العلة على معلولها اذ هو علة لما قبله فكأن الناظم الفاهم قال اذ الحب يعترض فيمكن فيه ترتيب قياس تقريره هكذا الحب سالب النوم ودافعه لان الحب يعترض اللذات بالالم وكل شئ شانه كذلك فهو سالب النوم ودافعه ينتج الحب سالب النوم ودافعه ويعترض من اعترض له بسهم اذا اقبل به فرماه فقتله فيعترض بمعنى يقتل ففى اسناده الى الحب مجاز واستعارة تبعية حيث شبه القتل بالاعتراض فى شدة التأثير والتبديل اذ كما فى القتل

تبديل الشكل فكذا فى الاعتراض ثم استعير الاعتراض لمفهوم القتل فذكر الاعتراض واريد القتل وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الاعتراض صيغة يعترض ومن القتل صيغة يقتل وشبه هيئة يقتل بهيئة يعترض بواسطة العلاقة التى فى مصدرهما ثم ذكر يعترض واريد يقتل وعلى مذهب السكاكى فى الحب استعارة مكنية كما لا يخفى واللذات جمع لذة بالنصب مفعول يعترض وبالالم متعلق بيعترض والالم كالكدر لفظا ومعنى لكن هنا مجاز ومستعار من السهم حيث شبه الالم بالسهم فى كونه مهلكا ويحتمل ان يكون فى هذا المصراع استعارة تمثيلية بان شبه الهيئة المأخوذة من الامور المعقولة وهو كون الحب قاتلا وكون الالم الحاصل منه مهلكا وكون اللذات مهلكا به وكون الحب راميا بالالم الى جانب اللذات بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة وهو كون الشخص راميا وكون السهم مرميا به وكون شخص آخر او حيوان مرميا اليه وكون السهم مهلكا ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة لمفهوم الهيئة المأخوذة من الامور المعقولة ثم ذكر الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة واريد الهيئة المنتزعة من الامور المعقولة تدبر وحاصل المعنى ان العشق والمحبة يعرض ويهلك اللذات بسبب الالم كما ان الشخص الرامى يهلك الشخص المرمى اليه بالسهم لان العشق الحقيقى اذا دخل قلب احد يقطعه عن لذائذ الدنيا ونعيمها فلا يبقى له الذوق بشئ من الاشياء لان العشق الحقيقى والالتذاذ بنعم الدنيا ضدان والضدان لا يجتمعان كما ان الدنيا والآخرة ضدان لا يجتمعان فى شخص كما روى ان هارون الرشيد نظر يوما فى نفسه انى اجمع الدنيا مع الآخرة بغير تركهما فاطلع البهلول الولى على ما فى قلب هارون بالمكاشفة وجاء الى بيت هارون الرشيد وكان فى بيته امام قصره عمود عظيم متروك من سنين حتى لو جمع اهل البلد كلهم لا يرفعونه بل لا يحركونه فاخذ البهلول رأس العمود فرفعه ثم ترك ذلك الطرف وجاء الى الطرف الآخر فرفعه ايضا وتركه ثم جاء الى وسطه فاخذه فما رفعه لعدم قدرته والملك الرشيد ينظر الى ما فعله البهلول فطلب الملك البهلول الولى فجاء البهلول فقال الملك ما الغرض من هذا الفعل يا بهلول قال توبيخا الى الملك انى اردت ان اجمع الدنيا فقدرت عليها لكن لم يكن معها الآخرة ثم تركت الدنيا واردت الآخرة فقدرت عليها لكن بترك الدنيا ثم اخذت الوسط لاجمع الدنيا والآخرة فما حصل لى ذلك ففهمت ان تفكرك بان تجمع الدنيا والآخرة باطل وخاصية هذا البيت انك اذا كنت تتهم امرأة فلتكتب هذا البيت على ورقة اترج وضعها على ثديها الايسر وهى نائمة فانها تنطق فى حال النوم بجميع ما فعلت من مليح او قبيح وهذا مجرب صحيح وكذا اذا كنت شككت فى احدانه هل اخذ شيأ من مالك فاكتب هذا البيت فى جلد ضفدع مدبوغ وعلقه فى عنقك فان السارق يندهش ويقر من ساعته باذن الله تعالى

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة * منى اليك ولو انصفت لم تلم

لما كان المخاطب فيما قبل منكرا للدعوى بانه مبتلى بالهوى كان المكالمة والخطاب بينهما بالكاف والضمير ثم لما اقر المخاطب بتلك الدعوى بعد منه المتكلم قليلا اذ الخصم

اذا اقر بالدعوى التى انكرها فيما مضى يرخى له العنان ويوسع عليه فى ذلك الزمان ويفرق عنه خصمه برهة من الاوان فعدل عن الخطاب والضمير الى الخطاب بصيغة النداء فقال يا لائمى الخ اذ صيغة النداء تدل على البعد ويجوز ان يكون عدوله الى الخطاب بصيغة النداء لامالة المقصود بالنداء الى الاداء كذا ذكره سعدى چلبى فى تفسير قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) الآية والمقصود بالنداء هنا الاعتذار من المحبة والهوى ورجاء قبول عذره من اللائم واللائم اسم فاعل من اللوم كما فى قوله تعالى (ولا يخافون لومة لائم) وهو مضاف الى ضمير المتكلم والمعنى يا من يلومنى بلومه ويعاتبنى بعتابه وفى الهوى ظرف للملامة وانما كان ظرفا لها لكون الهوى سببا لها اذ من وقع فى الهوى يلام فى كل صبح ومساء اذ المحب يكون له فى كل حاله انين ويبكى فى جميع وقته بكاء شديدا ويقع فى ملامة ومذلة جدا ولذا قيل

نون الهوان من الهوى مسروقة * فصريع كل هوى صريع هوان

والعذرى بالجر صفة الهوى وهو بضم العين بمعنى المنسوب الى قبيلة بنى عذرة وهى قبيلة فى اليمن مشهورة بكثرة العشق معروفة بوفرة الشوق وكثير شبانهم يموت بهذا الداء لعدم وجدانهم لمرضهم دواء لان فى قلوب رجالهم خفة اى ليس فيهم غش ولا دناءة وفى نسائهم عفة اى ليس فيهن فحش ولا خيانة والمعنى يا من يلومنى فى وقوعى الى الهوى الذى مثل هوى قبيلة بنى عذرة فى الحب الشديد والعشق المديد او المعنى فى وقوعى الى الحب المستولى الذى من شأنه ان يقبل العذر من صاحبه كل احد لان ذلك الحب مستول بالاضطرار فلا يلام من ابتلى به عند الصغار والكبار ويمكن ان يرتب فيه قياس لطيف من الشكل الاول بان يقال هواى عذرى لان هواى عذرى وهوى العذرى عذرى ينتج هواى عذرى اى مقبول حكى ان الاصمعى اراد ان يذهب الى قبيلة من الاعراب مشهورة بالفصاحة والبلاغة عند اولى الالباب ليتعلم منهم الفصاحة حتى يذهب من لسانه الركاكة ففتش فى القبائل فسمع ان قبيلة بنى عذرة مشهورة بالفصاحة فيما بين العرب فذهب الى تلك القبيلة فى اليمن فاضافه بعضهم وكان لصاحب البيت بنت رشيقة القد صبيحة الخد فصيحة الكلام مليحة الملام فجر الاصمعى منها المحبة لكونه مضافا لها والمشهور ان الجر من عمل الاضافة ويقول الاصمعى ثم خرجت من بيت المضيف لا تفرج واطوف فى هذه القبيلة فرأيت شابا لطيفا كالهلال نحيفا كالخلال مصفر اللون من العشق كالعنم وعلامة المحبة فى وجهه كالشمس على العلم فى قلبه ايقاد واشتعال كانه مرتحل الى الآخرة بارتحال فسألته عن الحال وما فى جسمه من الملال فاجاب بالرعشة والاضطراب الحبيبة التى كنت فى بيتها ضيفا بنت عم ذلك المصاب ولنيران هواها فى قلبه اشتعال والتهاب وما رآها منذ سنين وله من فراقها زفرة وانين قال الاصمعى فمضيت الى بيت عمه لاحصل مرام هذا الفتى وارجو منهم بلعل وليت ومتى وقلت يا راحة جراحة كل قلب كئيب ارى فيكم حرمة وذماما لكل غريب فجئت اليكم متشفعا فى امر هذا الشاب

فتعطفى عليه باستمالة ذلك المصاب قالت صلاحه وفلاحه فى فراقنا وفوزه فى الاحتراق بلواعج اشواقنا فبعد الاباء والتى قبلت انجاح منيتى فذهبت الى ذلك الشاب وقلت استعد لمشاهدة المحبوب وكن مراقبا لمواصلة المطلوب فبينا ذلك هاج الغبار من جانب المحبوب فغشى عليه ووقع فى النار التى كانت بين يديه فاحترقت بعض اعضائه فمشيت الى الحبيبة وحكيت الحال فقالت يا سليم القلب انه لا يطيق مشاهدة غبار نعالنا فكيف يطيق مشاهدة انوار جمالنا كذا ذكره شيخ زاده قال الشارح الشرخيتى وحكى ايضا ان الاصمعى فى اثناء طوافه فى هذه القبيلة رأى حجرا قد كتب عليه هذا البيت

ايا معشر العشاق بالله اخبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فكتب الاصمعى على الحجر بعد هذا البيت بيتا وهو

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويصبر فى كل الامور ويخضع

فلما جاء الاصمعى رأى مكتوبا بعد بيته هذا البيت

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم روحه يتقطع

فكتب الاصمعى بعده هذا البيت

اذا لم يطق صبرا وكتما لسره * فليس له شئ سوى الموت انفع

فلما جاء الاصمعى فى اليوم الثالث رأى شابا واضعا رأسه على الحجر ميتا وقد كتب على الحجر هذا البيت

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى الى من كان للوصل يمنع

وقد ذكر هذه الحكاية قره باغى فى محاضراته ايضا ومعذرة مصدر من العذر منصوب بفعل مقدر اى اقبل بصيغة الخطاب او اعذر ومنى متعلق به واليك صلة معذرة وقال شيخ زاده رحمه الله يجوز ان تكون معذرة مفعولا له من اللوم واليك اسم فعل اى يا لائمى اطلب معذرة ابعد فانك ظالم وقوله ولو انصفت الواو ابتدائية او حالية ولو لانتفاء الثانى لانتفاء الاول نحو لو جئتنى لاكرمتك والانصاف العدل اى لو عدلت لما هجوتنى بالملام ولعذرت من ابتلائى برزايا الآلام ولم تلم فعل جحد مطلق من الملامة وياء المتكلم مفعوله اى تنفى الملامة عنى فى هذا المقام قياس استثنائى تقريره هكذا انك لم تنصف لانك لو انصفت لا تلومنى لكن التالى باطل لانك لمتنى كما فهم من قوله يا لائمى والمقدم مثله لانك لم تنصف فثبت انك غير منصف

عدتك حالى لا سرى بمستتر * عن الوشاة ولا دائى بمنحسم

لما كان العاشق ارتجى من اللائم ان يقبل عذره ويترك الملامة له لكون عشقه غير اختيارى بل هو عذرى ولم يقبل اللائم عذره بل لامه فقابل العاشق ذلك اللائم بقوله عدتك حالى الى آخره كلمة عدا ان تعدى بالى يكون بمعنى سرى وان تعدى بعلى يكون بمعنى ظلم وان تعدى بعن يكون للبعد والمجاوزة وهنا اما متعد بالى اى عدت اليك فيكون من قبيل الحذف والايصال كما فى قوله تعالى (واختار موسى قومه) فعلى

هذا جملة عدت اما دعاء على اللائم او دعاء له اما كونه دعاء على اللائم فلكونه لائماله صورة فحينئذ يكون فيه اشارة الى قوله عليه السلام (من عيّر اخاه المسلم بذنب لم يمت حتى ابتلاه الله به) واما كونه دعاء له فاما لكونه ناصحا له حقيقة واما عملا بقوله عليه السلام (صل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك) واما متعديا بعن اى عدت عنك والجملة ايضا اما دعاء عليه بالحرمان من الوصول الى مرتبة العشاق الى رسول الله فيكون المعنى تجاوز عنك حالى ولم يبق فيك واما دعاء له بانى ادعو الله ليتجاوز عنك حالى اى سقم القلب وبكاء العين والكون ملوما وعلى كل تقدير جملة عدت اخبارية مستعملة فى معنى الانشاء مجازا واستعارة بان يشبه النسبة الانشائية الكائنة فى ليتعد بالنسبة الاخبارية واريد النسبة الانشائية وبتبعية هذه الاستعارة استعملت الصيغة الموضوعة للنسبة الاخبارية اعنى عدت حالى فى النسبة الانشائية اعنى ليتعد حالى ونظيرها كثير فى الحديث والقرءآن كما لا يخفى على اهل البيان ونكتة المجاز اما التفاؤل كانه دعا واستجيب واما لاظهار شدة حرصه ورغبته على وقوعه كانه لكمال حرصه تخيل وقوعه فعبر بالماضى وقوله حالى بالرفع على انه فاعل عدت وهى موئنث سماعى وقد تذكر والحال فى اللغة نهاية الماضى وبداية المستقبل وفى اصطلاح النحويين ما يبين هيئة الفاعل او المفعول به لفظا نحو ضربت زيدا قائما او معنى نحو زيد فى الدار قائما وفى اصطلاح الحكماء كيفية فى النفس غير راسخة فيها لانهم قسموا الكيفيات النفسانية الى قسمين لانها ان كانت راسخة فى النفس فهى ملكة وان لم تكن راسخة فهى حال فالحال بهذا المعنى ما لا يكون معدوما ولا موجودا ولا دائما كالحزن والسرور الغير الدائمين والحال فى اصطلاح اهل الحق والتصوف معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب او حزن او قبض او بسط او هيبة او خيبة ويزول بظهور صفات النفس سوآء يعقبه المثل اولا فاذا دام وصار ملكة يسمى مقاما فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود والمراد ههنا الحال التصوفى فيكون المعنى سرى اليك ما كان فى قلبى من الحب الحقيقى لانك وان لمتنى صورة لكن ما لمتنى حقيقة او ابتلاك الله بمثل ما ابتليت به ثم كأن سائلا قال كيف كان حالك فاجاب بقوله لا سرى الى آخره فتكون جملة لا سرى بمستتر استئنافية معانية ولا مشبهة بليس وسرى مضاف الى ياء المتكلم وهو الامر الخفى وهو بالرفع محلا اسم لا فان قلت ان اسم لا المشبهة بليس لا يكون معرفة فكيف يكون قوله سرى اسم لا مع كونه معرفة لكونه مضافا الى المعرفة قلت هذا مبنى على مذهب الاخفش فانه وان لم يجوزه الجمهور لكن الاخفش جوزه والباء فى بمستتر زائدة وهو خبر لا وعن متعلق بمستتر والوشاة جمع واش كالقضاة والغزاة والواشى بمعنى الغامز والمنافق الذى يسعى بالفساد بين العاشق والمعشوق ليفرق بينهما قال الشاعر

لئن كنت قد بلغت عنى جناية * لمبلغك الواشى اغش واكذب

وقال آخر

قالوا الوشاة قد ادعى بك نسبة * احزنت لما قلت قد صدقته

وقوله ولا دائى عطف على لا سرى واعادة حرف النفى للتأكيد والدآء المرض مضاف الى ياء المتكلم والمنحسم اسم فاعل من الانحسام بمعنى الانقطاع اى ولا مرضى بمنقطع بالوصول الى المحبوب ويمكن ان يرتب فيه قياس تقريره هكذا دائى ليس بمنحسم لان دائى لو كان منحسما لوجد له الاطباء ولو وجد له الاطباء لوجد وصلة الاحباء ينتج انه لو كان دائى منحسما لوجد له وصلة الاحباب لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه اعنى ان دائى ليس بمنحسم فحاصل معنى البيت يا لائمى انى رجوت الاعتذار منك كثيرا فما قبلت وما تركت الملامة فانا ارجو الله تعالى ان يبتليك مثل ابتلائى فكأن السائل سأل عن ابتلائه بانه كيف الحال فى ابتلائك فقال كنت ملابسا بحال لم يكن سرى بمستتر عن الغمازين بين المحب والمحبوب لانه سلب عنى الاختيار وكان سرى مكشوفا بالاضطرار اذ ورد عن الكمل والكبار العشق هتك الاستار وكشف الاسرار وكان ايضا مرضى اعنى العشق للنبى المختار غير منقطع عنى فى كل ليل ونهار ولا ينفعنى البعد عنه والفرار الا الوصلة الى جنابه الذى كلمه الاحجار والاشجار والى جماله الذى طلعت منه الانوار

محضتنى النصح لكن لست اسمعه * ان المحب عن العذال فى صمم

ولما فهم الناظم الفاهم ان لوم اللائم وان كان لوماله صورة لانه حمل عشقه على المجازى وقال ان عشقك لفلان ابن فلان لا للنبى ولا للرحمن لكنه فى الحقيقة نصح له بان العشق المجازى ليس كما ينبغى لانه تضييع الاوقات فيما لا يعنى وبذل النفس فيما لا يسمن ولا يغنى فقال هضما لنفسه وانكارا لحبه الحقيقى احترازا عن العجب الذى هو اعظم الذنوب وافحمها ولذا قال عليه السلام (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اعظم من ذلك العجب العجب) قوله محضتنى النصح الخ وهو بصيغة الخطاب خطاب لمن يلومه فى العشق المجازى وهو من التمحيض والتمحيض كالامحاض جعل الشئ محضا اى خالصا وصافيا عما لا ينبغى والنصح منصوب على انه مفعول ثان له اى جعلت لى النصيحة محضا خالصا بحيث لا يشوبها غرض من الاغراض الفاسدة والآراء الكاسدة والنصح من النصيحة وهو ارآءة الخير للغير وكلمة لكن للاستدراك وهو دفع توهم نشأ من الكلام السابق لانه لما قال محضتنى النصح تولد منه توهم بانك هل انتصحت بنصحه فدفعه فقال لكن لست الخ هضما لنفسه والا فلم يكن فى الناظم الفاهم عشق مجازى حتى يتركه بنصح ناصح لان عشقه حقيقى لانه للنبى عليه السلام وقوله لست اسمعه بمعنى لم التفت اليه بطريق المجاز التبعى بان يشبه الالتفات بالاسماع فى توجه القلب فذكر الاسماع واريد الالتفات ثم اشتق من الالتفات التفت ومن الاسماع اسمع فشبه التفت بالعلاقة التى فى مصدرهما باسمع فذكر اسمع واريد التفت وقوله ان المحب الخ علة لعدم السماع فالتقدير لان المحب فحذف الجار لكونه قياسيا كقوله تعالى (عبس وتولى ان جاءه

الاعمى) والالف واللام فى المحب للاستغراق اى كل محب فان قلت الالف واللام الداخلة على اسم الفاعل والمفعول بمعنى الذى فكيف يكون اللام ههنا للاستغراق قلت الالف واللام الداخلة عليهما ليست بمعنى الذى مطلقا بل انما تكون بمعناه اذا كان الفاعل والمفعول بمعنى الحدوث نحو الضارب والمضروب بمعنى الذى ضرب واما اذا كان بمعنى الثبوت كالواجب والمؤمن وغيرهما فلا يكون كذلك بل يكون حكمه حكم الصفة المشبهة والالف واللام فيه للتعريف وما وقع ههنا من هذا القبيل فاحفظ هذا والمحب منصوب على انه اسم ان فان قلت ما النكتة فى نصب ان اسمه ورفعه خبره ولم يجعل الامر بالعكس قلت تفصيله انه لما صار عاملا فلا يخلو اما ان يرفع المبتدأ والخبر معا او ينصبهما معا او يرفع المبتدأ وينصب الخبر او ينصب المبتدأ ويرفع الخبر والاول باطل لان الخبر والمبتدأ كانا قبل دخول ان عليهما مرفوعين فلو بقيا كذلك بعد دخول ان عليهما لما ظهر له اثر ولانه اخذ العمل من المشابهة بالفعل والفعل لا يرفع الاسمين وكذلك ما يشابهه لان الفرع لا يكون اقوى من الاصل والثانى ايضا باطل لانه اخذه من الفعل وهو لا ينصب شيئين مع خلوه عن ما يرفعه والثالث ايضا باطل لانه لو رفع المبتدأ ونصب الخبر لكان بين الاصل والفرع تساو وهو باطل ولما بطلت الاقسام الثلاثة تعين القسم الرابع وكذا الكلام فى اخوات ان وان مع اسمه وخبره جملة والجملة استئنافية كأن قائلا قال لم لم تسمع النصيحة فاجاب بقوله ان المحب الخ وعن فى عن العذال متعلق بالصم المؤخر فان قلت ان تقديم ما فى حيز حرف الجر عليه ممتنع فكيف يصح تقديم معمول ما فى حيز حرف الجر لان المعمول لا يقع الا حيث يصح وقوع العامل فيه قلت تقديمه هنا للاتساع فى الظروف لان الظروف يغتفر فيها ما لا يغتفر فى غيرها او لضرورة الشعر كما قاله الشاعر فى بيان ضرورات الشعر

وقد جاء فى التركيب بعض تصرف * كفصل وتقديم ومثل زيادة

والعذال جمع عاذل بمعنى اللائم ويجوز ان يكون العذال هنا بمعنى المتكلم مطلقا لانما كان اوناصحا من قبيل ذكر الخاص وارادة العام كما يشير اليه التعميم فى الحديث وفى صمم اى فى وقر عن سماع كلامهم وهو ظرف مستقر خبر ان والصمم بفتحتين ضد السمع والظرفية مجازية واستعارة تبعية بان يشبه شمول العموم المطلق بشمول الظرفية المطلقة فى الاحاطة المطلقة فاستعير شمول الظرفية المطلقة لمفهوم شمول العموم المطلق فذكر شمول الظرفية المطلقة واريد شمول العموم المطلق وبتبعية هذه الاستعارة شبه شمول العموم الجزئى بشمول الظرفية الجزئية فى الاحاطة الجزئية ثم استعير الكلمة الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية اعنى فى مفهوم شمول العموم الجزئى ثم ذكر كلمة فى الموضوعة لشمول الظرفية الجزئية واريد شمول العموم الجزئى ونكتة المجاز المبالغة ويمكن ان تكون الاستعارة مكنية فى مدخول فى اعنى صمم بان شبه الصمم بالكوز فى الاشتمال واثبت له ما هو من خواص المشبه به اعنى الاداة الدالة على الحلول الحقيقى وفى هذا البيت تلميح الى قوله عليه السلام فيما رواه البخارى (حبك الشئ

يعمى ويصم) فاعلم انه يمكن ان يكون فى هذا البيت قياس اقترانى ترتيبه هكذا انى لم اسمع نصحك لانى محب والمحب فى صمم عن العذال ينتج انى فى صمم عن العذال وكل من فى صمم عن العذال لا يسمع نصحك ينتج انى لم اسمع نصحك وصغرى القياس الاول مسلمة عند الخصم ودليل كبراه الحديث السابق وتقريره بان يقال كل محب فى صمم عن العذال لانه لما قال صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم وكان هذا الحديث خاص اللفظ عام المعنى كان كل محب فى صمم عن العذال لكن المقدم حق والتالى مثله وخاصية هذا البيت انك اذا كنت تخاف من شر احد او مكره فاكتب هذا البيت فى كاغد ويكون الكاغد دائرة واجعلها على مقدم رأسك تحت العمامة فانك تكون باذن الله تعالى محفوظا من شره ومكره

انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى * والشيب ابعد فى نصح عن التهم

ولما ورد المنع على دليل عدم سمعه نصيحة الناصح بانه لا نسلم ان عدم قبولك واستماعك النصح من كونك محبا لم لا يجوز ان يكون من حملك نصيحة الناصح على الحسد والطمع اثبت دعواه السابقة بقوله انى اتهمت الى آخره فتقدير انى لانى حذف الجار لكونه قياسيا فهو فى الحقيقة علة واتهمت نفس متكلم من باب الافتعال بمعنى حملت على التهمة يقال اتهمت فلانا بكذا اى نسبته الى شئ يورث العار والتهمة اسم منه وتاؤه بدل من الواو اذ اصله وهمته كما فى تخمة ونصيح الشيب منصوب على انه مفعول لاتهمت والنصيح فعيل بمعنى الفاعل اى الناصح مضاف الى الشيب والاضافة اما من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها اى حملت الشيب الناصح على التهمة واما من قبيل اضافة المشبه الى المشبه به اى الناصح كالشيب فى الاخبار عن قرب الموت او النصيح مصدر فاضافته الى الشيب من اضافة المصدر الى فاعله ويحتمل ان تكون الاضافة بيانية والشيب كون الشعر بياضا وقيل هو الشعر الابيض والمراد بنصيحة الشيب كون الشيب قائلا بلسان الحال قد قرب الارتحال وحان الزوال فهذا اوان التوبة من سيء الاحوال كما قال الشاعر الفارسى

موى سپيد از كفن آرد پيام * پشت خم از مرك رساند سلام

وورد فى الخبر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما كان خليفة نبه اعرابيا ان ينادى فى كل صباح وراء داره يا عمر لا تنس موتك واعمل فى الدنيا بقدر مقامك فيها فلما وجد عمر رضى الله عنه فى لحيته بياضا قال للاعرابى اترك النداء لان مخبرى ومذكرى حصل فى نصب عينى فلم يبق لندائك حاجة وقوله فى عذلى متعلق باتهمت والعذل بسكون الذال المعجمة بمعنى اللوم حرك الذال لضرورة الشعر وللخفة وقال المحقق العصام هو بالتحريك على الاصل واضافته الى ياء المتكلم من اضافة المصدر الى مفعوله اى فى لومه اياى والمعنى انى حملت على التهمة النصيح الذى كالشيب او ناصح شيب اى شيخ فى لومه اياى لان الناصح يلوم ويعاتب لمن يلقى اليه النصح وقرئ ايضا فى عدلى بالدال المهملة فيكون مصدرا بمعنى العدول وعلى هذا يتعلق

فى بنصيح واضافته اضافة المصدر الى الفاعل اى نصيح الشيب فى حق عدولى عن الاحوال السيئة وهذه القرآءة احسن من جهة انه على هذا تكون اضافته الى الياء من اضافة المصدر الى فاعله فهو اصل فى المصدر والواو فى والشيب حالية والشيب مبتدأ وابعد خبره وهو اسم تفضيل ويلزم فى استعماله ولو تقديرا احد الشروط الثلاثة اعنى الاستعمال باللام او بمن او بالاضافة وهنا استعمل بمن المقدرة لان المعنى ان الشيب ابعد من كل شئ ناصح وفى نصح متعلق بابعد وتنوينه عوض عن المضاف اليه اى فى نصحه وعن التهم متعلق بابعد وفى بعض الرواية من التهم فان قيل فعلى هذا يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بمتعلق واحد مع انه غير جائز قلت فعلى هذا تكون من المذكورة متعلقة بمادة البعد لا بصيغة افعل التفضيل كما فى قولهم الانسان الاعم من زيد كذا فان قولهم من زيد متعلق بمادة العموم لا بالصيغة والا لزم استعمال افعل التفضيل بمجموع الامرين اعنى اللام وكلمة من وهو باطل كما تقرر فى النحو كذا قاله كانبوى فى حاشية التهذيب ثم اعلم انه لما كان هذا البيت علة لماقبله امكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال انى لم اسمع لومك ونصحك لانى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى مع ان الشيب ابعد فى نصح عن التهم وكل من شأنه كذا فلا يسمع نصحك ولومك ينتج انى لم اسمع لومك ونصحك ويمكن ان يرتب بترتيب آخر احسن من الاول بان يقال انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى والشيب ابعد فى نصح عن التهم ينتج من غير متعارف الشكل انى اتهمت النصيح الابعد فى نصح عن التهم فنضم اليه الكبرى لينتج الدعوى بان يقال وكل من اتهم النصيح الابعد فى نصح عن التهم لا يسمع لومك ونصحك ينتج من المتعارف انى لم اسمع لومك ونصحك

فان امارتى بالسوء ما اتعظت * من جهلها بنذير الشيب والهرم

لما فرغ من الكلام السابق الذى فى العشق والهوى انتقل الى الكلام الذى فى دآء النفس ودوآئها بانتقال حسن اذ جعل قوله فان امارتى الى اخره علة لما سبق اى لقوله انى اتهمت الى آخره وبين العلة والمعلول مناسبة تامة كما لا يخفى فالفاء فى فان للتعليل ويمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول بان يقال انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى لان نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت من جهلها بنذير الشيب والهرم وكل من شأنه كذا يتهم نصيح الشيب فى عذلى ينتج انى اتهمت نصيح الشيب فى عذلى والامارة مبالغة اسم الفاعل بمعنى الآمر بالسوء مبالغة واضافته الى ياء المتكلم للعهد اى امارتى المعهودة وهى النفس ويجوز ان يكون من حذف الموصوف وذكر الصفة وارادته منها فان الآمر بالسوء مبالغة صفة النفس بقرينة تخصيصه تعالى بالنفس فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ان النفس لأمارة بالسوء فيكون فى هذا البيت صنعة تلميح الى هذه الآية وقوله بالسوء صلة للامارة والسوء بالضمة اسم بمعنى الفتنة والعذاب والبلاء وبالفتح مصدر يقال رجل سوء على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة مثل قولهم رجل عدل وقوله ما اتعظت ما نافية واتعظت من الاتعاظ بمعنى قبول الوعظ وجملته خبر ان ومن

جهلها متعلق بالنفى ومن اما على معناه الاصلى اى عدم قبولها الوعظ ناشئ من جهلها او بمعنى لام التعليل فعلى هذا يمكن ترتيب قياس هكذا نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت لان نفسى الامارة بالسوء جاهلة بنذير الشيب والهرم وكل نفس شأنها كذا فلا تتعظ ينتج نفسى الامارة بالسوء ما اتعظت وقوله بنذير يجوز ان يكون متعلقا باتعظت وان يتعلق بجهلها فيكون من قبيل تنزيل العالم منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم والنذير اما بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار او بمعنى المنذر كالبديع بمعنى المبدع فعلى الاول تكون اضافته من اضافة المصدر الى فاعله وعلى الثانى يكون من قبيل الاضافة البيانية ويجوز ان تكون اضافته من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها وان اعتبرت المشابهة بين الشيب والنذير يكون من قبيل لجين الماء والهرم عطف على الشيب وهو بفتحتين او بكسر الرآء تناهى الشيب وقال الجادمى والمراد لازمه اعنى انحراف القامة ثم اعلم ان هذا المقام يقتضى بسطا من الكلام حتى يفهم المرام فنقول اولا اختلفوا فى ان النفس ماهى ذهب بعض المتكلمين الى انها الجسد والهيكل المحسوس وبعضهم ذهبوا الى انها الاجسام الاصلية باقية من اول العمر الى آخره وقال ابن الراوندى انها اجزآء لا تتجرد عن القلب والنظام ذهب الى انها جسم لطيف نورانى يسرى فى البدن كسريان النار فى الفحم وبعض الاطباء ذهب الى انها هى القوة المودعة فى الجانب الايسر من القلب وتسمى الروح الحيوانى وعند بعض آخر منهم هى القوة المودعة فى الدماغ وتسمى بالنفس الانسانية وعند الحكماء جوهر مجرد لا يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف والمراد هنا النفس الانسانية وهى التى قد خاطبها الله وجعلها موضع الامر والنهى وهى معدن الاخلاق الذميمة مودعة فى جميع جسد الانسان وهى مجبولة على ضد الروح التى فى اعلى عليين فانها تأمر بالخير وتنهى عن الشر فتلك النفس تابعة للارواح التى فى اسفل السافلين كالشياطين الذين لا يأمرون الا بالشر ولا ينهون الا عن الخير واما منشأ خلق النفس فان الله تعالى لما نفخ الروح المخلوق فى العهد والميثاق فى جسد آدم عليه السلام خلق من ازدواج الروح مع الجسد ولدين ولدا ذكرا وهو القلب اللطيف المشبه بوالده الذى هو الروح العلوى فيأمر بالخير وينهى عن الشر وكان ذلك منظر ربنا ذى الغفران وبين اصبعى الرحمن وولدا انثى وهى النفس الكثيفة المشبهة بوالدتها التى هى الجسد السفلى فتأمر بالشر وتنهى عن الخير وجعل موضعها جميع الجسد ثم ان المتصوفين قالوا النفس سبع الاولى النفس الامارة وهى التى تميل الى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية فهى مأوى الشرور ومنبع الاخلاق الذميمة لانها مبدأ الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والبخل والحقد والثانية النفس اللوامة وهى التى تنورت بنور القلب فتطيع العاقلة تارة وتعصى اخرى ثم تندم فتلوم نفسها وهى منبع الندامة لانها مبدأ الهوس والعثرة والحرص والثالثة النفس المطمئنة وهى التى تنورت بنور القلب

حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة والرابعة النفس الملهمة وهى التى الهمها الله العلم والتواضع والقناعة والسخاوة فلذا كانت منبع الصبر والتحمل والشكر والخامسة النفس الراضية وهى التى رضى الله تعالى عنها ويظهر فيها اثر رضاه تعالى وهو الكرامة والاخلاص والذكر والسادسة النفس المرضية وهى التى رضيت بتلك عن الله تعالى كما قال الله تعالى ورضوا عنه ويترك فيها الكرامات ويعرف فيها الله تعالى بكنه ذاته والسابعة النفس الصالحة وهى التى مقام الاسرار بين الله تعالى و بينها ثم ان الاولى نفس الكافرين والشياطين والفاسقين والثانية نفس الغير الفاسقين من المؤمنين والثالثة نفس المتعلمين العالمين والرابعة نفس المعلمين العاملين والخامسة نفس الاولياء الكرام والسادسة نفس العارفين والسابعة نفس الانبياء والمرسلين ونفس الناظم الفاهم من قبيل الخامسة لانه ولى كامل ذو الكرامة والفخامة وعد نفسه من نفس الفاسقين لهضم نفسه كما قال يوسف عليه السلام هضما لنفسه (وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء) ولان فيه سلوكا الى طريق المنصف كما فى قوله (ومالى لا اعبد الذى فطرنى واليه ترجعون) لكون هذه الطريقة عجيبة الشان فى البلاغة لانه يكون اكثر ايقاظا لاصغاء السامعين واقوى ذريعة لقبولهم من حيث انه لا يخاطب بما يمجه سماعهم وينفر منه طباعهم اللهم اجعلنا ممن نفوسهم راضية وقلوبهم وجلة وارحمنا حين وصلت الروح الى الحلقوم وصعدوا بها الى الحى القيوم

ولا اعدت من الفعل الجميل قرى ✱ ضيف ألم برأسى غير محتشم

لما بين ان النفس الامارة بالسوء لم تجتنب عن شئ من القبائح ولم تنته بالنهى عنها اراد ان يبين كونها غير مؤتمرة بالامر بالافعال الجميلة والاخلاق الحميدة فقال ولا اعدت من الخ فعلى هذا تكون هذه الجملة معطوفة على جملة اتعظت على ان يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح والاعداد عبارة عن الاتيان بالافعال الجميدة فيكون البيت الاول اشارة الى ان نفسه لم تنته بنهى العاقلة والبيت الثانى الى انها لم تأتمر بامرها ويحتمل ان يكون من قبيل عطف الخاص على العام على ان يكون الاتعاظ عبارة عن الاجتناب عن القبائح والاتيان بالمحاسن ويكون الاعداد عبارة عن الاتيان بالمحاسن فيكون اخص من الاتعاظ ثم ان تكرير لا للتاكيد واعدت من الاعداد وهو التهيؤ كما فى قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين) اى احضرت وهيئت وقوله من الفعل متعلق باعدت ويجوز ان يكون من الفعل الجميل بيانا لقرى ضيف قدم عليه للوزن والفعل الجميل ما يستحسن شرعا لا ما يستحسن مطلقا لان بعض الافعال يستحسنه العقل مع انه فى الشرع مذموم وفى الفعل الجميل استعارة مكنية تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل فى الذهن بالقرى فى تحصيل اللذة والسرور وادعى ان الفعل الجميل من جنس القرى ثم استعير القرى فى الذهن لمفهوم الفعل الجميل ثم ذكر القرى فى الذهن واريد منه الفعل الجميل

وفى الخارج ذكر الفعل الجميل واريد نفسه واثبات الاعداد للفعل الجميل يكون تخييلية وقرى بكسر القاف والقصر مصدر قولهم قريت الضيف اذا احسنت اليه بالطعام فالقرى يجئ فى اللغة الى معنيين احدهما المعنى المصدرى وهو الاطعام وثانيهما الحاصل بالمصدر وهو الطعام والمراد به ههنا التوبة والاعمال الصالحة واضافته الى الضيف لامية والمراد بالضيف الشيب مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الشيب بالضيف فى المجيئية فجأة من غير خبر ولا مقدمة ولا رائد فاستعير الضيف للشيب فذكر الضيف واريد منه الشيب فيكون قوله ألم قرينة لهذه الاستعارة وقرى ترشيحا لها ويكون المراد بالقرى الفعل الجميل مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الفعل الجميل والعمل الصالح بالقرى فى ايراث المنفعة لصاحبه فاستعير القرى للفعل الجميل فذكر القرى واريد الفعل الجميل والعمل الصالح لا يقال لا تجوز الاستعارة فى هذا المقام لانه قد ذكر فيه المشبه والمشبه به معا وكل مقام ذكر فيه المشبه والمشبه به معا فلا تجوز الاستعارة فيه لانا نقول ان اردتم من ذكر المشبه والمشبه به معا ذكرهما على وجه ينبئ عن التشبيه فلا نسلم الصغرى كيف وفى هذا المقام لم يكن ما ينبئ عن التشبيه وان اردتم ذكرهما مطلقا فلا نسلم الكبرى كيف وان البيانيين صرحوا بان ذكرهما انما يضر الاستعارة لو كان على وجه ينبئ عن التشبيه والا فلا كما فى قوله

لا تعجبوا من بلى غلالته ✱ قد زر ازراره على القمر

ثم ان قوله ألم ماض من الالمام بمعنى النزول كما فى قوله

المت فحيت ثم قامت فودعت ✱ فلما تولت كادت الروح تزهق

وجملة ألم مجرور محلا صفة ضيف وقوله برأسى متعلق به فان قيل لم خصص الراس من بين الاعضاء قلنا لانه اول ما يظهر فيه الشعر البياض وقوله غير محتشم بالنصب حال من المضاف اليه اعنى الضيف لان المضاف مصدر لان بعض المحققين صرحوا بان الحال من المضاف اليه انما يجوز اذا كان المضاف مصدرا او يكون جزأ من المضاف اليه او بمنزلة جزئه ومنهم ابن مالك فى الفيته

ولا تجز حالا من المضاف له ✱ الا اذا اقتضى المضاف عمله

او كان جزء ما له اضيفا ✱ او مثل جزئه فلا تحيفا

وما قيل انه من قبيل قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا لا يستقيم لانه مشروط بكون العامل فى الحال عاملا فى المضاف لما بين المضاف والمضاف اليه من الاتحاد وههنا لا يجوز ان يكون اعدت عاملا فى غير محتشم كما لا يخفى ويجوز ان يكون حالا من فاعل ألم ويمكن ان يكون حالا من ياء المتكلم فى الراس وهو المناسب لو قرئ محتشم على صيغة اسم الفاعل ويمكن ان يكون غير بالجر على انه صفة للضيف لكن فيه ما فيه فقوله محتشم اما على صيغة الفاعل من الاحتشام بمعنى الاحترام وهو المناسب للاول واما على صيغة اسم المفعول من الاحتشام بمعنى التوقير اى غير موقر او من الاحتشام بمعنى الحشامة والعسكر اى غير مقارن بالعسكر بل جاء وحدانا وهو مناسب لكونه

حالا من الضيف اومن فاعل ألم فان قيل لو كان محتشم على صيغة المفعول لورد عليه ان باب الافتعال لا يأتى منه صيغة اسم المفعول قلنا وان لم يأت اسم المفعول منه مستقلا لكنه اتى مقارنا بحرف الجر وهنا مقدر اى غير محتشم فيه نخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

لو كنت اعلم انى ما اوقره ＊ كتمت سرا بدالى منه بالكتم

فكانه لما لم تتعظ نفس الناظم الفاهم بنصح الشيب اى نصيحة الناصح الكامل ولا اعدت الضيافة من الفعل الجميل مثل الطاعة والتوبة لضيفه الشيب حال كون ذلك الضيف غير موقر ومحترم فى نفسه ندمت من هذه الافعال السيئة واظهرت ندامتها قال لو كنت الخ اعلم ان لو لامتناع الثانى لامتناع الاول فالتقدير لكن لم اعلم فلم اكتم سرا بدالى الخ وكنت بخبره اعنى بجملة اعلم فعل شرط للو وما فى ما اوقره نافية واوقر على صيغة المتكلم من التوقير بمعنى التعظيم والتكريم والاحترام وضمير المفعول راجع الى الضيف المراد منه الشيب وكتمت جزاء الشرط والكتم الاخفاء كما فى قوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والمراد من السر هنا انذار الشيب بقرب الرحلة بلسان الحال وجملة بدا صفة للسر وبدا بمعنى ظهر كما فى قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى ومنه متعلق ببدا وضميره للشيب اى من طرفه والكتم نبت يختضب به كالحناء وفى هذا البيت من صنائع البديع رد العجز على الصدر وهو فى البيت ان يكون احدا للفظين فى آخر البيت والاخر فى صدر المصراع الاول او يكون احدهما فى آخر البيت والاخر فى صدر المصراع الثانى كقوله

وقد كانت البيض القواضب فى الوغى ＊ بواتر فهى الآن من بعدها بتر

وحاصل معنى البيت لو كنت عالما بانى ما اعظم وما اكرم وما اوقر الضيف اعنى الشيب بالاطعام بالفعل الجميل لكنت كاتما وساترا اول وهلة للامر الذى ظهر لى من ذلك الضيف اعنى الشيب بالخضاب بالحناء لانه سنة من نزل عليه الوحى فى جبل حرا فلا يعرف احد امرى ولا يظهر سرى ويرفع عنى الفضاحة ويقطع منى الهجو والشناعة وتلخيصه انى لو كنت عالما بانى لا اكون عاملا فى حال الاختيار والشيخوخة وزاهدا وتاركا للسيئات والاشرار لكتمت شيبى بالخضاب بالحناء حتى لا يهجونى الناس بانه كان شيخا ذا شيب وهو فى هذا السن لا يكون عاملا وزاهدا بل يكون تاركا للاوامر والسنن لكن ما علمت عدم عملى فلا كتمت فقد هجونى هذا ما ظهر للخاطر الفاتر ونعم ما قيل معنى الشعر فى بطن الشاعر

من لى برد جماح من غوايتها ＊ كما يرد جماح الخيل باللجم

فكانه لما عجز عن سوء نفسه الامارة الغدارة المكارة ولم تقبل نصيحة الناصح الكامل فكانه قيل له اصلح نفسك بالمرشد الكامل لان المرشد له ارشاد كل من استغرق فى الهوى ولم يعلم النبى والمولى وبه يكون اكثر الفاسقين صالحا واوفر العاصين زاهدا بل كل رجل يلزم له ان ينيب الى مرشد كامل ولذا قال ابو يزيد البسطامى من لم يكن له

شيخ فشيخه الشيطان وقال غيره لو ان الرجل يوحى اليه ولم يكن له شيخ لا يجيء منه شيء والى ما قلنا يشير قوله تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فقال مجيبا لذلك القائل من لى الخ الاستفهام اما انكارى اى هل يوجد كفيل يتضمن لى برد الخ اى لا يوجد كفيل متضمن ذلك المذكور لان نفسى فى الضلالة والطغيان فلا هادى لها الا الله الملك المنان نعم قد ورد ولكل قوم هاد لكن وجود مثل هذا الشخص انما هو بمحض عناية الله تعالى وتوفيقه كيف وقد آل الامر فى هذا الزمان الى ان من لم يكن مريدا قط يدعى الشيخوخة ويجيز بها لانتشار ذكره وشهرته وكثرة مريديه وقد جعلوا هذا الشان العظيم لعبة الصبيان وضحكة الشيطان حيث يتوارثونه واذا مات واحد منهم يجلسون ابنه مقامه صغيرا كان او كبيرا ويلبسونه الخرقة ويتبركون به وينزلونه منازل الشيوخ فهذه مصيبة قد عمت ولعل هذه الطريقة قد عفت واندرست آثارها والله اعلم باخبارها ويجوز ان يكون الاستفهام للتمنى والاستعطاف والاستغاثة بكل احد ثم ان قوله لى وبرد ظرفان متعلقان بالمقدر اعنى يتضمن او يتكفل والرد الصرف والمنع مصدر مضاف الى مفعوله والجماح جمع جموح وهو من الخيل السمين الشديد الذى لا يضبط لشدة رأسه وعلى هذا فيه تشبيه واستعارة حيث شبه النفس بالخيل فى صعوبة ضبطها او شدة امساكها واهلاك صاحبها ثم استعير الخيل للنفس ثم ذكر ما يدل على المشبه به واريد المشبه وهذه الاستعارة مأخوذة من لسان الشرع كما جاء فى الحديث الشريف نفسك مطيتك فارفق بها وكما قال الامام الغزالى انت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة كالفرس وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل بينهم والقيام بحقوقهم والاعانة لهم لتقبض بمعونتهم شرف الدارين وسعادتهما فان ارضيت الفرس وادبت الكلب وسخرتهما للملك يتيسر لك الظفر بما طلبت والا فانت هلكت ويجوز ان يكون الجماح مصدرا بمعنى الشدة فحينئذ يكون التنوين فيه عوضا عن المضاف اليه اى جماح نفسى فيكون على حقيقته فتدبر ومن غوايتها متعلق برد وقيل صفة جماح اى جماح ناشئ من غوايتها والغواية الضلالة والضمير للنفس وحذف فى هذا المصراع آلة رد النفس عن الضلالة ولم يذكر كما فى المصراع الثانى لضرورة الشعر وهى وعظ المرشد ونفسه وهمته وقوله كما يرد صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد جماح فما مصدرية وانما اتى بهذا التمثيل تسلية لقلبه لانه استصعب وجود ردها عن المعاصى فرده بانه يوجد لان له نظيرا والجماح الثانى بكسر الجيم مصدر جمح جموحا بمعنى الشدة والغلظة وعلى هذا يكون الرد بمعنى الازالة ويجوز ان يكون جمعا فتكون اضافته بيانية او من قبيل اضافة الموصوف الى صفته اى الخيل الجماح فافهم وباللجم متعلق بيرد وهى جمع لجام ككتب وكتاب واللجام معرب لكام الفارسى وقال قوم انه عربى لا تعريب فيه كذا ذكره الجوالقى فى كتابه المعرب وهو الذى يضرب بفم الفرس ليكون صاحبه قادرا به لتوجهه نحو المطلوب وفى هذا البيت من صنائع البديع جناس بين من ومن وبين برد ويرد وبين الجماح والجماح وتناسب بين الخيل واللجم وحاصل معنى البيت ظاهر مما ذكرنا

ظهور الاحاجة الى اعادته

فلا ترم بالمعاصى كسر شهوتها * ان الطعام يقوى شهوة النهم

فلما عد فى الابيات السابقة انغماس النفس فى اودية المعاصى والذنوب وعدم قبول وعظ الناصح بالانذار بقرب الوقت كالغروب وعجز عن اصلاحها بعد الندامة واسترشد بالمرشد الكامل ولم يجد ذلك المرشد فكانه قيل ان مرشد نفسك حاضر عندك فلا حاجة الى الطلب وتبعيد وجوده وهو استيفاؤها بالمعاصى لان النفس اذا استوفت وشبعت من شئ كمال الشبع تسأم منه فلا ترغب اليه بعده ابدا فانت اذا استوفيتها بالمعاصى كلها كسرت شهوتها ولا تميل اليها بعده ابدا قال رد الذلك القائل فلا ترم بالمعاصى الخ بتغيير الاسلوب من التكلم الى الخطاب وهو التفات عند جمهور اولى الالباب ونكتته الشروع فى رد جماح النفس وبيان كيفيته ولا ترم نهى حاضر من رام بمعنى طلب وصيغة النهى دالة على كون المنهى عنه قبيحا كما ان الامر بالشئ يدل على حسنه والفاء فيه جزائية اى اذا اكرمت النفس واشبعتها بضيافة الذنوب فلا ترم الخ والباء فى بالمعاصى للاستعانة كما فى كتبت بالقلم والمعاصى جمع معصية وهى الذنب صغيرا كان او كبيرا وكسر بالنصب مفعول لفلا ترم والكسر بمعنى القطع والانكسار اى فلا تطلب انقطاع اشتهاء النفس بالمعاصى وانكسارها وفى قوله بالمعاصى استعارة مكنية تعبيرها هكذا شبه المعاصى للنفس بالطعام للسان فى كونهما مشتهيات وملذات وذكر المشبه كما فى قوله انشبت المنية اظفارها وقوله ان الطعام علة لما قبله حذف حرف التعليل اى لان لكون حذف حرف الجر من ان وان قياسيا فى هذا المقام قياس اقترانى تقريره هكذا المعاصى لا تطلب بها كسر شهوة النفس لان المعاصى بمنزلة الطعام والطعام يقوى شهوة النهم ينتج المعاصى بمنزلة ما يقوى شهوة النهم ونضم اليه كبرى ينتج عين الدعوى فنقول وما هى بمنزلة ما يقوى شهوة النهم لا تطلب بها كسر الشهوة ينتج المعاصى لا تطلب بها كسر الشهوة ويمكن ترتيبه من الاستثنائى وهو سهل فلا حاجة الى ذكره وقوله يقوى من التقوية خبر ان والشهوة بالنصب مفعوله والنهم بفتح النون وكسر الهاء صفة مشبهة على وزن حذر اى الحريص على كثرة الاكل والشرب ومن جعله مصدرا وقع فى تكلف وعلى كلا التقديرين فيه استعارة حيث شبه النفس بالنهم اى الاكل كثيرا فى عدم الشبع لان النهم كما لا يشبع من كثرة الاكل كذلك النفس لا تشبع من كثرة المعاصى بل تألف بها وتنهمك فيها ثم استعير النهم للنفس فذكر النهم واريد النفس فعلى هذا يكون الطعام ايضا مجازا واستعارة عن المعاصى كما سبق استعارة عكسه فتذكر وحاصل المعنى يا من زين نفسه بحب الشهوات الى النساء والبنين وكان حاله من العشق فى البكاء والانين لا تطلب كسر شهوة النفس وقطعها بالمعاصى والذنوب اذ من المقرر والشهير بين الصغير والكبير ان المعاصى تقوى شهوة النفس والنفس لا تسأم ولا تشبع منها اللهم لا تكلنا الى انفسنا فى زمان يسير ولا تجعل مصيرنا دار السعير واجعل امورنا موافقة لمرضاتك انك كاشف كل عسير ومعين كل اسير

وعنايتك لعبادك كثير ويسير

والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

لما فهم من الابيات السابقة ان النفس فى يد صاحبها التى به تصر بجامع تشبيه المعقول اعنى النفس بالمحسوس اعنى الطفل فقال والنفس كالطفل الخ الواو اما عاطفة واما استئنافية والنفس اظهرها فى مقام الاضمار اهتماما بشأنها لان النفس مطية الانسان كما ورد نفسك مطيتك فارفق بها واما لضرورة الشعر والالف واللام فيها للعهد او للاستغراق لكن الاول اولى اى النفس المعهودة الامارة وقوله كالطفل الكاف بمعنى المثل رفع حملا على الخبرية اى النفس الامارة كائنة مثل الطفل والطفل ولد يمضى عليه بعد ولادته زمان قليل والانسان فى الرحم يسمى جنينا واذا ولد يسمى وليدا واذا مضى عليه زمان قليل يسمى طفلا وبعده يسمى صبيا وبعده مراهقا وبعده غلاما الى ان يبلغ تسع عشرة سنة ثم منه شابا الى اربع وثلثين ثم منه كهلا الى احدى وخمسين ثم منه شيخا الى آخر العمر وقيل الطفل من مضى عليه بعد ولادته حولان كاملان وفيه اقوال اخر لكن المناسب لهذا المقام المعنيان المذكوران وانما قال كالطفل ولم يقل كالصبى لان الصبى العاقل كالبالغ الكامل فى كون ايمانه وردته وصومه وصلاته وغير ذلك معتبرا فاذا كان كذلك يكون فاعلا مختارا فلا يطيع امر غيره فلا يناسب التمثيل والمقام وقوله ان تهمله آثر ان الدالة على الشك دون اذا الدالة على القطع لكون مدخوله مشكوكا وتهمله مضارع من الاهمال على صيغة الخطاب وشب الصبى اذا بلغ اوان شبابه وعلى اما بمعنى الى متعلق بشب واما بمعناه متعلقا بمحذوف اى حريصا وملازما عليه واما بمعنى مع كما فى قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا والحب معلوم والرضاع بالفتح والكسر شرب الولد لبن امه وفى كلام السلف كثرة الرضاع تفسد الطباع وان تفطمه عطف على ان تهمله وهو مضارع من الفطم على صيغة الخطاب اى ان قطعته عن الرضاع ينفطم وهو مضارع من الانفعال على صيغة الغيبة وضميره راجع الى الطفل والمعنى يقبل الانقطاع بسهولة وحاصله انه لو لم يقطع الرجل ولده عن ثدى امه اغاية محبته لطفله فرضع الطفل ثلاث سنين مثلا كما هو مذهب بعض الفقهاء ثم ترك على حاله شب ذلك الطفل على حبه الى بلوغه ثم وثم الى شيخوخته حتى لو لم تعطه امه ثديها اللطم امه لطما شديدا لان الله تعالى خلق فى لبن ثدى الام لذة جميع الاطعمة فاذا لم تعطه اياه يلطم امه حتى يهلكها معاذ الله تعالى فالنفس كذلك حتى لو لم تقطع عن المعاصى شبت على المعاصى والفت بها وتكون ملذة لها فتزداد كل يوم لذتها بازدياد المعاصى فتهلك صاحبها حتى تكون سببا لسلب الايمان معاذ الله تعالى فان قلت ان ما فى هذا البيت من التشبيه اردى التشبيهات وارذلها لانهم قالوا اذا كان التشبيه على وجه ليس فيه شئ ينبئ عن التشبيه يكون استعارة وهى احسن التشبيه بلاغة وفصاحة واذا كان على وجه ذكر المشبه والمشبه به فقط يكون تشبيها بليغا فهو ادنى من الاستعارة واذا ذكر فيه المشبه والمشبه به واداة

التشبيه ووجه الشبه يكون اردى وارذل من التشبيه البليغ فهو عند البلغاء كهدير حمام وصرير باب مخل بالفصاحة فما وقع ههنا من هذا القبيل لانه ذكر فيه المشبه وهو النفس والمشبه به وهو الطفل واداة التشبيه وهو الكاف ووجه الشبه وهو الشب على حب شئ على تقدير الاهمال وقبول الانفطام على تقدير الفطم والناظم الفاهم مع كونه افصح الفصحاء ذهب هنا الى هذا التشبيه فما وجهه قلت ذهابه الى هذا الطريق ليكون المقام اقرب الى فهم المرام لشدة حرصه على طريق الافهام كما لا يخفى على العلماء الكرام والفضلاء الفخام

فاصرف هواها وحاذران تولّيه * ان الهوى ما تولى يصم اويصم

لما كانت النفس كالطفل فى قبول التربية والانقطاع عما يحبه شرع الآن فى الامر بتربيتها فقال فاصرف الخ الفاء فصيحة اى اذا عرفت حال النفس الامارة بانك ان تركتها على حالها تأمر بالسوء والفحشاء وان ربيتها تقبل التربية كالطفل فاصرفها ولا تتركها على حالها اصرف امر من صرف يصرف بمعنى امنع وقيل بمعنى غير فعلى الاول مصدر هوى يهوى من باب علم بمعنى الميل والالتذاذ بالشهوات اذ النفس اذا خليت وطبعها تميل الى الشر لا الى الخير لانها امارة بالسوء وعلى الثانى المصدر بمعنى المفعول اى مهويها كما فى قوله

هواى مع الركب اليمانين مصعد * جنيب وجثمانى بمكة موثق

فالمعنى غير محبوب النفس السئ الى المحبوب الحسن فى الشرع وتقدير الكلام اصرفها عن هواها او اصرف عن النفس هواها وحاذر امر بمعنى احذر وصيغة المفاعلة للمبالغة وان توليه ان مصدرية وتوليه بالنصب مضارع من ولاه بالتضعيف اذا جعله واليا او بمعنى التقلد والالتزام او بمعنى الغلبة وهى بصيغة الخطاب للمخاطب الذى جرده من نفسه فى المطلع وضمير المفعول فيه راجع الى الهوى لكونه مصدرا والمصدر يجوز فيه التانيث والتذكير وقوله ان الهوى علة الامر بالحذر اى لان الهوى ففيه ترتيب قياس تقريره هكذا الهوى يلزمك الحذر من ان توليه لان الهوى ما تولى يصم اويصم وكل شئ شأنه كذا فيلزم لك الحذر من ان توليه ينتج الهوى يلزم لك الحذر من ان توليه وما فى ما تولى شرطية زمانية بمعنى كلما او بمعنى ان الشرطية وتولى فعل ماض والضمير راجع الى الهوى اى كلما كان هوى نفسك واليا عليك او ان كان هوى النفس غالبا وواليا عليك يصم من اصمى يصمى يقال اصمى الصيد اذا قتله فى مكانه اى يهلك ويقتل حذف منه الياء علامة للجزم لانه مجزوم بما الشرطية وقوله اويصم كلمة او للعطف وهو يجئ لمعان كما قاله الاصوليون انه فى الاكثر يجئ للشك او التشكيك وقد يجئ للاباحة والتخيير نحو جالس الفقهاء او المحدثين وقد يجئ بمعنى بل كقوله تعالى فهى كالحجارة او اشد قسوة وقد يجئ بمعنى حتى كقوله تعالى ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم وقد يجئ بمعنى الى نحو لالزمنك او تعطينى حقى وقد يجئ بمعنى الا ان اذا وقع بعدها مضارع منصوب ولم يكن قبلها مضارع كذلك كقول امرئ القيس

فقلت

فقلت له لا تبك عينك انما * تحاول ملكا او نموت فنعذرا

وما وقع ههنا فهو بمعنى الشك كما لا يخفى وقوله يصم مضارع من وصمه اذا جعله ذا عيب حذف مفعولهما للضرورة اى يصمك ويجعلك ذا عيب فى الناس ثم ان بين الفعلين اعنى يصم ويصم جناسا تاما كما لا يخفى وحاصل معنى البيت ايها المخاطب اذا عرفت كون النفس قابلة للانفطام فاصرفها عن الهوى واستلذاذها بالآثام واحذر من ان يأمر الهوى على مملكة عقلك ولا تجعل عقلك مغلوبا للهوى فانه سبب للبعد عن المولى فانه اذا استولى تهلك فى الحال او يجعلك ذا عيب بالاضلال كما قال الله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الاية وفى آية اخرى ومن اضل ممن اتبع هواه وقال عليه السلام ما عبد اله فى الارض ابغض على الله من الهوى وفى حديث آخر طويل واما المهلكات فثلاث شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه حكى عن ابراهيم بن شيبان انه قال ما بت تحت سقف اربعين سنة وكنت اشتهى عدسا ولم يتفق فوقتا حمل الى عدس فتناولت فخرجت فرأيت قوارير فظننته خلا فقيل خمر وهذه الدنان ايضا خمر فصببتها والخمار يتوهم ان فعلى بامر السلطان فعند معرفة حالى حملنى الى ابن طولون فضربنى مائتى خشبة وطرحنى فى السجن فبعد مدة شفع لى ابو عبد الله المغربى فلما وقع بصره على قال اى شئ فعلت فقلت شبعة عدس ومائتى خشبة فقال نجوت مجانا وعن السرى ان نفسى تطالبنى ثلثين سنة اواربعين ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها وفى رسالة القشيرى عن ابى تراب النخشبى ما تمنت نفسى من الشهوات الامرة تمنيت خبزا وبيضا وانا فى سفر فعدلت الى قرية فاخذنى اهل القرية وقالوا انه من اللصوص فضربونى سبعين درة ثم عرفونى واعتذروا الى فحملنى واحد الى منزله فقدم الى خبزا وبيضا فقلت لنفسى كلى بعد اكل سبعين درة كذا فى الخادمى على الطريقة وحكى ايضا انه كان ملك عظيم السلطنة وكان عادته اذا جاء شهر رمضان يأمر المداحين والملاحين بضرب الطنابير والمزامير فى كل يوم بعد العصر الى المغرب لينتهى عليه هذا الوقت بالسرور ولا يجد الم الجوع والعطش لان الصائم يجد فى ذلك الوقت لاثر الصوم من الجوع والعطش نكاية فى قلبه فلو مضى وقته بهذا السرور والغرور لا يجد الم الجوع والعطش فمر عليه شيخ كامل واطلع على الحال فقال فى نفسه انى اذهب وارفع هذا المنكر واوقظ الملك من الغفلة لان هذا الوقت وقت الافطار وهو وقت الرحمة والمغفرة فلا ينبغى للمسلم ان يشتغل فيه بالفعل الحرام مع ان دفع المنكر واجب على الانام فدخل الشيخ الى بيت الملك فضرب الملاحين وكسر مزاميرهم وطنابيرهم والملك كان على قصره ينظرهم فغضب من فعل الشيخ فامر الخدم باخذه فاخذوه وجاؤا به امامه فقال يا شيخ لم فعلت هذا الفعل الغير المناسب فقال الشيخ هذا منكر ونحن مأمورون بدفع المنكر فقال الملك الم تخف منى فقال الشيخ اصبر على ما اصابنى منك كما قال تعالى واصبر على ما اصابك بل لا اخاف منك اصلا لانك عبد عبدى فقال من حول الملك من الاكابر هيهات ضيع الشيخ عقله فقال انى ما ضيعت عقلى بل هو عبد عبدى فى الحقيقة لان الانسان على

نوعين نوع جعل نفسه مغلوبا وكان غالبا على نفسه يصرفها الى اى عبادة شاء ونوع جعل نفسه غالبا عليه ووالياعلى مملكة بدنه فانت ايها الملك من اى قسم فتفكر الملك فقال من الثانى فقال الشيخ فحينئذ النفس عبدى وانت عبد النفس فانت عبد عبدى فعلم الملك كلام الشيخ فتاب وارشد

وراعها وهى فى الاعمال سائمة * وان هى استحلت المرعى فلا تسم

لما فرغ من بيان منع النفس عن الهوى شرع فى بيان التخلية الموصوفة بالرياضة وقد تحقق فى موضعها ان رياضة النفس منعها عن هواها وجبرها على طاعة مولاها فقال وراعها الخ الواو عاطفة من عطف الانشاء على الانشاء اعنى على جملة حاذر وراع امر من راعى يراعى مراعاة من الرعى وهو ارسال الدابة الى موضع الكلاء لكن مع ترقب وانتظار اليها لئلا تدخل ملك الغير وضمير المؤنث راجع الى النفس ففيه استعارة بالكناية كانه شبه النفس فى الذهن بالدابة فى لزوم الترقب اليها فى رعيها فى الكلاء واستعمالها فى العبادة ثم استعير الدابة فى الذهن للنفس فذكر الدابة فى الذهن واريد النفس وفى الخارج ذكر المشبه واريد عينه واثبات الرعى للنفس تخييلية وقوله وهى اى النفس اسكن الهاء لضرورة الشعر وقيل اسكان الهاء فى وهو وهى جائز فى السعة كما فى قرآءة قالون والكسائى وغيرهما والواو حالية وفى الاعمال متعلق بسائمة والمراد من الاعمال الاعمال الصالحات لان السيئات لخلوها عن النفع ليست باعمال وقوله سائمة خبر المبتدأ وهو من سامت الماشية اذا رعت واخرجت الى المرعى فالسائمة حيوان مرسل الى المرعى يسير ويروح ويأكل ويشرب فقوله وهى فى الاعمال سائمة تشبيه بليغ عند الجمهور واستعارة على مذهب البعض والمعنى ان النفس مثل السائمة فى الاعمال الصالحة ان ترعها وتسقها ترح الى ما تشاء من العبادات وان لم ترع تبق فيما اعتادته وقوله وان هى استحلت الخ الواو للاستئناف والجملة جواب لسؤال مقدر وهو وهل تترك النفس فى رعيها فى الاعمال فى كل الاوقات والاحوال فقال لا بل ان هى استحلت الخ ويجوز ان تكون الواو عاطفة وتكون الجملة الشرطية معطوفة على جملة راعها فان قيل على هذا يلزم عطف الاخبار على الانشاء وهو فاسد قلنا لا يلزم هذا وانما يلزم لو لم يكن الجزآء انشائية لانهم صرحوا ان خبرية الشرطية وانشائيتها تابعة للجزآء والجزآء هنا انشائية كما لا يخفى وان هى استحلت من قبيل قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك اى وان استحلت هى استحلت واستحلت اصله استحليت من استحلى الشىء اى عده ووجده حلوا والمرعى بفتح الميم موضع الرعى والمراد منه النوافل لا الواجبات والمستحبات فانهما لا يستوجبان الترك بالاستحلاء كما قاله صاحب الزبدة ففى المرعى مجاز واستعارة تعبيرها هكذا شبه الاعمال الصالحة والعبادات الفالحة بالمرعى فى الانتفاع به واستعير المرعى لمفهوم الاعمال الصالحة ثم ذكر المرعى واريد الاعمال الصالحة وقوله فلا تسم نهى حاضر من اسام اذا اخرج الدابة الى المرعى فحذف منه الياء للجزم والمعنى فلا تبق نفسك فى ذلك بل ازجرها وامنعها ويجوز ان يكون فى هذا

البيت استعارة تمثيلية بان انتزع هيئة من الامور المعقولة فى النفس من كون صاحبها راعيا وكونها سائمة بين الاعمال ووجدانها لذة فى العبادة وكون الاعمال مرعى لها وشبه تلك الهيئة بالهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة من كون الحيوان سائما فى المرعى ووجدانه لذة فيها وكون صاحبه راعيا له فى كون كل واحد منهما دائرا بين امرين وهو الحفظ ان حفظت وعدم الحفظ والضرر ان لم تحفظ ثم استعير الهيئة المنتزعة من الامور المحسوسة للهيئة المنتزعة من الامور الغير المحسوسة فذكر المشبه واريد المشبه به وحاصل معنى البيت وراع النفس ولازمها والحال انها مثل السائمة فى الاعمال الصالحة فان ترعها وتحفظها فى رعيها عن الضرر والفساد تعمل صالحا وان تتركها ترح الى ما اعتادته وتضر صاحبها بفعلها ضررا مبينا وان النفس اذا الفت بعض النوافل وعدته حلوا واعتادت فلا تسم تلك النفس ولا ترسلها على حالها وازجرها وامنعها لان النفس لو وجدت فى عبادة من العبادات لذة فى غاية اللذات لكان فيها معصية من العجب والرياء والفخر بين القوم والورى فيلزم جعلها مشتغلة بعبادة لا تجد فيها حلاوة لانها الوجهات العبادة عادة لا يكون فيها نفع وفائدة حكى عن بعض الصالحين انه قال حججت كذا وكذا مرة فبان لى ان جميع ذلك مشوب بحظى وذلك ان والدتى سألتنى يوما ان اسقيها جرعة ماء فثقل ذلك على نفسى فعلمت ان مطاوعة نفسى فى الحجات كانت لحظ وشرف لنفسى اذ لو كانت نفسى على خلوص لم يصعب عليها ما هو حق الشرع كذا فى البريقة والمعنى التصوفى لهذا البيت ايها العارف بالله اجعل نفسك فانيا فى الله وحصل رضى الله ولا تبق فى الاعمال فان البقاء فى الاعمال مرتبة الصلحاء والزهاد من الرجال وكن مستغرقا فى ملاحظة واجب الوجود واترك القعود والسجود فان بقيت فيها تكن محجوبا وان تركتها وبلغت الى ما فوقها تكن مطلوبا فان ورآء الاعمال والاستدلال اصول الكمال وهو حقيقة الوصال فان النفس لخباثتها احبت ان تبقى فى الذكر والفكر والتأمل فعليك بالتحول ولو بالتحمل هذا

كم حسنت لذة للمرء قاتلة * من حيث لم يدر ان السم فى الدسم

لما ذكر فيما سبق قبول النفس للاتعاظ والصرف عن الهوى وامر بالرعى فى الاعمال ونهى عن الاسامة لو وجدت لذة فى المرعى وكان سبب النهى عنها نظريا بينه بقوله كم حسنت لذة الخ وتقرير قياسه هكذا لما ثبت ان النفس كثيرا ما حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر كان السم لا يدرى فى الدسم فالنفس ان وجدت لذة فى المرعى فلا تسمها لكن المقدم مسلم والتالى مثله ثم اعلم ان كم خبرية لا استفهامية والفرق بينهما ان قائل كم الخبرية يكون مخبرا وقائل كم الاستفهامية يكون مستخبرا وان ما بعد كم الخبرية يكون اخبارية وما بعد كم الاستفهامية يكون انشائية وان مميز كم الخبرية يكون مجرورا فى الاكثر ومميز كم الاستفهامية يكون منصوبا غالبا وكم هنا منصوبة المحل على المصدرية اى كثيرا بمعنى كم مرة وحسنت ماض من التحسين على صيغة التأنيث وضميره راجع الى النفس ومعنى حسنت جعلت حسنا فى الظاهر فيكون المعنى

كم مرة جعلت النفس حسنا فى الظاهر شيأ لذيذا بالعجب والغرور فعلى هذا يكون لذة مفعول حسنت و يكون صفة موصوف محذوف اى شيأ لذيذا والمراد منه العمل الاثقل ويجوز ان يكون المراد من الشئ اللذيذ الاغترار بكرم الله تعالى ورحمته قال القاضى فى قوله تعالى ماغرك بربك الكريم فاعل المعاصى بالاغترار بكرم الله تعالى مثل من يشرب السم اعتمادا لطبيعته فعلى هذا التقدير يكون السم استعارة من العذاب الاليم والدسم استعارة من الاغترار بكرم الكريم فلاتغفل عن ترتيب استعارتهما اومعنى حسنت عدت حسنا و يكون مفعوله محذوفا اعنى المرعى ويكون اصل لذة بلذة ثم حذف الجار وانتصب المجرور ويكون تنوينه عوضا عن المضاف اليه اى العجب والغرور فعلى هذا يكون المعنى كم مرة عدت النفس المرعى حسنا بسبب لذة العجب والغرور وقوله للمرء متعلق بقاتلة قدم لضرورة الشعر واللام لتقوية العمل او متعلق بحسنت والمرء قال العاصم فى ترجمة القاموس المسمى بالاوقيانوس بالحركات الثلاث فى الميم و بسكون الرآء الانسان مطلقا ذكرا كان او انثى وعلى قول مختص بالرجل لكن هنا اعم ولم يوجد له جمع من لفظه وانما جمعه رجال وعلى قول جاء جمعه مرؤون و يقال فى مؤنثه مرأة بتاء التأنيث وقد جاء مرة بترك الهمزة وفتح الرآء وقد يدخل على اولها همزة الوصل وكذا لام التعريف وكذلك يدخل همزة الوصل على اول المرء فحينئذ ان لم يكن مقارنا بحرف التعريف يجوز فيه ثلاث لغات الاولى فتح الرآء دآئما فى الرفع والنصب والجر والثانية ضمها دآئما فى الحالات الثلاث والثالثة كونها معربة اعنى تبعيتها للحرف الاخير فى الاعراب فان كان آخره مرفوعا يكون الرآء ايضا مرفوعا وان منصوبا يكون الرآء ايضا منصوبا وان مجرورا يكون الرآء ايضا مجرورا وان كان مقارنا بحرف التعريف يكون الرآء ساكنا البتة هذا وقوله قاتلة منصوب على انه حال من لذة اوصفة له والمراد من القتل ههنا الاهلاك بذكر الملزوم وارادة اللازم لان القتل لا يكون الا بآلة جارحة اوثقيلة وههنا ليس آلة كذلك وقوله من حيث متعلق بقاتلة وقيد الحيثية يستعمل لمعان ثلاثة الاطلاق والتقييد والتعليل اما الاطلاق فكما فى قولهم الماهية من حيث هى هى والتقييد كقولهم علم الطب ما يبحث فيه عن بدن الانسان من حيث الصحة والمرض اى لامطلقا بل من هذه الحيثية والتعليل كقول السابح الماء يبرد و جود الانسان من حيث انه بارد وههنا للتقييد او للتعليل وحيث فى الاصل للمكان واستعير ههنا لمعنى الجهة وقال الاخفش ترد للزمان و يلزمها الاضافة الى الجملة اسمية كانت اوفعلية واضافتها الى الفعلية اكثر واضافتها الى المفرد نادر ولذا اضيف ههنا الى جملة لم يدر ولم يدر على صيغة المبنى للمفعول اوللفاعل بمعنى لم يعلم والسم بالحركات الثلاث فى السين لكن الرواية هنا بالفتح للمناسبة دوآء يهلك الانسان بسرعة وهو بالفارسية زهر والمراد ههنا المعصية من العجب والرياء على سبيل المجاز والاستعارة بان شبه العجب والرياء بالسم فى الاهلاك لانه

كما ان السم مهلك للانسان كذلك الرياء والعجب مهلك للاعمال كما ورد فى الحديث ان اخوف ما اخاف على امتى الاشراك بالله اما انى لست اقول تعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله الحديث ثم استعير السم للعجب والرياء فذكر السم واريد العجب والرياء وقوله فى الدسم ظرف مستقر خبر ان و جملته نائب فاعل لقوله لم يدر اومفعوله وهو طعام فيه دسومة كثيرة والمراد منه الاعمال والطاعات مجازا واستعارة تعبيرها هكذا شبه الاعمال والطاعة بطعام فيه دسومة فى كونه لذيذا ومشتهى بحيث لايدرى فيه السم ثم استعير الطعام الذى فيه دسومة لمفهوم الطاعات والاعمال فذكر الدسم الدال على الطعام واريد منه الاعمال والعبادات ثم اعلم ان فى هذا البيت ايهاما حسنا الى انه كما ان السم فى الدسم فى المعنى كذلك لفظ السم فى الدسم كما قيل مثله فى قوله عليه السلام السفر قطعة من السقر كما لا يخفى وقال الشاعر

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى

وحاصل معنى البيت ان النفس امارة غدارة خداعة مكارة فكثيرا ما خدعت المرء وحسنت فى باصرته ما يفسد باطنه اذهى كالاعدآء لان الاعدآء يدخلون السم فى الطعام اللذيذ و يهلكون المرء لانه لايعلم السم بسبب لذة الطعام وكذلك النفس تدخل الرياء والعجب فى العبادة وتهلك صاحبها لانه لايعلم شرها الخفى بسبب لذة العجب والرياء فان العجب يضر فى كل الاحوال ولوكان فى غير العبادة والاعمال الاترى الى ماروى انه لما نظر بعض من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كثرة العسكر واسلحتهم فى غزوة حنين قيل انه الصديق الاعظم رضى الله عنه قال اعجابا من الكثرة والشوكة لاانهزام لنا فيما بعد ولما وصل الى سمعه صلى الله عليه وسلم كره ذلك فرفع الله النصرة فى اول تلك الغزوة تأديبا لهم بان الكثرة لاتغنى شيأ بدون نصرة الله تعالى قال تعالى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة و يوم حنين اذا عجبتكم كثرتكم الآية واما الرياء فانظر الى ما فى الاسرائيليات ان حكيما صنف ثلاثمائة وستين كتابا فاوحى الله الى نبيهم ان قل له قد ملأت الارض نفاقا ولم تردنى بشئ من ذلك ولا اقبل منه شيأ فندم وترك وخالط العامة وتواضع فاوحى الله اليه ان قل له الآن قد وافقت رضاى انتهى وايضا الى حديث ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة انا اجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم ترآؤن لهم فى الدنيا وفى حديث آخر طويل ان الله يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

لما بين ان النفس يلزم حفظها وترقبها فى العبادات لئلا تقع فى الفسادات شرع فى بيان لزوم ترقبها وحفظها بين المباحات التى لابد للسالك منها فى الحالات فقال واخش الخ الواو عاطفة و يحتمل ان تكون استئنافية معانية و يكون جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل فبأى شئ تستعمل النفس حتى تصلح فقال مجيبا واخش الدسائس

اى اجعلها بين الجوع والشبع واخش امر من خشى يخشى من الباب الرابع وصيغة
الامر ههنا للتأديب اوللارشاد لانهم بينوا ان الامر يطلب على ستة عشر وجها
الاول الايجاب كقوله تعالى اقيموا الصلاة والثانى الندب كقوله تعالى وكاتبوهم
والثالث التأديب كقوله عليه السلام كل مما يليك والرابع الارشاد كقوله تعالى
واستشهدوا والخامس الاباحة كقوله تعالى كلوا واشربوا والسادس التهديد
نحو اعملوا ما شئتم والسابع الامتنان نحو كلوا مما رزقكم الله والثامن الاكرام نحو
ادخلوها بسلام والتاسع التعجيز نحو فأتوا بسورة من مثله والعاشر التسخير نحو
كونوا قردة خاسئين والحادى عشر الاهانة نحو ذق انك انت العزيز الكريم والثانى
عشر التسوية نحو اصبروا اولا تصبروا والثالث عشر الدعاء نحو اللهم اغفرلى
والرابع عشر التمنى نحو قول الشاعر الا ايها الليل الطويل الا انجلى * والخامس
عشر الاعتقاد نحو قوله تعالى القوا ما انتم ملقون والسادس عشر التكوين
نحو كن فيكون والدسائس جمع دسيسة كالكتائب جمع كتيبة والدسيسة الكيد والحيلة
الخفية والالف واللام فيها عوض عن المضاف اليه اعنى النفس وهى بالنصب
على انها مفعول اخش وقوله من جوع ظرف مستقر اما حال من الدسائس او صفة لها
اى احذر من الدسائس حال كونها ناشئة وصادرة من جوع ومن شبع او الدسائس
الناشئة والحاصلة المتولدة من جوع ومن شبع والجوع الانسانى حالة يشتهى
الانسان بها اكل الخبز بلا ادام وقيل علامة جوع الانسان شم الذباب ريقه
وعدم وقوفه عليه كما قال الشاعر

فى حد جوع الفتى قولان قيل بان * يشتهى به الخبز فرداحالة الاكل
وقيل ان وقعت فى الارض ريقته * شم الذباب وجد السير من عجل

والشبع عكس الجوع ونقيضه والمراد من الدسائس الحاصلة منهما الآفات المتولدة
منهما اما الآفات الحاصلة من الجوع فمثل الحدة والشدة والذبول والكلال وملال
النفس فى تحصيل الكمال * والخيالات الفاسدة * والاوهام الكاسدة * واما الآفات
الحاصلة من الشبع فكثرة النوم المقتضية للكسل وقساوة القلب وغفلته وموته
بطول الامل واطفاء نور العين وكثرة الشهوات وغير ذلك من الغفلات ويحتمل ان يراد
بالجوع الفقر مجازا لانه ملزوم الجوع فعلى هذا يكون المراد من الدسائس المهالك
فان الفقر يلقى الانسان الى المهالك ولذا استعاذ منه عليه السلام وقال فى حديث آخر
كاد الفقر ان يكون كفرا وفى آخر الفقراء سود الوجوه يوم القيامة وهى مثل
السرقة وتغيير المذهب والملة كما قال الشاعر

كم عالم عالم اعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

ويراد ايضا بالشبع الغنى ويراد بالدسائس مهالك الغنى وهى حب الدنيا مع انه
رأس كل خطيئة وطول الامل والكسل عن الطاعة ونسيان الآخرة وقسوة القلب

والكبر

والكبر والعجب والحرص والطمع والبخل وغير ذلك ويجوز ان يراد من الجوع الجهل
ومن الشبع العلم ويجوز ايضا ان يراد من الجوع عدم العمل ومن الشبع العمل
ويجوز ايضا ان يراد من الجوع السكوت ومن الشبع الكلام ويجوز ايضا ان يراد
من الجوع سهر الليل ومن الشبع نومه ويجوز ايضا ان يراد من الجوع العزلة
ومن الشبع الخلطة ويجوز ايضا ان يراد من الجوع العزوبة ومن الشبع التزوج
ويكون فى لفظى الجوع والشبع على هذه التقادير مجاز واستعارة ويكون
وجه الشبه فى كل منها خلو الغذآء للنفس وحصوله وتكون الدسائس عبارة
عن مهالك كل منها كما لا يخفى على اهل البصيرة وقوله فرب مخمصة الخ الفاء للتعليل
لانه علة لدعوى مقدرة مفهومة مما سبق وهو ان الخشية من دسائس الجوع
لازمة كما لا يخفى ورب حرف جر لا يدخل الا على النكرة وهو للتقليل وعند البعض
للتكثير وفى كلمة رب لغات عديدة لانها قد تكون مشددة ومخففة ويلحق آخرها
التاء وكلمة ما والتاء مع ما مخففا ومشددا وبالجملة قال شيخ الاسلام زكريا
الانصارى فى كلمة رب سبعون لغة وعدها فى شرحه على القصيدة المنفرجة
وان اردت فارجع اليه فان قلت لم خص التعليل بالخشية من الجوع دون الشبع
قلت لان ضرر الشبع بديهى بين الانام كما بينه كثير من الاعلام وقد اشار ابو سليمان
الدارانى الى ست نكات فى الشبع فقال من شبع لم يجد حلاوة العبادة * وتعذر عليه حفظ
الحكمة وحصل له حرمان الشفقة على الخلق وثقل العبادة وحصل لديه زيادة الشهوة
وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشبعان حول المزابل وان اردت
التفصيل فعليك التعويل على كتب مفصلة ومطولة واما ضرر الجوع فخفى بل يترتب
عليه فوآئد عديدة ومنافع كثيرة منها صفاء القلب ومنها رفع النوم ودوام السهر ومنها
تيسر المواظبة على العبادة ومنها خفة المؤنة ومنها التمكن بذلك من الايثار والتصدق
وغير ذلك مما لا يتناهى ولذلك عال به ثم ان المخمصة شدة الجوع المفرط وشر اصله اشرر
خفف باسقاط الهمزة وقد لحن ابو قلابة فى قرآءته سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
على صيغة التفضيل ولم يطابقه احد عليها قال الحريرى شر فيه معنى التفضيل
لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ولا يقال اشر الا فى لغة رديئة والتخم جمع تخمة وهى مصدر
بمعنى عدم هضم الطعام مع استثقاله على صاحبه وتعفنه فى معدته وانما كانت المخمصة
شرا من التخم مع ان اتفاق العلماء على شرية شدة الشبع وخيرية الجوع لان المخمصة
وشدة الجوع تورث الانسان ضعفا حتى لا يقدر على ادآء العبادة قال صلى الله عليه وسلم
لمعاذ ان نفسك مطيتك فارفق بها وليس من الرفق ان تجيعها وتذيبها وقد قرر فى الفقهية
ان الاكل اما فرض ان كان مقدار ما يدفع عنه الهلاك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ليؤجر فى كل لقمة يرفعها العبد الى فيه واما مندوب ان زاد على ذلك
ليتمكن من ادآء الصلاة قائما ويسهل الصوم قال عليه السلام المؤمن القوى احب
الى الله تعالى من المؤمن الضعيف واما مباح لا اجر ولا وزر ان زاد على ذلك لمجرد

تقوى البدن فيحاسب حسابا يسيرا واما حرام ان فوق الشبع لاضاعة المال والاسراف

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت * من المحارم والزم حمية الندم

لما بين طريق استعمال النفس فى هذه الحال وفيما سيأتى اراد ان يبين سبب المغفرة للذنوب التى قد اكتسبها فيما مضى فقال تحريضا على التوبة وتحضيضا على الاوبة واستفرغ الدمع الخ الواو عاطفة ويجوز ان تكون استئنافية جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل هل يكون طريق الى عفو الذنوب التى فعلها فيما مضى فقال واستفرغ اى نعم استفرغ واستفرغ امر من استفرغ وهو طلب الفراغ وهو جعل وعاء اونحوه خاليا عما فيه باخراج ما فيه واراقته والمعنى اجر وارق واستخرج والدمع ماء مالح يجرى من العين وتقييد استفراغ الدمع بقوله من عين اظهار لما علم ضمنا لا للاحتراز وقوله قد امتلأت صفة العين وضمير المؤنث راجع الى العين لكن بطريق الاستخدام بان يراد من العين المذكورة الباصرة وبالضمير العين بمعنى القلب اذ الممتلئ بالمحارم القلب والمعدة فعلى هذا لا حاجة الى جعل امتلاء العين كناية عن كثرة الذنوب كما لا يخفى على ذوى القلوب وقوله من المحارم متعلق بامتلأت والمحارم جمع محرم بمعنى الحرام كما يقال ذو رحم محرم اذا لم يحل للرجل نكاحها والمعنى اذا امتلأ قلبك ومعدتك بالمحارم والافعال السيئة ففرغ عينك الحسية لان البكاء للعصيان من خشية الرحمن يمنع العبد من دخول النيران كما قال عليه السلام لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن الضرع وقيل اذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتقصد امة محمد فيجتهد الرسول عليه السلام فى دفعها فلم يقدر فينادى جبرائيل الحق الحق فان النار قد قصدت امتى لتحرقهم فيأتى جبرائيل بقدح من الماء فينادى الرسول فيقول خذ هذا ورشه عليها فيرشه فتنطفئ فى الحال ويقول يا جبرائيل ما هذا الماء لم ار مثله فى اطفاء النار فيقول جبرائيل ما هذا الا دموع امتك الذين بكوا من خشية الله فى الخلوات امرنى ربى ان آخذه واحفظه الى وقت احتياجك اليه لتطفئ به النار التى قصدت امتك وقوله والزم دفع سؤال نشأ مما قبله وهو انه هل يكون البكاء مطلقا مذهبا للعصيان ومطهرا للانسان اى لا بل يلزم ان تلزم حمية الندم مع البكاء والحمية بمعنى الاحتماء والحفظ وهو بالنصب مفعول الزم والندم بمعنى الندامة واليأس وبالفارسى پشيمان شدن واضافة الحمية اليه اما بيانية اى حفظا هو الندامة على ما مضى او بمعنى من اى الاحتماء الحاصل من الندم لانه لو ندم حفظ من العصيان واما من اضافة المشبه الى المشبه به كما فى لجين الماء اى ندامة كالاحتماء فى عدم السلوك الى المعاصى فان قلت استفيد من هذا البيت ان علاج جميع المعاصى هو البكاء والندامة مع ان المظالم واخذ حق الغير لا تغفر بالبكاء والندامة بل بردها والاستحلال منها قلت رد المظالم والاستحلال من الخصوم ونحوهما داخل فى الندامة كما لا يخفى وحاصل معنى البيت يا من امتلأت عينه من المحرمات وشحن قلبه بمرض

الغفلات عليك باستخراج الدموع والبكاء لانه يذهب كل ما اكتسب من الهوى كما قالوا صب العبرات يحط السيئات ويرفع الدرجات وكما فى بعض الاخبار المروية انه يؤتى بعبد يوم القيامة وتشهد عليه اعضاؤه بالزلة والعصيان فيستحق ان يدخل النيران فتطاير شعرة من جفن عينه فتستأذن تلك الشعرة من الله بالشهادة له فيقول الله عز وجل تكلمى يا شعرة واحتجى عن عبدى فتشهد تلك الشعرة لذلك العبد بانه قد بكى فى الدنيا من خوف ربه فيغفر له وينادى مناد هذا عتيق الله تعالى بشعرة وكما سئل من حجة الاسلام عن العينين المذكورتين فى قوله تعالى فيهما عينان تجريان هما لمن فقال عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان هذا ما قرر فى التفسير وروح البيان ثم اعلم ان من خواص هذا البيت انه لو عسر عليك فى مطالعتك محل من درسك ولم يمكن لك كشفه فاقرأ هذا البيت مائة وتسع عشرة مرة فانه يكشف عليك باذن الله تعالى

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

لما بين ولوع النفس فى هواها وبلوغ الهوى فى المضرة منتهاها وكون النفس فى يد صاحبها شرع فى بيان المخالفة التامة لها فقال وخالف الخ الواو عاطفة من قبيل عطف الانشاء على الانشاء وخالف امر من المخالفة آثر صيغة المخالفة للمبالغة والنفس بالنصب مفعول خالف والالف واللام فيها للعهد اى النفس الامارة المكارة والشيطان بالنصب عطف على النفس واختار من الحروف العاطفة الواو ليدل على اجتماعهما واشتراكهما فى الامر بالسوء والفحشاء كما فى قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء فان قلت فعلى هذا يكون عطف الشيطان على النفس مستدركا لان الامر بمخالفة النفس مغن عن الامر بمخالفة الشيطان لانهما شريكان ومتحدان فى الامر بالسوء فالامر بالمخالفة لاحدهما امر بالمخالفة للآخر فلا فرق بينهما قلت الفرق بينهما بين لان النفس لو امرت بمعصية تكون مصرة عليها حتى لو فعل معصية اخرى غير ما امرت النفس لا تسكن الا بفعل المعصية التى امرت بها لان النفس فيها نفسانية بخلاف الشيطان ثم ان الشيطان اما فيعال على ان تكون نونه اصلية من شطن اذا بعد لبعده عن الخير والرحمة اوفعلان على ان تكون نونه زائدة من شاط اذا هلك اواذا اسرع فى السير لسرعة سيره فى باطن الآدمى اوفى اضلال الآدمى او اذا احترق لكون اصله نارا اولكون اوله نارا فعلى هذين يجوز صرفه وعدمه اذا جعل علما قال الجعبرى الشيطان ابليس وجنوده والمراد الجنس وقيل عن تفسير الخازن جنس للمردة من الشياطين ثم اختلف فى الشيطان والجن هل هما موجودان او معدومان والاصح هو الاول فعلى الاول اختلف ايضا هل هما مجردان اولا واكثر المتكلمين على الثانى فعلى الثانى اختلف ايضا فى انهما هل هما مختلفان بمعنى ان الشيطان جسم لطيف نارى قادر على التشكل باشكال مختلفة والجن هوآئى قادر على التشكل كذلك ايضا الملك جسم لطيف نورانى كذلك او متحدان جنسا

فما يكون منهم خيرا سعيدا جن وما يكون شريرا شقيا شيطان فان قيل هل للشيطان نسل قال ابو المعين النسفي في بحر الكلام قيل ان الشيطان يبيض بيضات ويخرج منها الولد وفي الخبران في احد فخذيه فرجا وفي الآخر ذكرا فيجامع نفسه فيخرج منه الولد وهذه رواية شاذة وقيل يدخل ذنبه في دبره فيخرج منه الولد وهذا غير صحيح فالصحيح هو الاول ثم اعلم ان المراد من الشيطان ههنا اعم من الانس والجن لان الشيطان الذي من الانس يأمر ايضا بالسوء فتلزم المخالفة لامره بل لا تجوز المقارنة به لان الطبيعة سارية الا ترى ان العلماء امروا بالمباعدة عن الكسلان فكيف اهل العصيان فان قلت لم قدم النفس على الشيطان مع ان عداوة الشيطان ثابتة في كل الزمان قلت اما لان النفس عدو في الداخل لا يفارق الانسان في كل حال انه حتى الذكر والعبادة فتكون عداوته اشد من الشيطان لانه عدو من الخارج يدفع شره بالاستعاذة والذكر والثناء والشكوى الى صاحبه لانه كلب الله فيشتكي من شره الى الله فيخلص منه باذن الله بخلاف النفس واما لان النفس وان كانت عدوا لكنه محبوب والانسان عن عيب محبوبه عمي كما قال الشاعر

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

ويلزم في النفس عدم القهر بالكلية لانها مطية المرء في الايصال الى المقصد فمن قهرها تركه في السبيل وعدم الموافقة لها بالكلية فمن وافقها تضله عن سبيله فالخلاص الاعتدال بينهما واما الشيطان فعداوته خالصة لا يشوبها محبة اصلا لانه عدو قديم حيث بدأ العداوة مع ابينا آدم عليه السلام فقال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى الآية وعدو الاب لا يكون لابنه محبا وقوله واعصهما عطف على خالف فان قلت هذا القول اي واعصهما مستدرك لان الامر بالمخالفة لهما يستلزم لعصيانهما قلت ان العصيان اعم من المخالفة لان العصيان ترك الانقياد سواء امر بفعل او نهي عنه فتركه او لم يؤمر ولم ينه فتركه والمخالفة انما تكون بترك الفعل الذي امر به او بفعل الفعل الذي نهي عنه فيكون هذا العطف من قبيل عطف العام على الخاص فلا استدراك ويجوز الجواب بان يكون كل واحد من المخالفة والعصيان بالنظر الى كل واحد من الامر والنهي يعني ان يكون خالف مختصا بالمخالفة لامرهما ويكون واعص مختصا بالعصيان لنهيهما فيصح حينئذ العطف لكن فيه ما فيه وقوله وان هما ان شرطية وضمير التثنية راجع الى النفس والشيطان ومحضاك ماض من التمحيض او من المحض بمعنى التخليص اي اخلصاك والنصح بالنصب مفعول ثان لمحضا والنصح اراءة الخير للغير وقوله فاتهم الفاء للجزائية واتهم امر من التهمة اي احمل نصحهما على التكذيب فان قلت هل يكون للنفس والشيطان نصيحة حتى تحمل على الكذب قلت نعم اما نصيحة النفس فكما نقله الخادمي عن المنهاج من انه روي عن بعض يقال له احمد بن ارقم البلخي انه قال نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرني

بالخير قلت مرادها الخلاص من حبس الوحدة وتصل الى الخلطة والاستراحة بالالفة واكرام الخلق فقلت لها اذا كان مرامك ذلك لا انزلك العمران ابدا ولا ادلك على معرفة احد فاجابت اسأت الظن فقلت الله اصدق وقلت اقاتل العدو مقدما على الكل فتقتل فاجابت ثم عددت اشياء فاجابت عن كلها ثم قلت يا رب نبهني لها فاني متهم لها ومصدق لك فكوشفت كأن النفس تقول يا احمد انت تقتلني كل يوم مرات بمنع شهواتي وبمخالفة ميولاتي فان قاتلت قتلت انا مرة واحدة فنجوت من قتلاتك ويتسامع الناس شهادتي فيكون لي ذكرا وشرفا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو واما نصيحة الشيطان فما حكاه المولوي في كتاب المثنوي ان معاوية كان نائما عند الصباح فجاء الشيطان وقال حي على الفلاح ففطن معاوية لمكره وغدره في ظهوره وامره فقال انت يا شيطان ما تأمر الا بمعصية فكيف امرك لي بالطاعة فما سبب هذا الامر العجيب فانه من مثلك غريب فقال سببه انه قد فاتك الصبح يوما من الايام بسبب المنام عن صلاة الجماعة مع سيد الانام فندمت على ما فات وتحيرت عليه في الاوقات فكتب لك اضعاف ما كنت تلحقه من الطاعات فخفت ان تنام عن الصلاة مرة اخرى فيحصل لك زيادة المثوبة في الاخرى فالزم الحذر من شرهما لاسيما في وقت كانا قد اختصما

ولا تطع منهما خصما ولا حكما * فانت تعرف كيد الخصم والحكم

لما ظن انكار المخاطب اتهام نصحهما اذ النصيحة بالخير لا تحمل على الشر اكدما قبله لكونه امرا مهما واجب الامتثال فقال ولا تطع منهما الخ نهي من الاطاعة وهي قبول امر الآمر ومنهما ظرف مستقر حال من الخصم والحكم قدمت على ذي الحال لضرورة الشعر كما قال الشاعر في بيان مواضع تجري فيها الضرورة

وقد جاء في التركيب بعض تصرف * كفصل وتقديم ومثل زيادة

والخصم العدو الذي ظهرت عداوته والحكم بمعنى الحاكم في الدعوى يقال له قاضي الحكم والمعنى لا تطع الخصم ولا الحكم حال كونهما ناشئين من النفس والشيطان يعني ان النفس لو كان خصما او كان حكما وكذا الشيطان لو كان خصما او حكما فلا تطعهما بل جانبهما قال الشارح الزركشي ان هذا البيت من اصعب الابيات في القصيدة من جهة معرفة ان خصم النفس وحكمها ما هو ولذا قالت الشراح ههنا كلمات لا تسمن ولا تغني بل كلها من قبيل ما لا يعني واما انا فقد تحيرت فيه برهة من الزمان ثم رأيت في المكاشفة الناظم الفاهم اعني محمد البوصيري فقلت له ما مرادك من هذا البيت يا امام فقال لو تأملت دواعي الانسان لعرفت المرام فقلت له ارجو منك التفصيل فقال ان الدواعي في الانسان ثلاثة وهي القلب والنفس والشيطان فاذا اراد القلب ان يعمل خيرا تكون النفس له مانعة فتطلب تركه ومنعه فيختصمان ويريدان ان يحتكما فينصبان الشيطان حكما وهو يأمر بالسوء فعلى هذا كان الشيطان حكما والنفس خصما ولو اراد الشيطان ان يعمل عمل الشر يقول القلب له لا تفعل فانه شر

ويقول الشيطان لا بل هو خير فاختصما واحتاجا الى الحكم فاحتكما النفس وهى تأمر بالسوء فعلى هذا كانت النفس حكما والشيطان خصما فكل واحد منهما خصم من جهة وحكم من جهة اخرى انتهى بتغيير عبارته وتفصيله والفاء فى فانت للتعليل لما قبله فيمكن ان يرتب ههنا قياس تقريره هكذا انك يلزم لك عدم اطاعة كل منهما خصما ولا حكما لانك تعرف كيد الخصم والحكم وكل من يعرف كيد الخصم والحكم فيلزم له عدم اطاعة كل منهما خصما ولا حكما ينتج انك يلزم لك عدم اطاعة كل منهما خصما ولا حكما والكيد المكر والخيانة ويجيء بمعنى الحيلة والمراد من الخصم والحكم الثانى ما سبق لان لامهما للعهد فان قلت ما كيفية الوسوسة مع انا لا ندرك الشيطان باحد مشاعرنا فكيف يكون لما فى قلبنا مدعيا وحكما وموسوسا قلنا نقل عن الاحياء فى كيفيتها ان القلب كالقبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف ترمى اليه سهام من كل جانب فكلما ادرك شيأ من الحواس الخمس الظاهرة ومن الباطنة كالخيال ونحوه حدث فيه اى القلب اثر وكذا عند هيجان شئ من نحو الشهوة والغضب وهذه الخواطر وهى محركات للادارة التى تحرك الاعضاء فان محمودة فالهام وان مذمومة فوسواس انتهى وفى حديث انس ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسى التقم قلبه فان قلت باى شئ يخلص من وسوسته قلت قالوا سلاح المؤمن على الشيطان ستة الاستعاذة وكلمتا الشهادة والبسملة وترك الطمع وترك الامل وترك الدنيا وروى ان قوما شكوا الى الحسن البصرى من الشيطان قال انه خرج من عندى الآن ويشكو منكم وقال قل للناس يدعوا دنياى حتى ادع دينهم والنافع الكثير فى دفع وسوسته الاشتكاء الى الله والرجاء منه تعالى بحبسه وعدم اخراجه عليه لانه كلب مبير والكلب يلتجأ من شره الى صاحبه فان قلت انه وان لم يجب عليه تعالى شئ فى افعاله لكن لا يخلو فعله عن حكمة ولا شك ان النفس والشيطان شر بديهى فما الحكمة فى خلقهما وتسليطهما على الانسان قلت اما الحكمة فى خلق النفس فى الانسان وعدم جعله مجردا كملائكة الرحمن فتفضيله بها على عامة الملائكة لان النفس فيها عوائق وموانع كالشهوات والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل والصوارف اشق وادخل فى الاخلاص وكل شئ شأنه كذا فهو افضل وان اردت تفصيل هذا البحث فعليك بالمطولات واما الحكمة فى خلق الشيطان ففيه مسلكان اما المسلك الاول فالقول بان لا اطلاع لنا على حكمة جميع فعله تعالى لانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لانها وان لم تظهر علينا فهى ظاهرة على الراسخين واما المسلك الثانى فبيان حكمته كما قال بعض العلماء ان الحكمة فى خلقه اختبار اوليائه من غيرهم اذ من يتبع عدوه يعنى الشيطان ليس بوليه تعالى وقال بعضهم الحكمة عدم اغترار العابدين بعبادتهم وبعضهم قال الحكمة الاعتبار من حال الشيطان بسبب العصيان

والانزجار عن الطغيان واعلام ضرر الكبر والبغيان على اهل الايمان والتفصيل فى المطولات وخاصية هذين البيتين انه اذا كان شخص مصرا على معصية ونزعت نفسه الى عدم التوبة فليكتب هذين البيتين فى صحيفة بعد صلاة الجمعة وليمحها بماء الورد ويشرب به وليستمر جالسا مستقبل القبلة حتى يصلى العصر والمغرب والعشاء وهو ملازم على الابتهال والتضرع الى الله والصلاة على النبى عليه السلام ويسأل الله التوبة فانه لا يقوم من مقامه حتى يغلب على نفسه ويلهم الله اليه التوبة بالتى نصحى لك الاجتناب فى العبادات عن ملل والملازمة على مداومتها بلا زلل

أستغفر الله من قول بلا عمل * لقد نسبت به نسلا لذى عقم

ولما رأى الناظم الصادق والناصح العاشق ان نفسه ملوث بالمناهى وملتبس بالملاهى وقد قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون والامر بالمعروف من غير العامل وان كان حسنة لكنه بحسب العرف الظاهر سيئة اناب الى الله وتاب عما سواه فقال استغفر الله الخ اعلم ان الاستغفار بمعنى طلب الغفر وهو الستر وهو ههنا بمعنى تبت الى الله واطلب الستر من الله ورجعت الى الله عما فعلته وقوله من قول متعلق باستغفر فان قيل لو تعلق به يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بفعل واحد لانه فى تقدير استغفر من الله قلت لا نسلم انه فى ذلك التقدير ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون من قبيل المطلق والمقيد ولو سلم فلا نسلم انهما متعلقان بفعل واحد كيف وان من الاولى متعلقة بالطلب المستفاد من السين ومن الثانية بمادة المغفرة والمراد من القول القول اللفظى وقوله بلا عمل ظرف مستقر صفة لقول اى من قول ملتبس بترك العمل والتنوين فى كل من القول والعمل عوض عن المضاف اليه اى من قولى الملتبس بترك عملى وقوله لقد نسبت جملة استئنافية معانية كأنه قيل لم تستغفر من القول الفصيح المشتمل على المصالح العارى عن المفاسد والقبائح فقال مجيبا لقد نسبت اللام لتوطئة القسم والنسبة بمعنى الاضافة والباء فى به للسببية وضميره راجع الى قول بلا عمل والنسل الولد كما فى الحديث تناكحوا تناسلوا وهو مفعول نسبت والمراد بالولد والنسل العمل مجازا او استعارة حيث شبه العمل بالولد فى كونهما منتفعا بهما فكما ان الولد ينتفع به فى الدنيا كذلك العمل ينتفع به فى الآخرة واستعير العمل لمفهوم الولد فذكر الولد واريد العمل ولذى متعلق بنسبت والعقم بالضم داء لا دواء له وهو عدم قبول الرحم او الصلب الولد واراد بذى عقم نفسه حيث شبه نفسه الغير العامل برجل ذى عقم فى عدم انتاج الشئ ثم استعار الرجل الذى له عقم لنفسه فذكر ذو عقم واريد نفسه وحاصل معنى البيت استغفر الله تعالى من قولى آمرا وناهيا بلا عمل لان الظاهر ان الآمر بالخير والناهى عن الشر مؤتمر به ومنته عنه فلما لم يكن مؤتمرا به ومنهيا عنه فى نفس الامر كان ذلك كنسبة الفضل الى غير اهله وكنسبة الولد الى رجل ذى عقم وهو معصية وعصيان لانه زور

وبهتان مع ان مثل هذا الكلام الذى لايعمل به صاحبه لايفضى الى اتيان المرام كما قيل ان القول الذى يخرج عن اللسان لايبلغ الاذان والذى يخرج عن الجنان وقع عليه الجنان وفى حديث روى عن اسامة بن زيد انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مررت ليلة اسرى بى الى السماء باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء ياجبرائيل قال خطباء امتك الذين يقولون مالا يفعلون وههنا حكاية لطيفة اوردها اسماعيل الحقى فى تفسيره وهى ماروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا مايموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تأثير وعظه وكان فى بلدة ذلك العالم عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحذره وتمنعه عن حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله ماوقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت

اتهدى الانام ولاتهتدى * الا ان ذلك لاينفع
فياحجر الشحذ حتى متى * تسن الحديد ولاتقطع

فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر عن فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فمات فيلزم لك العمل بكل ماتكلمت به

امرتك الخير لكن ماائتمرت به * وما استقمت فما قولى لك استقم

لما كان عدم عمله فى قوله غير معلوم بينه بقوله امرتك الخير الخ قال شيخ زاده انما ترك العاطف بين قوله امرتك وبين قوله نسبت لان بينهما كمال الاتصال لانه تفسيره وبيانه والامر صيغة تدل على طلب الفعل استعلاء فان قيل لم خص الامر بالذكر دون النهى وقد سبق منه امر ونهى قلنا اراد بالامر مايعمهما كما يقال امر السلطان ان لايؤذى احد احدا والخير بالنصب من قبيل الحذف والايصال اى بالخير والخير ماله عاقبة حميدة ولما كان قوله امرتك الخير موهما انه عمل به لانه لازم له فى الشرع استدرك وقال لكن ماائتمرت به والائتمار لازم وهو قبول الامر وما استقمت عطف على ماائتمرت والاستقامة دوام قيام العلم والعمل بلاترك وانما نفى الاستقامة لانها امر عظيم ولذا قال عليه السلام شيبتنى سورة هود كما روى عن بعض الصلحاء انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هود فقال نعم فقلت فالذى شيبك منها أقصص الانبياء ام هلاك الامم قال عليه السلام لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وذلك لان حقيقة الاستقامة هى الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط برعاية حد التوسط فى كل الامور من الطعام والشراب واللباس وفى كل امر دينى ودنيوى ترغيب وترهيب وذلك هو الصراط المستقيم فى الآخرة والتمشى على هذا الصراط الذى يقال له الاستقامة الاعتدالية عسير جدا كما قال فى بحر العلوم الاستقامة على جميع حدود الله على الوجه الذى امر الله بالاستقامة عليه مما يكاد يخرج عن طوق البشر ولذلك قال عليه السلام شيبتنى

سورة هود فكل من كان اتم معرفة كان اتم استقامة وقال ابو على الجرجانى كن طالب الاستقامة لاطالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة فالكرامة الكبرى الاستقامة فى خدمة الخالق لاباظهار الخوارق وقيل لبعض الاولياء فلان يمشى على الماء فقال وكذلك الضفدع والسمك ثم قيل فلان يطير فى الهواء فقال وكذلك الذباب ثم قيل فلان يذهب من المشرق الى المغرب فى ساعة فقال وكذلك الشيطان فقيل له ما المقبول عندك قال الاستقامة فى الدين وقوله فما قولى الخ الفاء للعطف وهو معطوف على قوله امرتك عطف الانشائية على الخبرية لفظا وعطف الانشائية على الانشائية نظرا الى المعنى المقصود ولان قوله امرتك فى الصورة اخبار وفى المعنى انشاء تحسر وتأسف على حاله كما فى قوله هواى مع الركب اليمانين مصعد * اومن عطف الخبرية على الخبرية لان معنى قوله فما قولى لك ماينبغى ان اقول لك ومافى قوله فما استفهامية يتولد منها معنى مناسب للمقام مثل التوبيخ والتعجب والاعتراف بالقصور ومثل الانكار وقوله لك متعلق بالقول فالقول هنا بمعنى الخطاب لانه مستعمل باللام وقوله استقم امر من استقام وجملته مقول قول لقولى اى فما خطابى لك باستقم فان قلت اين امره باستقم بل هو غير موجود فلا يستقيم هذا القول لانه لم يسبق منه هذا القول قلنا وان لم يسبق منه هذا القول تصريحا لكنه قد سبق تلويحا وضمنا اذ المقصود مما قبله تطويع النفس الامارة واطاعتها للنفس المطمئنة بحيث تأتمر بامرها وتنتهى بنهيها وذلك لايحصل الابالاطاعة لها حتى تستقيم وبالجملة انه وان لم يسبق لفظ استقم لكن سبق معناه والمراد ههنا معناه لالفظه وحاصل المعنى انى مسيء وعاص لانى امرتك ونصحتك بالخير مع انى ماانتصحت وما استقمت به وقلت لك استقم فعجبا مافائدته اذ وعظ الغير المتعظ غير مؤثر فى السامع كما قيل * ولايستقيم الظل والعود اعوج * وكقول الشاعر

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوى الناس وهو مريض

ولذا قيل لبعض الواعظين عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى من الله تعالى ولكن يلزم للمؤمن ان يقبل قول كل واعظ ولا ينظر اليه لان الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها اخذها اف من شر نفسى لم احصل بها راحلة ولم ادرك بسببها رفيقا وقافلة

ولاتزودت قبل الموت نافلة * ولم اصل سوى فرض ولم اصم

لما كان قوله فيما سبق لكن ماائتمرت به نظريا وخفيا بينه وكشفه فقال ولاتزودت الخ الواو عاطفة وتكرير لا لتأكيد النفى والتزود من باب التفعل من الزاد وهو الطعام الذى اتخذ للسفر والمراد منه ههنا الطاعات والعبادات ففيه استعارة مكنية شبه نفسه فى الذهن بالرجل الذى يريد السفر فى كونهما محتاجين لاتخاذ مايلزم لهما فكما ان مريد السفر من مكان يلزم له اتخاذ الزاد والراحلة فكذلك يلزم للنفس التى تريد السفر من الدنيا الى الآخرة اتخاذ زاد وهو تقوى الله والاعمال الصالحة ثم استعير فى الذهن

الرجل الذى يريد السفر لنفسه ثم فى الخارج ذكر المشبه اعنى نفسه حيث ذكر بضمير التكلم واريد المشبه نفسه وللرمز والاشارة الى هذه الاستعارة التى فى الذهن اثبت التزود الذى من لوازم المشبه به الى المشبه وهذا الاثبات تخييلية ويحتمل ان يكون فى تزودت استعارة مصرحة وتبعية بان يشبه كسب العبادات والاتقاء الى الله باتخاذ الزاد للسفر فى كونهما منتفعا بهما ثم استعير التزود الذى هو اتخاذ الزاد للسفر للاتقاء لله الذى هو اتخاذ الزاد للآخرة فذكر التزود الذى هو اتخاذ الزاد للسفر واريد منه كسب العبادات والاتقاء لله وبتبعية هذه الاستعارة اشتق صيغة تزودت من المصدر الذى هو التزود وصيغة اتقيت لله من المصدر الذى هو الاتقاء وشبه اتقيت بصيغة تزودت ثم ذكر هيئة تزودت واريد اتقيت ونكتة المجاز اى التعبير بتزودت دون اتقيت وتنفلت اشارة الى ان الدنيا دار رحلة والناس عابروا سبيل فلابد من الزاد واثاث السفر كما قال عليه السلام كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور فكما ان الزاد وصلة الى قرب المقصود كذلك النافلة وصلة الى قرب الله تعالى كما قال تعالى فى الحديث القدسى لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه وقوله نافلة بالنصب مفعول تزودت والمراد من النافلة قربة ليست بواجب ولافرض وقوله ولم اصل عطف تفسير لماقبله ودفع لتوهم انه لم يصل الفرائض ولم يصمها وهو بمعنى ولم اقم الصلاة والفرض فى اللغة التقدير والقطع وفى الشرع ماثبت بدليل قطعى لاشبهة فيه وقوله ولم اصم عطف على لم اصل ومفعوله محذوف بقرينة سابقه اى لم اصم سوى فرض والصوم فى اللغة الامساك وفى الشرع عبارة عن امساك مخصوص عن الاكل والشرب والجماع من الصبح الى المغرب والفرضان فى الموضعين صفة موصوف محذوف اى صلاة فرض وصوم فرض فان قلت الاقامة بالفرض خير وثواب وله عاقبة حميدة فهلا يبا فى هذا القول بقوله لكن ما ائتمرت بالخير قلت تنوين فرض للتقليل والمراد انى ماقمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل فى الليالى والايام والصلاة والصوم المفروضان دينيان كانه لم يجعلهما معتدا بهما فى جنب الامتثال لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وحاصل معنى البيت ماجعلت شيأ من النوافل زاد السفر قبل الفوت ولاتهيأت للوصول الى مراتب الكمال قبل الموت واقتصرت من قصور همتى على فرض الصلاة والصيام وماقمت بحق العبودية حق القيام بزيادة النوافل كما زاد السلف كما نقل ان الجنيد كان يدخل كل يوم حانوته ويرسل الستر ويصلى اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته وعن ابى عبدالله بن خفيف انه كان يقول ربما كنت اقرأ فى ابتداء امرى فى ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت اصلى من الغداة الى العصر الف ركعة وفى بعض الكتب قال شريك كنت مع ابى حنيفة رحمه الله سنة فارأيته وضع جنبه على الارض وكان اصحابه يشهدون انه كان يصلى صلاة الغداة بوضوء العشاء وقال

شعبة حرست اباحنيفة وقت دخول الناس مضاجعهم فخرج من منزله ودخل المسجد واشتغل بالصلاة فلم اقدر على السهر والقيت حصيات فى نعليه ورجعت فعند قرب الصبح رجعت فوجدته فى مكانه يدعو ويبكى ونظرت نعليه والحصيات باقية والتفصيل فى المطولات واما الصوم فاذكر فى الرسالة القشيرية كان سهل بن عبدالله يفطر فى كل خمسة عشر يوما مرة وفى رمضان الى رؤية الهلال وكان فى كل ليلة يفطر بالماء القراح وابو تراب النخشبى اكل اكلتين من البصرة الى مكة وابو عثمان المغربى يقول الربانى يأكل كل مرة فى اربعين يوما والصمدانى فى ثمانين يوما وروى ان سهلا اقتات بثلث درهم فى ثلاث سنوات كذا ذكره فى شرح الطريقة

خالفت امر رسول شانه قد علا * ولم اطع قوله فى كل امر جلا

ظلمت سنة من احيى الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

لما فرغ من الفصل الثانى الكائن فى بيان معرفة النفس من كونها امارة بالسوء وكونها غير معدة عملا صالحا وكونها مشتغلة بالهوى وكونها قابلة للتربية كالطفل وبيان تربيتها والاستغفار مما عملت من المحارم شرع فى الفصل الثالث فى مدائح النبى عليه السلام فقال ظلمت سنة من الخ بترك الواو الواصلة اشارة الى ربط ولطافة فان قلت وما المناسبة بين الفصلين قلت انه لما بين فى الفصل المقدم معرفة النفس اراد ان يبين فى هذا الفصل معرفة الرب عملا بما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعرفة الرب انما تكون بمعرفة النبى فيكون مدحه صلى الله عليه وسلم راجعا الى مدح الله تعالى اذ مدح النقش راجع الى مدح نقاشه كما لايخفى وانما اختار صيغة المتكلم وحده اظهار التذلله فى مقام مدح النبى واعلا ما الاستقلال مدحه بانه لايشوب فى مدحه مدح غيره وظلمت مشتق من الظلم وهو فى اللغة وضع الشئ فى غير موضعه وفى الشرع التجاوز عن الحق الى الباطل والتصرف فى ملك الغير بغير اذنه والمراد هنا الترك مجازا من معناه اللغوى لانه يلزم لوضع الشئ فى غير موضعه ترك موضعه الاصلى فيكون من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم وسنة بالنصب مفعول ظلمت وهى فى اللغة الطريقة وفى الشرع الطريقة المسلوكة فى الدين غير فرض ولاواجب فالسنة ان واظب النبى عليها كانت مؤكدة وان لم يواظب كانت سنة الهدى وههنا اعم من السنن المؤكدة وسنة الهدى فالمراد الطريقة الشريفة الحنيفية المنسوبة الى النبى عليه الصلاة والسلام التى من سلك فيها يصل الى مقصوده ومن موصولة والمراد به النبى عليه السلام وانما ابهمه للتفخيم اى سنة الذات الفخيم العظيم الكريم الحليم النبى المخلص الرحيم الذى احيى وهو بمعنى ترك النوم للعبادة مجازا لان النوم يشبه الموت فى انتفاء الادراك وانتفاء الانتفاع وكذلك اليقظة تشبه الحياة ففى احيى استعارة مصرحة وتبعية حيث شبه ترك النوم للعبادة بالاحياء فى الانتفاع والسرور فاستعير الاحياء لترك النوم للعبادة فذكر الاحياء واريد ترك النوم للعبادة وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من الاحياء صيغة احيى ومن ترك النوم للعبادة صيغة ترك او سهر وشبه

تركه باحيي بواسطة العلاقة فى مصدرهما فذكر احيي واريد ترك النوم للعبادة وانما قيدنا ترك النوم بقولنا للعبادة لان ترك النوم للفسق والمعاصى لا يعد احياء بل اماتة وخسرانا والظلام بالفتح ذهاب النور والمراد به الليل مجازا من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم وايقاع احيي على الظلام مجاز كما كان الطرفان مجازين فمعنى احيي الظلام يعنى ترك نيامه بالاوقات اللطيفة الشريفة المباركة التى يكون فيها خير الانام مشتغلا بالوحى والالهام فى الليالى المظلمة الخالية عن الاغيار والرقباء المانعة وقوله الى ان اشتكت الى للانتهاء متعلق باحيي وان مصدرية واشتكت من الاشتكاء وهو اخبار المظلوم عن ظلم من لا يستطيع دفع ظلمه فاشتكت بمعنى اظهرت الشكوى كما فى قوله

شكوت وما الشكوى لمثلى بعادة * ولكن تفيض الكاس عند امتلائها

وههنا ليس على معناه الاصلى بل هو الاظهار والدلالة على الوجع الناشئ من العوارض البشرية والامور الحسية اى اظهرت ودلت قدماه اى رجلاه المكرمتان المحترمتان اللتان تراب نعلهما كحل عين العالمين والضر بالفتح او الضم شدة الحال وهو بالنصب مفعول اشتكت وقوله من ورم حال من الضر او بيان له والورم بفتحتين الانتفاخ يعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه الوحى اجتهد فى العبادة وكان يصلى الليل كله ويقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى لطول القيام ويتعب نفسه كل الاتعاب حتى ورمت قدماه المحترمتان المكرمتان وانتقلتا من الحالة الاولى الى الحالة الاخرى فانزل الله تعالى تسلية لنفسه الشريفة وتخفيفا له عليه السلام ولامته الضعيفة طه ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى اى ضع يا محمد قدميك على الارض ولا تهلك نفسك فان لها عليك حقا لانا ما انزلنا عليك القرءآن العظيم لتتعب نفسك وتجعلها فى حالة تقرب الهلاك ثم كانت عادته عليه السلام بعد هذه الآية انه يقوم بعد ثلثى الليل ويتهجد ثم اعلم ان المفسرين قالوا كانت صلاة التهجد فرضا له عليه السلام لا لامته بقوله تعالى فتهجد به نافلة لك الآية فكان هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم انهم قالوا ان التهجد سنة لامته عليه السلام كيف وقد قال عليه السلام ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتى لفرضتهما وفى حديث آخر مازال جبرآئيل يوصينى بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتى لا ينامون ثم انهم قالوا ان التهجد من اربعة الى اثنى عشر وقال بعضهم من اثنين الى اثنى عشر ثم انهم اختلفوا فى ان التهجد هل يطلق على قيام الليل كله اولا والاصح عند الخادمى على ما ذكره فى شرح الطريقة ما يكون بعد النوم فان قيل لم قدم الناظم الفاهم هذا المدح من مدآئحه عليه السلام على غيره قلت اشارة الى ان هذه الخصلة الحميدة اشرف الخصال واكرم الفعال مع ما فى هذا المدح من التوبيخ لامته من انه عليه السلام كان يعبد ربه غاية العبادة ويطيع له غاية الاطاعة مع رفعة جاهه وعلو منصبه حتى قيل له حين ورمت قدماه المحترمتان اتتكلف وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا اى على ما انعم عليه من المغفرة مع ايمائه عليه

السلام فى ذكر افظ العبد الى انه لا بد له من القيام بوظائف العبودية والمبالغة فى اداء شكر حقوق الربوبية وانكم ايها الامة مع كونكم مختاطين بالمعاصى والذنوب بل بترك اوامر علام الغيوب لا تعبدون الله وتنامون من المساء الى الصباح كانكم مبشرون بالجنة والكوثر والفلاح فهيهات ما تظنون والله خلقكم للعبادة وانكم لا تعلمون فان قيل لم قدم من بين عباداته عليه السلام احياء الليالى قلت اقتداء بالنظم الكريم لانه تعالى كما ذكر فى القرءآن الصوم قدم عليه الصلاة ولان قيام الليالى افضل العبادات لان الليل يكون فيه بين العابد والمعبود خلو من الاغيار وتكون فيه الدعوات اسرع اجابة اذ هو وقت الاخيار ولذا قيل ان العابد فى الليالى يستحق اجرين اجرا لترك النوم واجرا للعبادة مع ان ترك النوم فى الليالى الكثيرة المتوالية واحياء جميعها بالصلاة لا يقدر عليه الا رسول الله الوهاب * الهى لا تجعلنا ممن ضل وغوى * فاخذته بذنوبه فتوى * واحشرنا فى زمرة من لا ينطق عن الهوى

وشد من سغب احشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

لما بين عبادته صلى الله عليه وسلم التى هى الوسيلة الى الدرجات العليا فى العقبى شرع فى بيان مقام زهده فى الدنيا واختياره الرياضة فى مرضاة المولى فقال وشد من سغب الخ الواو عاطفة لجملة شد معطوفة على احيي ومعنى شد عقد وكلمة من منشئية اى بسبب سغب والسغب بفتحتين الجوع مطلقا وقيل السغب الجوع المقارن بمشقة وتعب والمعنى هنا عقد من اظهار سغب ليستن به غيره من الصحابة الكرام عليهم رضوان الملك العلام والا فهو صلى الله عليه وسلم لا يجوع اصلا لان قلبه مملوء بنور مولاه لا يحتاج الى الاكل وشرب المياه مع انه يطعمه ربه ويسقيه كما ورد فى حديثه عليه السلام ان ربى يطعمنى ويسقينى واحشاءه بالنصب مفعول شد وضميره راجع الى الموصول والاحشاء جمع حشى بمعنى القلب وانما جمع مع انه ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه للتعظيم والتفخيم كما فى قوله تعالى فنعم الماهدون فيكون مجازا او استعارة بان شبه قلبه عليه السلام بالقلوب الكثيرة فى العظم والخطر ثم استعير القلوب لقلبه عليه السلام وذكر القلوب واريد منها قلبه عليه السلام وقوله وطوى عطف على شد عطف تفسير لحرف العطف بمعنى حرف التفسير او من قبيل عطف العلة على المعلول لحرف العطف بمعنى اذ ومعنى طوى لف وقال الشهاب فى شرح الشفاء فى حديث انه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله فى الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء الطى بمعنى الجوع لكن الانسب لهذا المقام كونه بمعنى اللف كما لا يخفى واذا كان بمعنى اللف يكون المراد ههنا تداخل الجسد بعضه فى بعض لانتهاء الجوع الى حد الكمال وقوله تحت الحجارة ظرف لطوى بتضمين معنى الوضع وكشحا بالنصب مفعول طوى والكشح بالفتح والسكون ما بين الخاصرة والضلع ومترف بالنصب حال من الكشح وهو اسم مفعول من الاتراف بمعنى النعومة فالمراد من المترف المطرف فى النعومة واللطافة والادم بفتحتين جمع اديم وهو بمعنى الجلد واضافة المترف

اليه من اضافة الصفة الى موصوفها اى الجلد الناعم اللين وحاصل المعنى انى سهرت وتركت سنة الذات الفخيم والنبى الحليم المخلص الصفى الذى عقد بطنه الشريف اللطيف لاظهار جوعه الى الاصحاب ليستنوا به ووضع خاصرته اللطيفة الناعمة الجلد تحت الحجارة المقبولة المباركة لتدفع برودة الحجر عنه عليه السلام حرارة الجوع وحاصل معنى البيت اما كناية عن مبالغة رياضته عليه السلام لانه عليه السلام كان فى اكثر اوقاته دائم الجوع حتى قالت عائشة رضى الله عنها بكيت لما رأيت به من الجوع وشدة السغب فقال يا عائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى ان يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد الحديث وفى حديث آخر قالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على ان يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذى اشبع فاحمدك واثنى عليك وفى الرسالة القشيرية ان فاطمة رضى الله عنها جاءت بكسرة خبز لرسول الله عليه السلام فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام واما اشارة الى ما وقع فى غزوة الخندق وبيانه انه عليه السلام لما اخرج بنى النضير من اليهود من اطراف المدينة ذهب ابو عمرو الراهب منهم الى مكة لتحريك المشركين للمحاربة فجاء الى بيت ابى سفيان فاخبره بالحال فاكرمه ابو سفيان وشرع فى جمع عسكر فجمع مقدار عشرة آلاف على الفور وخرجوا الى جانب المدينة فوصل هذا الخبر الى سمعه عليه السلام فاستشار مع الاصحاب فقال سلمان الفارسى يا رسول الله ان فى بلاد العجم اذا غلب العدو فى بلدة ولم يقدر اهل البلدة على محاربتهم يحفرون اطراف تلك البلدة ويجعلونها خندقا ويحفظونها فاستصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأى فشرعوا فى حفر الخندق خمسين يوما ثم جاء العدو فحاصرهم تسعة وعشرين يوما فوصل للمسلمين فيه مشقة كثيرة واستولى عليهم خمسة انواع من المشقة الاول القحط والثانى كثرة الاعداء والثالث خوف القتل والرابع الجوع والخامس شدة البرد حتى رحم النبى عليه السلام حال الصحابة ونادى من يأتينى باخبار العدو فهو رفيق فى الجنة ولم يجيبوا له عليه السلام لشدة جوعهم وعدم طاقتهم على الذهاب ثم صرح باسماء اربعة من الصحابة فقالوا يا رسول الله لا تحركنا من موضعنا فالله معنا ثم دعا حذيفة اليمانى وارسله للاستخبار فذهب فجاء بخبر فرارهم وهلاك اكثرهم من شدة البرد وروى انه عليه السلام ربط على بطنه الشريف حجرا جسيما دفعا لثقل الجوع وتعليما للاصحاب ولذا كان سنة لمن كان جائعا ولم يجد خبزا ان يعقد حجرا على بطنه لانه يسكن الم الجوع وهذا من هدايا النبى عليه السلام اللهم لا تبتلنا فى الدنيا بالكرب واجعل رتبتنا فى الدارين ارفع الرتب بحرمة النبى ذى المجد والحسب

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فاراها أيما شمم

فلما توهم العوام من عقده عليه السلام على بطنه الشريف اللطيف المملوء بالحكم الالهية الحجارة المباركة لاجل السغب الظاهرى ان رياضته عليه السلام وشده الحجر لضرورته واحتياجه دفع الناظم الفاهم ذلك المقال فقال وراودته الجبال الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على القريب او البعيد والمراودة المطالبة بالجد والاشتهاء وصيغة المفاعلة اذا لم تكن للمغالبة فهى للمبالغة وضمير المفعول راجع اليه صلى الله عليه وسلم او المراودة بمعنى المجيئة والجبال بالرفع فاعل راودت وهى جمع جبل والشم بضم الشين جمع اشم بمعنى الرفيع غاية الرفعة وهى صفة الجبال اى جاءت الجبال الرفيعة او طلبت الجبال الرفيعة ومن ذهب صفة الجبال او حال منها والالف واللام فى الجبال للعهد اذ الجبال التى راودت الرسول عليه السلام خمسة جبال فى حوالى مكة المكرمة اعنى جبل ابى قبيس وجبل حرا وجبل ثور وجبل بطحاء وجبل الصفا وعن نفسه متعلق براودته بتضمين معنى الميل يعنى ان الجبال الرفيعة المنقلبة الى الذهب طلبت النبى عليه السلام مائلة لنفسه عليه السلام والفاء للتعقيب بلا تراخ وارى ماض من الاراءة فاعله راجع الى النبى عليه السلام وضمير المفعول راجع الى الجبال ومفعوله الثانى محذوف اى ارى رسول الله عليه السلام الجبال حين عرضت نفسها عليه شمما واستغناء ايما شمم وما زائدة وقيل صلة للتأكيد واى صفة موصوف محذوف هو مفعول ثان لارى واى يفيد فى هذا المقام معنى الكمال لانهم قالوا ان اى ان كان مضافا الى ما هو من جنس الموصوف فهو يفيد الكمالية كما تقول رأيت رجلا اى رجل اى كامل فى الرجولية والمعنى شمما واستغناء فى غاية الاستغناء وكمال الارتفاع وحاصل المعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرض عن الدنيا واقبل على المولى وآثر متاعب الفقر الظاهرى على مناصب الغنى حتى ان الجبال الشامخة عرضت نفسها عليه وتزينت بانواع الزينة لديه ومالت غاية الميل اليه رجاء ان يوقع النظر عليها فترفع عن الالتفات اليها وفى هذا البيت اشارة الى ما روى ان جبرائيل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك اينما كنت فتوقف ساعة فقال يا جبرائيل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له عليه الصلاة والسلام جبرائيل عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وفى هذا الحديث برهان شاف وبيان كاف على فضل الفقير الصابر على الغنى الشاكر كما اجتمعت عليه السادات السنية والطائفة الصوفية والى هذا المقام اشار من قال من ارباب الكمال همة الرجال تهدم الجبال وفى هذا البيت تلميح الى قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وايماء مليح الى مزية فضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على يوسف عليه السلام من وجوه لان المراودة ليوسف عليه السلام كانت لحسنه الغير الاختيارى ولانها كانت هناك على ما حرم الله تعالى ولانها كانت هناك من ذى عقل تتصور المراودة منه ولان يوسف عليه السلام اختار فى الدنيا ما يزيد فى اللذة واما

المراودة لنبينا صلى الله عليه وسلم فوقعت لخلقه الاختيارى وعلى ما اباحه الله تعالى ومن جماد لا تتصور المراودة منه وانه عليه السلام ما اختار لذة الدنيا مع انه تعالى قال له عليه السلام لا حساب لما اخذته من الدنيا فعلى هذا يكون فى هذا البيت استعارة تمثيلية بان تشبه الهيئة المنتزعة من الجبال ومراودتها عن نفسه عليه السلام وعدم ميله عليه السلام اليها بالهيئة المنتزعة من زليخا ومراودتها عن نفس يوسف عليه السلام وعدم ميله اليها فى الطلب المطلق فاستعير الهيئة المنتزعة من المشبه به للهيئة المنتزعة من المشبه فذكر المراودة الدالة على مراودة زليخا واريد مراودة الجبال وقال الشارح الشرخيتى ان الاشم من الشمم وهو الانف ومعناه طلبت الجبال التى هى اولو الانف ميل نفسه عليه السلام يعنى ان الجبال انحنت واطالت انفها اى طرفها الذى كالانف فى الانسان الى النبى عليه السلام فما مال اليه اصلا بل اظهر الترفع والاستغناء

واكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم

لما توهم المتوهم ان ضرورته واحتياجه يكون مانعا لعباداته وزهادته دفعه فقال واكدت زهده الخ الواو عاطفة او ابتدائية واكدت من التأكيد والتأكيد والتوكيد هو التقرير والتثبيت والزهد قلة الرغبة فى الشئ وفى الاصطلاح الاعراض عن الدنيا وترك راحته روى ان رسول الله عليه السلام كان مضطجعا على سرير مفروش بشئ خفيف رطب اخضر وتحت رأسه وسادة من اديم مملوءة بليف فدخل عليه عمر رضى الله عنه مع جماعة من الصحابة فانحرف النبى عليه السلام فرأى عمر اثر الفراش فى جنبه عليه السلام فبكى فقال عليه السلام ما يبكيك يا عمر فقال فكيف لا ابكى ان كسرى وقيصر يعتبان فيما يعتبان فيه من الدنيا وانت على هذه الحالة فقال عليه السلام يا عمر اما ترضى ان يكون لهم فى الدنيا ولنا فى الاخرة قال بلى فنزل جبرائيل وقال سنة الله قد جرت على ان لذة الاخرة تنقص على كل احد بحسب ازدياد لذة الدنيا فكلما كانت لذة الدنيا اكثر كانت لذة الاخرة اقل كما فى قوله تعالى اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا لكن الله يقول قل لمحمد عليه السلام خذ من غنائم الدنيا ما تريد واطلب ما تشاء فانك مجاب لا تنقص من لذاتك فى الاخرة بسبب لذاتك فى الدنيا فقال عليه السلام والله خير وابقى ثم ان زهده بالنصب على انه مفعول اكدت والضمير راجع اليه عليه السلام وفيها متعلق باكدت ايضا وضميره راجع الى الدنيا المذكورة ضمنا والاولى ان يكون راجعا الى الجبال وضرورته بالرفع فاعل اكدت والضرورة شدة الاحتياج ومنها الاضطرار ضد الاختيار والاحتياج وان لم يكن فى نبينا عليه السلام حقيقة لكن المراد منه الضرورة الظاهرية والاحتياج الحسى وقوله ان الضرورة الخ استئناف كانه قيل كيف تؤكد الضرورة الزهد فيها مع ان الضرورة توقع الانسان فى المهالك وقد اشار عليه السلام الى مشقة الضرورة وعدم تحملها كل احد فى قوله كاد الفقر ان يكون كفرا فقال مجيبا ان الضرورة لا تعدو على العصم ويمكن ان يرتب فيه قياس تقريره هكذا

ان الضرورة لا تعدو على النبى لان الضرورة لا تعدو على العصم والنبى عصم ينتج من غير متعارف الشكل الثانى الضرورة لا تعدو على النبى فان قيل لم اظهر فى مقام الاضمار لان المناسب ان يقول انها قلت لضرورة الشعر ولئلا يختل مرجع الضمير لانه لو قال لانها لتوهم ان ضميره راجع الى مرجع ضمير فيها كما لا يخفى وتعدو من عدا عليه اذا غلبه واستولى عليه فمعنى لا تعدو لا تغلب ولا تستولى والعصم جمع عصمة وهى قوة زاجرة اودعها الله تعالى فى خواص عباده واكابر عباده تمنعهم عن التعرض لمنهياته مع بقاء اختيارهم وقدرتهم والعصمة مصدر هنا بمعنى المفعول اى المعصوم وحاصل المعنى قد اكد فقره الظاهرى واحتياجه الحسى زهده واعراضه عن الدنيا وعدم اقباله على الجبال العليا مع كونها ذهبا فاتعب نفسه تعبا فكيف تكون ضرورته غالبة عليه مع ان ضرورته تابعة لعصمته الكبرى وتأبيداته الكبرى ومغلوبة له والمغلوب لا يستولى على الغالب بخلاف ضرورة سائر الناس فانها غير تابعة لهم فجاز ان تغلب عليهم وتجذب همتهم الى زخارف الدنيا وزهرتها حفظنا الله تعالى منها

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

لما بين رياضته الشديدة ومجاهدته الشديدة اراد ان يشرع فى بيان افضليته وعيان اشرفيته لكن مع ربط انيق وترتيب رشيق حيث كان هذا البيت تأكيدا لما قبله فقال وكيف تدعو الخ الواو عاطفة على مقدر اى انه عليه السلام مائل الى الله فقط وكيف تدعوه الدنيا ونعيمها او الجنة ونعيمها وفيه اشارة الى حديث قدسى الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الدنيا وكلاهما حرامان على اهل الله والى ان الدنيا والاخرة لا تجتمعان على وجه الكمال ولذا قيل انهما ضرتان او مثل كفتى الميزان وقال صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وكيف استفهام انكارى وتدعو من الدعوة وفاعله ضرورة ومفعوله محذوف اى تدعوه صلى الله عليه وسلم ضرورته والدنيا نقيض الاخرة وهى اما ما على الارض من الهواء والجو واما كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الاخرة والاصل فى الدنيا دنوى بدلالة قولهم دنوت الى الشئ دنوا فقلبت الواو ياء ولم يقلب مثل ذلك فى القصوى لانه ذهب بالدنيا مذهب الاسم فى قولهم الدنيا والاخرة وان كان اصلها صفة تخفف لان الاسم احق بالتخفيف ثم ان المسموع من العرب فى النسبة الى الدنيا دنيى ودنيوى ومنهم من شبه الفها بالف بيضاء فى كونهما علامتى التأنيث فقال فيها دنياوى واما الحاق الهمزة بها فلا وجه له لانه اسم مقصور غير مصروف والهمزة انما تلحق الممدود والمنصرف ثم ان دنيا نصبها بالتنوين غلط لان دنيا وما هو على وزنها لا ينون فان قيل لم سميت الدنيا دنيا قلت اما لدنوها اى لقربها بالنسبة الى الاخرة او لقرب مشتهياتها فى القلب او لدناءتها وخساستها ولذا من تبع الدنيا يكون خسيسا فان قلت لو قبل النبى عليه السلام اموال الدنيا وانفقها الى الفقراء هلا يكون حسنا من الفقر قلنا لا يكون حسنا لانه لو قبل المال وصرفه الى الفقراء يكون برا ولو لم يقبل لكان ابر والابر

يكون ابر من البر والضمير فى لولاه مرفوع على انه اسم لولا وخبره محذوف وجوبا اى لولاه موجود وقوله لم تخرج جواب لولا وتخرج اما على المبنى للفاعل من الخروج او على المبنى للمفعول من الاخراج وعلى كل تقدير لا يخلو من الاشارة الى انه عليه السلام قد بلغ فى السببية الى مرتبة كانه عليه السلام اخرجها من العدم ولذا آثر الناظم الفاهم قوله لم تخرج على قوله لم تخلق فتأمل وفى هذا البيت تلميح الى مانقل فى الحديث القدسى لولاك لولاك لما خلقت الافلاك والمراد من الافلاك جميع المكونات اطلاقا لاسم الجزء على الكل واشارة الى ماوقع له عليه السلام فى ليلة الاسراء فانه عليه السلام لما سجد الى الله تعالى فى سدرة المنتهى قال الله تعالى له عليه السلام انا وانت وماسوى ذلك خلقته لاجلك فقال عليه السلام انا وانت وماسوى ذلك تركته لاجلك واشارة ايضا الى ان الدنيا تابعة له عليه السلام ولا خلقت الاله ولاصحابه فكيف يكونون تابعين لها اومغلوبين لهواها وحاصل معنى البيت ان الدنيا محتاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان الرسول محتاجا اليها لدار او تسلسل وكل منهما باطل كما لا يخفى على اولى الالباب وذوى الاداب الحمد لله ملهم الصواب واليه المرجع والمآب

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

لما ذكر الرسول الاكرم والنبى المحترم صلى الله عليه وسلم وابهم اسمه الشريف تفخيما له اراد ان يتبرك بذكر اسمه فى قصيدته مع ان الابهام اولا والتفصيل ثانيا اوقع فى النفوس فقال محمد الخ محمد بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف هو هو او بالجر على انه بدل من من والاظهر انه مبتدأ وسيد خبره وهو على صيغة اسم المفعول مبالغة من كثرة الحمد ثم نقل من الوصفية الى الاسمية فسمى به النبى عليه السلام لانه محمد وموصوف فى خلقه وخلقه قال القاضى عياض فى الشفا حمى اسم محمد ولم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده وميلاده عليه السلام ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله تعالى يعلم حيث يجعل رسالته فان قيل لم اختار هذا الاسم من بين اسمائه عليه السلام لانه ذكر البخارى فى شرح الارشاد ان للنبى عليه السلام الف اسم وقيل ثلاثمائة وقيل تسعة وتسعون قلنا لان هذا الاسم اشهرها وافضلها لانه يفيد المبالغة فى المحمودية وهى تستلزم المبالغة فى الحامدية فيكون هو افضل منها هذا وسيد على وزن جيد اصله سيود وهو بصيغة اسم الفاعل من السيادة بمعنى العلو والرفعة قيل فى تعريفه هو الذى يلجأ اليه الناس فى حوائجهم والمراد من الكونين الدنيا والاخرة او عالم الشهادة وعالم الغيب وتفصيل بيان سيادته فى الدارين وان ذكر فى الكتب المفصلة لكن لا علينا ان نذكره ههنا ايضا اجمالا فنقول اما سيادته فى الدنيا فلانه عليه السلام كان خاتم جميع الانبياء والمرسلين وكان المعراج مخصوصا به دون سائر الانبياء ولانه عليه السلام ارسل الى كافة الثقلين دون سائر الانبياء وارسل الى الجن والملك وبعث رحمة للعالمين حتى الكفار بتأخير العذاب وبلده

افضل البلاد ومسجده افضل المساجد والبقعة التى دفن فيها افضل من الكعبة كما سيأتى تفصيله وكذا سيادته عليه السلام بحسب نوره الروحى على الجميع ثابتة بالاثار وتكاثر الاخبار بل نوره اللطيف اصل انوار جميع الانبياء قال فى المواهب فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا الاية عن على وابن عباس رضى الله عنهما مابعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد عليه السلام وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وفى المواهب ايضا عن عبد الرزاق عن جابر مااجماله اعلم ان الله تعالى خلق نور نبينا عليه السلام قبل كل شئ فخلق منه القلم واللوح والعرش وحملته والكرسى وسائر الملائكة والسموات والارض والجنة والنار وايضا نور ابصار المؤمنين ونور قلوبهم ونور انفسهم واما سيادته فى الاخرة فلما ذكره القرطبى ان الزبانية يأتون بجهنم يوم القيامة وهى تمشى على اربع قوائم وتقاد بسبعين الف زمام فى كل زمام سبعون الف حلقة على كل حلقة سبعون الف ملك فاذا انفلتت من بين ايديهم لم يقدروا على امساكها لعظم شأنها فيجثو كل من فى الموقف على الركب حتى المرسلون ويتعلق ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهذا قد نسى الذبيح وهذا قد نسى هرون وهذا قد نسى مريم عليهم السلام قائلين نفسى نفسى لا اسألك اليوم غيرها ومحمد عليه السلام يقول امتى امتى سلمها ونجها يارب فيقوم عليه السلام ويأخذ بخطامها ويقول ارجعى مدحورة الى خلفك فتقول خل سبيلى فانك يا محمد حرام على فينادى من سرادقات العرش اسمعى واطيعى له ثم تجذب وتجعل شمال العرش فيخف وجل اهل الموقف وقوله والثقلين عطف على الكونين من قبيل عطف الخاص على العام ونكتته دفع قول من قال انه عليه السلام رسول الى الانس لا الى الجن فالمراد من الثقلين الانس والجن لكونهما ثقيلين على الارض فان قيل ان الجن ليس له ثقل فكيف يطلق عليه الثقل قلت اطلاق الثقل عليه تغليب من تغليب الثقيل على الخفيف ثم ان عطف قوله والفريقين مع دخوله فيما سبق مرتين لنكتة الرد على من خص رسالته بالعرب دون العجم وانما بين الفريقين بقوله من عرب ومن عجم دون الكونين والثقلين لان الكونين والثقلين معلوم فى عرفنا فلا يحتاج الى البيان بخلاف الفريقين وعرب كقفل بمعنى العرب وهو خلاف العجم والعرب مؤنث بتاويل الطائفة يقال العرب العاربة والعرب العرباء وبعضهم خصص العرب بمن سكن فى بلادهم وبعضهم جعله شاملا للبلدى والبدوى وهو المراد هنا قال فى البصائر ان الاعراب ليس جمع عرب كما توهم لانه لم يكن لها مفرد لكن قال الراغب فى مفرداته انه جمع عرب وفى مصباح اللغة ان عرب يجمع على اعرب كزمن وازمن وعلى عرب كاسد واسد انتهى والمراد من العجم ماسوى العرب فيشمل الترك والكرد والفرس والروم والهند وغير ذلك واعادة حرف الجر لضرورة الوزن

نبينا الآمر الناهى فلا احد * ابر فى قول لا منه ولا نعم

لما كان معنى السيد مشتبه الارادان يبينه فقال نبينا الآمر الناهي الخ لان المراد من السيد المولى الكريم الرفيع ومثل هذا يأمر وينهى لانه لازمه والنبي من النبأ بمعنى المخبر ان كان مهموزا او بمعنى الارتفاع ان لم يكن مهموزا وفي الاصطلاح انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ مااوحي اليه والنبي مرادف للرسول على ما حكى ابن الهمام عن المحققين وقيل الرسول هو المأمور بتبليغ امر لم يكن قبله سوآء كان له كتاب ام لا والنبي اعم من ذلك وتفصيل الكلام في كتب الكلام فان قلت لم آثر النبي على الرسول مع عدم الضرورة لوزن النظم فيه ايضا وان منصب الرسالة افضل من النبوة قلت اما لان عند الناظم الفاهم الرسول والنبي مترادفان فلا افضلية لاحدهما على الاخر واما لايهام انه لولا جهة الرسالة فيه عليه السلام لكفت جهة النبوة في الافضلية واما لان في معنى النبي الارتفاع دون الرسول فالنبي اولى للمقام لان المقام تفسير السيد وهو بمعنى المرتفع كما سبق فالمناسب تعريفه بما في معناه الارتفاع هذا والآمر من يخاطب الى من دونه بمآل صيغة افعل والناهي من يخاطب بصيغة لا تفعل واطلاق الآمر والناهي على الرسول عليه السلام اما حقيقة كما دل عليه آيات كثيرة كقوله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وغير ذلك وهو الاصوب واما مجاز في الاسناد اي في اسناد الآمر والناهي الى الرسول عليه السلام لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى والرسول مبلغ وما قال الرسول من عنده فهو ايضا من عند الله تعالى لانه عليه السلام ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وحذف مفعول آمر وناه للتعميم اي كل معروف في الاول وكل منكر في الثاني ومن قال ان حذف مفعوله للتعميم باطل لافادته انه آمر بكل شيء فهو يشمل النواهي وناه عن كل شيء فهو يشمل الاوامر فهو غافل عن مادة الامر ومادة النهي لان الامر يقتضي ان يكون مفعوله كل معروف لا كل شيء لان الامر بجملته لا يتعلق بالنهي وكذا مادة النهي تقتضي ان يكون مفعوله كل منكر لان النهي لا يتعلق بالامر كما لا يخفى والفاء في قوله فلا احد للجزآء اي اذا كان محمد سيد الكونين ونبينا الآمر الناهي فلا احد والاحد اتفق النحاة واهل اللغة على انه مشترك بين معنيين احدهما بمعنى الواحد نصف الاثنين والثاني جنس العقلاء من الاقل الى غير النهاية والاول فاؤه همزة مبدلة من واو والثاني همزته اصلية غير مبدلة منها وهذا مما شاع وذاع الا انه اشكل عليهم بان اللفظتين صورتهما ومادتهما واحدة ولفظ الوحدة يتناولهما والواو فيهما اصلية فيلزم قطعا انقلاب الالف عنهما او ان يكونا مشتقين من الوحدة اما جعل احدهما مشتقا منها دون الاخر فترجيح من غير مرجح واجيب بان الفرق المذكور اشار اليه سيبويه في الكتاب وغيره واما قولكم لفظهما واحد مادة وصورة فسلم ولكن لا نسلم ان اتحاد لفظيهما يدل على اتحاد معنييهما لم لا يجوز ان يكون معناهما متغايرين وله نظائر كثيرة كقلا فهو قال بمعنى ابغض وقلا فهو قال بمعنى شوى ونضج وايضا ان الذي بمعنى الواحد ليس بعام ويكون في النفي والاثبات ويطلق على العقلاء وغيرهم ولا يكون بمعنى الجماعة والثاني يختص بالنفي خلافا للمبرد ويختص بالعقلاء ويجيء

بمعنى

بمعنى الجماعة ويعم والاول لا يعم والتفصيل في رسالة مستقلة للشهاب في حق كلمة احد فان اردت فارجع اليها وقوله ابر اسم تفضيل من البر بمعنى الصدق في الكلام كما يفيد هذا المعنى سياقه وفي في قوله في قول لا متعلق بابر اي في قوله لا ولا كناية عن النفي وقوله ولا نعم عطف على لا ابر واصدق منه ايضا في قوله نعم وهو كناية عن الاثبات ولم يكن لا ونعم كناية عن عدم اعطائه عليه السلام واعطائه لانه عليه السلام ما سئل عن شيء قط الا قال نعم كما قال بعض اهل الكمال في شانه عليه السلام

ما قال لا قط الا في تشهده ✻ ولا نعم قط الا جاءت النعم

وحاصل معنى البيت سيدنا ونبينا عليه السلام هو الآمر بما هو مأمور من عند الله من العقائد الرضية والاعمال السنية والناهي عن الامور الدنية والافعال الردية وهو في كل اخباره صادق وفي تكميل الناقصين حاذق فلا احد اصدق منه في النفي والاثبات ولا احق منه في الوعد والوعيد وسائر الحالات لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وكان صدقه بديهيا ومسلما عند الخصم والكفار كما قال الله الملك الجبار فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اللهم اجعلنا رفيقا للصديقين والشهدآء والصالحين

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته ✻ لكل هول من الاهوال مقتحم

لما كان كونه عليه السلام سيد جميع الانام نظريا عند بعض الاقوام اراد ان يثبته بدليل في غاية الاحكام فقال هو الحبيب الذي الخ اي لانه هو الحبيب الذي فيمكن ان يرتب ههنا قياس تقريره هكذا محمد سيد الكونين والثقلين لان محمدا هو الحبيب الذي يرجو كل الناس شفاعته وكل من شانه كذا فهو سيد الكونين والثقلين فينتج المطلوب ثم اعلم ان جملة هو الحبيب صفة بعد صفة لمحمد واورد ضمير الفصل ليدل على الحصر وهو مبتدأ راجع اليه عليه السلام والحبيب بالرفع خبره وتعريف الخبر باللام لافادة قصره على المبتدأ فان قلت كيف يجوز حصر الحبيبية فيه عليه السلام مع ان ابراهيم عليه السلام خليل الله تعالى بل كل من اتبع الرسول فهو محبوب الله تعالى كما يدل عليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وما اجيب عن هذا السؤال من ان الحصر هنا اضافي يعني بالنسبة الى بعض الانبياء فيرده المقام اذ هو لا يناسب المقام لانه مقام المدح فيقتضي المبالغة والحق في الجواب ان الحصر في هذا الباب حقيقي ويجوز ذلك الحصر فيه عليه السلام وما اوردتم من ان ابراهيم عليه السلام خليله لا يضر الحصر لانه فرق جلي بين الحبيب والخليل من وجوه لان الخليل فعيل بمعنى الفاعل مسند الى ابراهيم في قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا واما الحبيب فيحتمل ان يكون بمعنى فاعل اومفعول ولا شك ان نسبة المفعولية اتم من نسبة الفاعلية في المرام اذ يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولا يقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله لما فيه من ايهام ان يكون مأخوذا من الخلة التي هي الحاجة والثاني ان الخليل يصل الى من اتخذه بالواسطة والحبيب يصل اليه بذاته بلا واسطة والثالث ان الخليل الذي تكون مغفرته في

بـ

حدّ الطمع كما قال ابراهيم عليه السلام والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى والحبيب هو الذى مغفرته فى حدّ اليقين كما قال تعالى ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والرابع ان الخليل من اعطى بسؤال والحبيب هو الذى اعطى بلاسؤال فالحبيبة بهذه المعانى المذكورة مقصورة على نبينا عليه السلام دون غيره من الانبياء فكيف سائر الناس ويمكن الجواب بان يقال ان حصر الحبيبة حقيق لكن مع مابعده اى مع قوله الذى ترجى شفاعته لان الشفاعة العامة خاصة بنبينا عليه السلام دون غيره ولذا روى ان الامام الغزالى قال كنت فى ليلة خارج البلد واطلعت بالمكاشفة على ان اهل تلك البلدة كلهم نائمون فى ذلك الوقت ولم يكن احد منهم فى عبادة ربه وطاعة خالقه فقلت فى نفسى لو كنت قادرا على احراق اهل هذه البلدة لاحرقتها كلها لتركهم عبادة ربهم ثم تأملت ان احراق العباد مختص بالله تعالى فندمت ورجعت عن هذا القول فقلت لو كنت شافعا لشفعت لهم كلهم عامة ثم تأملت ان الشفاعة العامة مقصورة على نبينا عليه السلام فاذا جاء نداء من هاتف يقول ياشيخ لولم ترجع عن هذا القول ايضا لانزلتك الى قعر الارض ومحوتك من دفاتر الاولياء وقوله الذى ترجى شفاعته صفة الحبيب وترجى من الرجاء بمعنى الطلب قال بعض الفضلاء الرجاء بالمد الطمع ويرادفه الامل والفرق بينه وبين الرجا بمعنى الخوف بالاستعمال اذ الاول يستعمل فى الايجاب والنفى كقوله تعالى وترجون من الله مالا يرجون والثانى فى النفى فقط فان قيل ما الفرق بين الرجاء والتمنى قلت قال ابن الجوزى الرجاء الطمع فيما يمكن حصوله بخلاف التمنى وقيل الرجاء مختص بالطمع فى الممكن والتمنى عام وهو على صيغة المبنى للمفعول وانما ترك فاعله ليعلم ان شفاعته عليه السلام يرجوها كل احد من الانام والشفاعة هى طلب العفو والفضل من الغير الى الغير وشفاعة نبينا عليه السلام ثابتة بالاخبار والاحاديث الصحيحة مذكورة فى كتب الاحاديث قال المحقق الدوانى انه عليه السلام يشفع لجميع الانس والجن الا ان شفاعته للكفار لتعجيل فصل القضاء فتخفف عنهم اهوال يوم القيامة وللمؤمنين للعفو ورفع الدرجات فشفاعته عامة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال فى المواهب الشفاعات خمس الاولى فى الاراحة من هول الموقف وهى اعظمها واعمها والثانية فى ادخال قوم الجنة بغير حساب والثالثة فيمن استوجب النار والرابعة فى اخراج من دخل النار والخامسة فى رفع الدرجات وزاد السيوطى سادسة هى فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار وزاد فى المواهب ايضا سابعة وهى لاهل المدينة خاصة وقوله لكل هول من الاهوال مقتحم متعلق بترجى او بشفاعته واللام فى لكل بمعنى فى كما فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى او للتوقيت كما فى قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس اوفيه حذف مضاف اى لدفع كل هول والهول الشدة والمصيبة واضافة الكل اليه تفيد العموم اى كل بلية والمراد بلايا الاخرة بقرينة الشفاعة او المراد بلايا الدارين كما يفيده قوله من الاهوال لانه عليه السلام دفع ببركة وجوده فى الدنيا المسخ والخسف والاستئصال واخر العذاب ومقتحم من الاقتحام

اما على صيغة اسم الفاعل اى بلية داخلة بين الناس واما اسم مفعول اى فى كل بلية مقتحم فيها ثم اعلم ان هذا البيت اول ابيات المناجاة واجابة الدعاء فمن كان له حاجة دنيوية اواخروية فليقرأ هذا البيت فى مجلس واحد الفا وواحدة فان الله يقبل دعاءه ويقضى حاجته بلا تخلف ان شاء الله قال المولى ابو سعيد الخادمى ان هذا البيت كان ترياقا لكل حاجتى وقال استاذنا طول الله بقاه ونال ماتمناه انه كان استاذنا الشهير بالحاج عثمان افندى الاقشهرى مفتيا فى بلدة قيصر فعزل منها يوما فكان محزونا ومكدرا واشتهى ان يكون مفتيا ايضا فدعانى مع اثنين من شركائى الى بيته فقرأنا هذا البيت الفا وواحدة فى مجلس بلا تكلم فى اثنائه فبعد زمان قليل ظهر منشوره لافتائه

دعا الى الله فالمستمسكون به * مستمسكون بحبل غير منفصم

لما قصر كمال الحبيبة عليه عليه السلام وكان ذلك صغرى للقياس المقدم وكانت تلك الصغرى نظرية اثبتها بهذا البيت فقال دعا الى الله الخ فانه وان لم يكن فى صورة الدليل لكنه دليل حقيقة لان الدليل والعلة اما تصريحى وهو ما كان مصدرا فى اللفظ او التقدير باذ او باللام او بالفاء واما تلويحى بان يكون صفة او حالا او غير ذلك وههنا كذلك فيمكن ان يرتب هنا قياس تقريره هكذا محمد هو الحبيب الذى ترجى شفاعته لان محمدا دعا الى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم وكل من شانه كذا فهو الحبيب الذى ترجى شفاعته ينتج المطلوب ثم ان دعا من الدعوة ودعوته عليه السلام كانت الى جميع ذى نطق من العرب والعجم واهل الكتاب والمجوس والوثنى والجن وغير ذلك ولاجل هذا التعميم حذف الناظم الفاهم مفعول دعا وكذا آثر دعا على هدى لاجل هذا التعميم فان قيل ما الفرق بين الارشاد والدعوة قلت ان الارشاد انما يستعمل فى الاولياء والدعوة فى الانبياء وفى الى الله حذف مضاف اى الى دين الله او الى عبادة الله او الى شرع الله وقوله فالمستمسكون به الفاء تفريعية اى اذا كان داعيا الى الله فالمستمسكون الخ وهو من الاستمساك بمعنى التمسك والاخذ باليد وبه متعلق بمستمسكون والضمير راجع اليه عليه السلام لكن المراد شرعه عليه السلام او ما يبلغه ففى ضميره استخدام لانه اريد بالمرجع معنى وبالضمير الراجع اليه معنى آخر لكن الاول حقيقة والثانى مجاز وبعد هذا يكون فى هذا المقام استعارة مكنية بان شبه الشرع بالحبل الممدود من الله تعالى الى العباد فى كونه موصلا الى المقصود كما ان ذلك الحبل لو استمسك به احد فذهب يصل الى الله تعالى كذلك الشرع الشريف ثم استعير الحبل فى الذهن لمفهوم الشرع ثم ذكر الشرع فى الخارج اعنى تقديرا واريد هو ايضا وذكر الاستمساك وهو ملائم المشبه به واريد الشريعة فعلى هذا يكون المستمسكون ترشيحا لهذه الاستعارة فيكون باقيا على حقيقته على مذهب ومجازا واستعارة تبعية على مذهب اخر بان يشبه الاطاعة بالاستمساك فى الايصال الى المطلوب ثم استعير الاستمساك لمفهوم الاطاعة فذكر الاستمساك واريد الاطاعة ثم اشتق من الاستمساك مستمسكون ومن الاطاعة مطيعون فشبه مطيعون بمستمسكون

فاستعير المستمسكون لمفهوم المطيعون فذكر مستمسكون واريد المطيعون ثم قوله غير منفصم ترشيح على الترشيح وكلما زاد ترشيح الاستعارة زاد حسنها ومنفصم اسم فاعل من الانفصام بمعنى القطع من غير فصل واما الانقصام بالقاف فهو القطع بفرق وفصل ثم اعلم ان فى اول هذا البيت تلميحا الى قوله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله والى قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية وفى المصراع اقتباس من قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا وفى هذا البيت اشارة ايضا الى قوله عليه السلام من تمسك بسنتى عند فساد امتى فله اجر مائة شهيد كما لا يخفى على من القى السمع وهو شهيد

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فلما ورد النقض على البيت الاول الذى قد كان دليلا لدعوى حصر الحبيبية عليه عليه السلام من ان دليلك هذا اى قولك دعا الى الله الى آخر البيت جار ايضا فى سائر النبيين مع ان المدعى متخلف عنه اراد ان يثبت دعواه بدليل آخر قوى فانتقل اليه فقال فاق النبيين الى اخره فتقرير قياسه هكذا محمد هو الحبيب الذى ترجى شفاعته دون غيره لان محمدا فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم وكل من شأنه كذا فهو الحبيب الذى ترجى شفاعته فينتج المطلوب ثم ان فاق بمعنى ربح وزاد عليه فى الرفعة وهو من الفوق والفوق والتفوق حقيقتهما ان يستعملا فى الرفعة المكانية لكن استعمل ههنا فى الرفعة الرتبية مجازا واستعارة تبعية بان شبه علو القدر ورفعة المرتبة بالتفوق المكانى فى الرفعة المطلقة ثم استعير التفوق المكانى للعلو القدرى ثم ذكر التفوق المكانى واريد العلو القدرى وبتبعية هذه الاستعارة اشتق من العلو القدرى علا ومن التفوق المكانى فاق فشبه علا بفاق بواسطة العلاقة التى فى مصدرهما ثم استعير فاق لمفهوم علا فذكر فاق واريد علا ويمكن ان يراد حقيقة التفوق فتبصر والنبيين جمع نبى وهو بالنصب مفعول فاق والخلق بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام فى اللغة بمعنى التقدير والايجاد وهنا بمعنى المفعول والمراد الكمالات الظاهرة من حسن الصورة وتناسب الاعضاء والاشكال والالوان واعتدال الاطراف والخلق بضم الخاء واللام جمع خلق بمعنى الطبيعة الحسنة والمراد الكمالات الباطنة واعتدال قوى النفس وانما افرد الاول وجمع الثانى اشارة الى ان الاخلاق كثيرة والخلق واحد اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم الباحث عن تفوقه على سائر الانبياء فى ابتداء الخلق والحسن والكمال والخصال الحميدة بالجلال والجمال وفقك الله وايانا فى كل حال ان نبينا عليه السلام افضل الانبياء بالايات والاحاديث اما الايات فكما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال اهل التفسير المراد به محمد عليه السلام وكما قال تعالى فى مقام آخر وكان فضل الله عليك عظيما وقال ايضا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات قال اهل التفسير اراد به محمدا عليه السلام واما الاحاديث فكقوله عليه السلام انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وقوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر

وقوله عليه السلام انا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر وكرواية عائشة رضى الله عنها انها قالت قال عليه السلام اتانى جبرائيل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد عليه السلام اما بيان فضيلته فى ابتداء خلقه عليه السلام فيكفيك قوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الجسد والروح وقوله عليه السلام كنت اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث وقول العلماء فى تفسير قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم الاية ان الله تعالى اخذ الميثاق والعهد على كل من النبيين لئن بعث محمد عليه السلام وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه كما سبق فنبينا عليه السلام كان نبيا لجميع الانبياء تقديرا واما بيان فضيلته عليه السلام على سائر الانبياء فى الحسن والجمال والبهجة والكمال فيستفاد من اشارة قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى حيث استعير الضحى من وجهه عليه السلام والليل من صدغه عليه السلام وكفاك شاهدا حديث انس انه قال قال عليه السلام ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه وحسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وقوله عليه السلام حين سئل عن حسن يوسف وحسنه عليه السلام انا املح واما بيان فضيلته عليه السلام عليهم فى الاخلاق المرضية فيكفيك قوله تعالى فى شأنه عليه السلام انك لعلى خلق عظيم حيث حصر الله تعالى الخلق العظيم فيه عليه السلام دون غيره وقوله عليه السلام فيما رواه احمد ومالك فى الموطأ بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وحيث اشار فى هذا الحديث الى ان الانبياء عليهم السلام كانوا موسومين بالاخلاق المرضية لكنه عليه السلام كان جامعا لجميع الاخلاق العلية ومشتملا على الاحوال السنية بحيث لا يتصور فوقه كمال فان قلت قد ورد النهى عن تفضيل بعض الانبياء على بعض وعن تفضيله عليه السلام على غيره من الانبياء حيث قال عليه السلام فى حديث لا تفضلوا بين الانبياء وفى حديث آخر لا تفضلونى على يونس بن متى فكيف يصح من الناظم الفاهم هذا البيت مع ما بعده قلت ان للعلماء فى هذه الاحاديث تأويلات الاول ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقيص بعضهم عن بعض الثانى منع التفضيل فى حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هى شئ واحد لا تفاضل فيها وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا العزم من الرسل قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض والثالث انه عليه السلام نهى عن تفضيله على غيره قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والرابع ان نهيه عليه السلام كان على طريق التواضع ونفى التكبر والعجب والتفصيل فى الكتب المطولة ثم قوله ولم يدانوه فى علم ولا كرم الواو للاستئناف كانه قيل فهل فاق عليهم فى اخلاق العلم والكرم مع كونهما اعظمها واشرفها فقال مبالغة ولم يدانوه اى لم تقاربه عليه السلام الانبياء عليهم السلام فى العلم والكرم ولا تتوهمن من ظاهر هذا الكلام انهم لا يعلمون ويجوز عليهم اطلاق الجهل لانه يؤدى الى نسبة النقص والبله والغفلة اليهم عليهم السلام وانهم منزهون عنه وعن الجهل فيما يلزم لهم نعم يجوز ان يقال انه عليه السلام كان اعلم منهم ببعض الامور كامور الآخرة واشراط الساعة

واحوال السعدآء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون ثم اعلم ان بيان علمه ثابت بقوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وبقوله عليه السلام انا مدينة العلم الحديث وغير ذلك ثم ان تفوقه فى الكرم ايضا ثابت بقوله تعالى على ما ذكره بعض المفسرين انه لقول رسول كريم وبقوله عليه السلام انا اكرم ولد آدم ولا فخر وسيأتى بيان بعض ما وقع من كرمه عليه السلام وهذا ثانى الابيات التى تمايل فيها النبى عليه السلام عند قراءة الناظم الفاهم فى رؤياه عليه عليه السلام فينبغى لقارئ هذه القصيدة ان يكرره عند اثناء قرآءته لكن يلزم ان يكرره وترا

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر او رشفا من الديم

لما توهم ان يرد على البيت الاول شبهة المجاز او غيره اراد ان يدفعه فقال تأكيدا وكلهم من رسول الله الخ الواو اما للعطف او للابتدآء لكن الثانى اولى كما لا يخفى ولفظة كل مأخوذة من الاكليل الذى هو المحيط بجوانب الرأس فلذلك توجب الاحاطة وهو من الاسماء اللازمة للاضافة ولهذا لا تدخل الا على الاسماء اذ الاضافة من خصائص الاسم قال الاصوليون ان لفظ كل اذا اضيف الى معرفة يوجب احاطة الاجزآء واذا اضيف الى نكرة يوجب احاطة الافراد فيصح قول الرجل كل التفاح حامض اى جميع اجزآئه ولا يصح كل تفاح حامض لخلو البعض منه وضمير الجمع راجع الى النبيين ومن رسول الله متعلق بملتمس قدم للوزن وللحصر اى منه دون غيره من الانبياء فان قلت لم اظهر فى مقام الاضمار قلت للتنبيه على وصفه العظيم لان الرسالة صفة عظيمة فى غاية العظمة لا يقال لا يفاد من قوله من رسول الله ان الانبياء ملتمسون من نبينا عليه الصلاة والسلام اذ الرسل على ما روى عنه عليه السلام ثلثمائة وثلاثة عشر لانا نقول المقام قرينة على ان المراد منه نبينا صلى الله عليه وسلم على انهم قالوا كلما ذكر لفظ رسول الله فى كتب هذه الامة فالمراد نبينا دون غيره وله جواب آخر فتأمل وقوله ملتمس خبر المبتدأ اعنى كلهم والضمير فيه راجع الى الكل باعتبار لفظه والاولى ان تكون العبارة ملتمسون الفرق بين السؤال والالتماس والامر ان طلب الادنى من الاعلى سؤال ودعاء وطلب المساوى من المساوى التماس وطلب الاعلى من الادنى امر وانما اختار الالتماس لرعاية الادب فى حق الانبياء وقوله غرفا من البحر او رشفا من الديم غرفا بالنصب مفعول ملتمس والغرف بفتح الغين المعجمة وسكون الرآء اخذ الماء باليد ملء الكف ومن البحر متعلق بغرفا والمراد من البحر اخلاقه عليه السلام ففيه استعارة مصرحة حيث شبه اخلاقه الباطنية بالبحر فى الكثرة والوفرة وعدم الاختلاط بشئ قليل ثم استعير البحر لخلقه عليه السلام فذكر البحر واريد منه اخلاقه عليه السلام واثبات الغرف ترشيح لها وفى الترشيح ايضا استعارة بان يشبه اخلاق الانبياء بغرفة من البحر فى القلة بالنسبة اليه عليه السلام فاستعير الغرفة لاخلاقهم عليهم السلام فذكر الغرفة واريد اخلاقهم واو فى رشفا بمعنى الواو الواصلة والرشف اخذ الماء بالفم اى الجرعة من الماء ومن الديم متعلق برشفا ويجوز ان يكون كل من البحر ومن الديم حالا

اوصفة والديم جمع ديمة وهو مطر ينزل بسكون بلا رعد ولا برق ويدوم واقله ثلاثة ايام واكثره اربعون يوما والياء فى لفظة ديمة بدل من الواو لان اصله دومة من الدوام فان قلت لم خص الغرف بالبحر والرشف بالديم قلت للاشارة الى ان ماء البحر لا يشرب لكونه مرا بل يجوز استعماله للوضوء والغسل وغير ذلك بخلاف ماء المطر فانه يشرب للطافته بل هو ألذ من جميع العيون وفى الديم والرشف استعارة كما فى البحر والغرف لكن المراد من البحر علمه عليه السلام ومن الديم كرمه فتذكر وانما افرد البحر وجمع الديم اشارة الى ان البحر اسم جنس يطلق على الصغير والكبير بخلاف الديمة وحاصل معنى البيت ان جميع الانبياء وكل واحد منهم طلبوا واخذوا العلم من علمه عليه السلام الذى هو كالبحر فى السعة والكرم من كرمه عليه السلام الذى هو كالديم لانه عليه السلام مفيض وانهم مستفاضون لانه تعالى خلق ابتدآء روحه عليه السلام ووضع علوم الانبياء وعلم ما كان وما يكون فيه ثم خلقهم فاخذوا علومهم منه عليه السلام او المراد انه تعالى لما خلق نور محمد قبل الاشياء خلق اللوح والقلم والسموات والارضين والعرش والكرسى والملائكة والجنة والنار وارواح الانبياء والمؤمنين ونور قلوبهم ونور انفسهم من نوره عليه السلام فعلم الانبياء كان كنقطة بالنسبة الى ما فى اللوح واللوح والقلم مخلوقان من نوره عليه السلام فيكون علمهم نقطة من علمه عليه السلام كما لا يخفى ثم اعلم ان هذا البيت ثالث الابيات التى تمايل فيها النبى عليه السلام فيلزم لقارئه ان يكرره لكن بشرط كونه وترا

وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم او من شكلة الحكم

وهذا البيت تأكيد آخر لما قبله آكد من الاول وابلغ فى مدحه عليه السلام وتفوقه على سائر الانبياء والواو للعطف او للحال وواقفون خبر بعد خبر للمبتدأ اعنى قوله كلهم وقد جمع الناظم الفاهم بين اللغتين حيث افرد الخبر اولا وجمعه ثانيا وواقفون بمعنى مطلعون فمفعوله الثانى محذوف اى مطلعون شيئا ولدى بمعنى عند وضميره راجع اليه عليه السلام وفى لدى ثمان لغات الاولى لدى بالالف المقصورة والثانية لدن بفتح اللام وضم الدال وسكون النون والثالثة لدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون والرابعة لدن بفتح اللام والدال وسكون النون والخامسة لدن بضم اللام وسكون الدال وكسر النون والسادسة لد بفتح اللام وسكون الدال والسابعة لد بضم اللام وسكون الدال والثامنة لد بفتح اللام وضم الدال وكلها بمعنى عند والفرق بينه وبين عند ان لدى مختص بالحضرة دون عند مثلا يقال المال عند زيد فيما يحضر عنده وفى ما فى خزآئنه وان كان غائبا عنه ولا يقال المال لدى زيد او لدن زيد الا فيما يحضر عنده ولديه حال من ضمير واقفون متعلق بمحذوف اى كائنين لديه وعند متعلق بواقفون والحد بفتح الحاء يجيء على ستة معان الاول بمعنى المرتبة والثانى بمعنى الغاية والنهاية والثالث بمعنى الحاجز والمانع بين الشيئين والرابع بمعنى تشحيذ السيف والخامس بمعنى عقوبة مقدرة تجب اقامتها على الامام والسادس بمعنى التعريف المشتمل على ذاتياته والمراد ههنا هو

المعنى الاول وضمير الجمع الى الانبياء عليهم السلام وقوله من نقطة العلم من لبيان المفعول الثانى لواقفون فتكون زآئدة فعلى هذا المعنى يكون حاصل معنى البيت ان الانبياء مطلعون عند النبى عليه السلام على مراتبهم شيئا هو نقطة العلم او شكلة الحكم فيكون علم نبينا عليه السلام كالنقطة فى جنب علم الله تعالى وحكمته كالشكلة من الحكم فى جنب حكمة الله تعالى ولكون علم سائر الانبياء جزأ من تلك النقطة وحكمهم جزأ من شكلة الحكمة وهذا الاطلاع كان فى ليلة المعراج حيث حضروا مجلسه عليه السلام وقعدوا فى حضوره على مراتبهم واطلعوا على علمه وحكمته او يكون فى القيامة تحت اللوآء حيث روى ان جميع الانبياء يجمع تحت لوآء الحمد الذى هو علم النبى عليه السلام ويسكنون على مراتبهم او كان فى خلق الارواح قبل الاجساد ثم اعلم ان النقطة فعلة من نقطه نقطا اى وضع عليه النقطة واظن ان النقطة مشترك بين اللغات كالصابون واو بمعنى الواو وانما قلنا انه بمعنى الواو لانه لو كان بمعناه للزم ان يكون فى بعض الانبياء علم دون حكمة وفى بعضهم بالعكس وهو مخالف لما ثبت انه تعالى اعطى الانبياء علما وحكما كما قال تعالى ولما بلغ اشده آتيناه علما وحكمة وقال ايضا وكلا آتينا حكما وعلما فتأمل والشكلة بالفتح من شكلت الكتاب قيدته بالاعراب اعنى الرفع والنصب والجر والحكم جمع حكمة وهى علم باحوال اعيان الموجودات على ماهى عليه فى نفس الامر وانما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لان النقطة اولى بمزية الظهور ولذا اضيفت اليه والشكلة امر زآئد خارج من ماهية المفهوم المتوقف على النقطة التى مدار البنية عليها ولذا انسبت الى الحكم وهى علوم دقيقة عن العلوم الشرعية ثم اعلم انه يجوز ان يكون واقفون بمعنى ساكنون حاضرون فى حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراتبهم ويكون من متعلقا بواقفون بتضمين معنى آخذين وتكون اضافة النقطة الى العلم من اضافة المشبه به الى المشبه اى العلم كالنقطة فحاصل معنى البيت على هذا ان الانبياء حاضرون وساكنون فى حضور النبى عليه السلام على مراتبهم آخذين العلم كالنقطة والحكم كالشكلة بالنسبة الى علمه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون فى هذا استعارة تمثيلية بان انتزع هيئة من امور اى من كون النبى عليه السلام رئيسا ومتبوعا لسائر الانبياء وكونهم متوقفين فى حضوره عليه السلام واخذهم العلم منه عليه السلام وكونهم فى امره عليه السلام وشبه هذه الهيئة بالهيئة التى انتزعت من امور محسوسة لنا ككون ملك عظيم قاعدا فى مجلس وكون اتباعه واقفين على مراتبهم وانتظارهم الى كلام الملك واخذهم الفائدة منه وكونهم فى امره ثم استعير الهيئة المشبه بها الى الهيئة المشبهة فذكر الالفاظ الدالة على الهيئة المحسوسة واريد الهيئة الغير المحسوسة لنا ثم اعلم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله تعالى (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) واشارة الى قول الخضر لموسى عليه السلام حين اتباعه لاخذ العلم (ما علمك وعلمى وعلم الخلائق الا كما اخذ العصفور بمنقاره من البحر بالنسبة الى علم الله تعالى) والى ان فى كل من الانبياء نوعا من العلوم دون نوع وانه عليه السلام

جمع انواع العلوم التى فى الانبياء وسائر الخلائق وفى الشفاء خص الله تعالى به عليه السلام الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومصالح امته وما كان فى الامم وما سيكون فى امته من النقير الى القطمير وعلى جميع فنون المعارف كالقلب والفرآئض والعبادة والحساب وقد وردت آثار بمعرفة حروف الخط وحسن تصويرها وفى حديث روى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم (فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم) مع انه صلى الله عليه وسلم لم يكتب ولم يقرأ من كتاب الاولين قطعا كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه) الآية بخلاف سائر الانبياء

فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

لما كانت الابيات السابقة دليلا على كونه عليه الصلاة والسلام حبيبا كاملا وكانت تلك ثابتة مبينة انتجت المطلوب فلذا قال فهو الذى تم الخ فالفاء فى فهو للنتيجة وهو بسكون الهاء وهو راجع الى نبينا عليه السلام وتم بمعنى كمل من تمام الشئ بمعنى كماله والمعنى اسم مكان او مصدر ميمى بمعنى المفعول او مخفف معنى اسم مفعول من عنيت بكلامى كذا اى قصدته فمعنى الشئ هو المقصود منه ومعنى الرجل كماله اى الذى تم به والصورة بمعنى الشكل والهيئة وانما قدم المعنى على الصورة لكون المعنى اصل المقصود والمراد من المعنى والصورة ههنا كماله الباطنى وكماله الظاهرى اعنى حسن خلقه وعظم خلقه او الوحى الباطنى والبعث الظاهرى او طريقته وشريعته او روحانيته وجسمانيته او علمه وعمله او عبادته للحق ومعاملته للخلق وكلمة ثم اما على اصلها اعنى للتراخى الزمانى بناء على ان المراد من اصطفائه حبيبا بعثه ولا شك ان بعثه متراخ عن بلوغه الى مرتبة الكمال وبناء على ان اصطفاءه حبيبا كان فى المعراج حيث حكى ان الله تعالى قال له فى تلك الليلة يا محمد ان الملوك اذا آثروا عبدا بابتاء الملك اياه وجعله ملكا ذا اعتبار بادر والاظهار شرفه فاى شئ تريد ان نجعل لك فقال عليه السلام اضفنى اليك يارب بالعبودية فارسل اليه (سبحان الذى اسرى بعبده) الآية وقال هذا ما طابت ولك احسن من هذا وهو واضافتك الينا بالحبيبة فانت حبيب الله فلا شك ان المعراج كان بعد البعثة والكمال والابتهاج واما للتراخى الرتبى فيكون فى ثم مجازا واستعارة تبعية لان الحقيقة فيه التراخى الزمانى وذلك بتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال على مطلق التباعد وتكون نكتة المجاز الاشارة الى ان مرتبة الاصطفاء اعلى من مرتبة الكمال والاصطفاء بمعنى الاختيار والانتخاب وحبيبا حال من ضمير اصطفاه او مفعول ثان له بتضمين معنى الجعل والبارئ بمعنى الخالق كما فى قوله يا بارئ البشر ابرئنى بستمل * والنسم بفتحتين جمع نسمة وهى النفس او كل ذى روح وقيل هى الادمى ثم اعلم ان فى هذا البيت ايماء الى وجه انتظار الاصطفاء الى المدة الاربعينية وترجيحه على عيسى ويحيى ممن اعطى النبوة فى حال الطفولية وان كان المتبادر الى الوهم عكس هذه القضية وتلويحا الى قوله تعالى (الله يصطفى من الملائكة

رسلا) الآية وتلميحا الى حديث روى عن واثلة بن الاسقع انه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم) ولو تأملت معانى البيت لوجدت فيه اشارة الى شئ كثير كما لا يخفى

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

لما بين الناظم الفاهم الصفات الثبوتية له عليه السلام شرع فى بيان صفاته السلبية ثم لما علم مما سبق ان نبينا فائق على جميع الانبياء والاولياء فانهم لم يصلوا الى خلقه الباطنى وخلقه الظاهرى ناسب ان يسلب عنه الشريك فى محاسنه فقال منزه عن شريك فى محاسنه الخ منزه خبر مبتدأ محذوف وهو على صيغة اسم المفعول من التنزيه بمعنى التبرئة والتبعيد وشريك نكرة وقع فى سياق النفى فيفيد العموم فان قيل لم يكن فى هذا المقام نفى حتى يفيد العموم قلنا وان لم يكن فى الظاهر لكنه فى معنى التنزيه لانه فى معنى لم يكن له شريك وهو فعيل بمعنى فاعل اى معادل والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس وهو متعلق بشريك وانما لم يقل فى شمائله ليعم الحسن والجمال ولا يخص الخلق والخصال ولقائل ان يقول ان هذا الحكم اى كونه عليه السلام منزها عن شريك فى كل محاسنه فاسد لانه قد كان سائر الانبياء شريكا له فى محاسن النبوة والرسالة وعدم العبادة لغير الله اللهم الا ان يقال انه ادعائى فليتأمل وقوله فجوهر الحسن فيه الخ الفاء للنتيجة اى لما كان منزها عن شريك فى محاسنه لزم ان يكون جوهر الحسن الذى فيه غير منقسم والا اى لو كان جوهر الحسن الذى فيه منقسما للزم ان يكون مشتركا فيه اذ الانقسام انما يكون بالتقسيم اليه والى غيره لكن التالى باطل والمقدم مثله فثبت نقيضه وهو ان جوهر الحسن الذى فيه غير منقسم والجوهر اختلف فيه هل هو معرب اولا قال بعضهم انه معرب كوهر فارسى وقال بعضهم انه مشتق من الجهر او من الجهارة وهو يجئ بمعنى الحجر المستخرج من البحر المنتفع به كالياقوت والزبرجد والزمرد وبمعنى اصل الشئ وجبليته الذى طبع عليه والجوهر عند الحكماء خمسة الاول الهيولى والثانى الصورة والثالث الجسم والرابع العقل والخامس النفس وعند المتكلمين اثنان الاول الجوهر الفرد الذى لا يتجزأ والثانى النفس وتفصيل الكلام فى علم الحكمة والكلام والمراد منه ههنا هو المعنى الثانى اعنى اصل الحسن ومادته الذى خلق عليه الحسن فلا حاجة الى جعله بمعنى الحجر المنتفع به وجعل اضافته بيانية او جعله بمعنى الجوهر الفرد الذى لا يتجزأ لانه كله تكلف والشارحون وقعوا ههنا فى حيص بيص وقوله فيه ظرف مستقر صفة الحسن اى الكائن فيه او خبر او حال من الحسن فمن جعله متعلقا بقوله غير منقسم وقع فى تكلف وقوله غير منقسم خبر او خبر بعد خبر ومعناه غير مشترك فيه بل هو منفرد بذلك الجوهر الفائض من معدن الكمال ومنبع الخير ثم اعلم ان فى هذا البيت لطافة حيث اثبت الجوهر للحسن الذى هو عرض وحكم عليه بعدم الانقسام وهو بحث طويل بين اهل الحكمة والكلام والحمد لله الملك

المنعام

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

لما جعل عليه الصلاة والسلام منزها عن الشريك فى جميع اوصافه ومحاسنه توهم منه بعض العوام انه يجوز وصفه عليه السلام بما وصف به النصارى نبيهم عيسى عليه السلام لان ذلك الوصف نهاية الاوصاف وغاية الامداح فدفع ذلك الوهم فقال دع ما ادعته النصارى فى نبيهم الى آخره دع امر من ودع يدع بمعنى اترك وما زعمت الصرفية من ان العرب اماتوا ماضى يدع ومصدره فمحمول على قلة الاستعمال والا فالنبى عليه السلام افصح العرب وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال عليه السلام لينتهين اقوام عن ودعهم الجماعات او ليختمن على قلوبهم اى على تركهم اياها وقال الشاعر

ليت شعرى عن خليلى ما الذى * غاله فى الحب حتى ودعه

وعن عروة ومجاهد انهما قرءا ما ودعك بالتخفيف كذا ذكره حسن چلبى فى حاشية المطول وخطاب دع عام لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن مدح النبى عليه السلام وقول ادعته عبر بالادعاء لكونه باطلا لان الادعاء يستعمل كثيرا فى الباطل كما ان الدعوى تستعمل فى الحق والنصارى جمع نصران كالندامى جمع ندمان والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا نبيهم عيسى عليه السلام او لانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والمراد من نبيهم عيسى روح الله بن مريم عليه السلام والمراد مما ادعته النصارى ما يفضى الى التوليد والحلول والاتحاد اذ النصارى تفرقوا بعد عيسى عليه السلام اثنتين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلاث الملكانية والنسطورية واليعقوبية الملكانية اصحاب ملكان الذى ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم الروم الملكانية وهم قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم وقالوا ان المسيح قديم ازلى وقد ولدت مريم الها ازليا واطلقوا لفظ الابوة والبنوة على الله تعالى وعلى المسيح لما وجدوا فى الانجيل حيث قال انك انت الابن الوحيد والنسطورية اصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون وتصرف فى الانجيل وقال ان الله واحد ذو اقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات وحلت هذه الصفات فى بدن عيسى عليه السلام ولذا يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص واليعقوبية اصحاب يعقوب قالوا بالاقانيم الثلاثة كما ذكرنا الا انهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده وبيانهم على الوجه المفصل فى كتاب الملل والنحل وقوله واحكم بما شئت مدحا الى آخره دفع سؤال نشأ مما قبله اى هل لا يجوز وصفه عليه السلام بما شئنا من الامداح فقال واحكم على صيغة الخطاب بما شئت اى احمل عليه ما اردته من المدح وقوله مدحا حال من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول ويجوز

ان يكون حالا من الفاعل اى حال كونك مادحا فيكون المصدر على هذا بمعنى اسم الفاعل وقوله واحتكم اما بمعنى احكم فيكون تأكيدا للاول او بمعنى اتقن فى الحكم بالمدحة حتى لا تتجاوز عن الحد الانسانى الى الوصف الصمدانى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك وكفى فى هذا قوله (ليس كمثله شئ) وقوله (يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) وانه عليه السلام وان وصف باكثر ما وصف الله به تعالى لكن صفاته عليه السلام حادثة وصفاته تعالى قديمة

فانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم

لما كان معنى قوله واحتكم بما شئت الى آخره خفيا اذ لا يطلق كل شئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسره بهذا البيت فقال فانسب الى ذاته الى آخره الفاء للتفسير والنسبة الاضافة والذات قال صاحب الكشاف ان التاء فى الذات ليست كالتاء فى بنت بل جرت مجرى التاء فى نحو لات ولهذا جوزوا اطلاقه على الله تعالى مع تحاشيهم عن اطلاق علامة انتهى وقال ابن سيدة التاء فى ذات وشات ليست للتأنيث لانها غير موقوف عليها هاء وتاء التأنيث هى التى يوقف عليها هاء انتهى وفى الجار بردى اصل ذات ذوى فحذفت الياء فبقى ذو وعوض التاء فصارت ذوت فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت ذات وكذلك شات وجملة الكلام على ما حققه التفتازانى فى سورة آل عمران ان الذات وان كان فى الاصل مؤنث ذو لكن تاؤه قد انسلخ عنها الدلالة على التأنيث واجريت مجرى التاء الاصلية ثم اطلق على معنى النفس والحقيقة ولذلك قالوا فى النسبة ذاتى باثباتها وجوزوا اطلاقه على الله تعالى مع امتناع اطلاق علامة عليه تعالى لوجود التاء وقد يطلق الذات ويراد به ما قام بذاته وقد يطلق ويراد به المستقل بالمفهومية ويقابل الصفة وقد يطلق ويراد به الرضى وقد يطلق ويراد به مفهوم الشئ كذا فى كليات ابى البقاء وتنوين شرف للتعظيم والتعميم اى من شرف عظيم وكرم كثير من تناسب الاعضاء وجمال الخلق وكرم اليد وطيب العرق وذكاء اللب وصفاء الجنان وبلاغة الكلام وفصاحة اللسان وسائر كمالات الانسان فانه منبع الاحسان ومبدع الرحمن وقوله وانسب الى قدره والقدر المقدار والمراد مقدار المرتبة وعظم على وزن كبر جمع عظمة بمعنى الفخامة فان قيل ما الفرق بين الشرف والعظمة قلنا ان الشرف ينسب الى الذات والعظمة تنسب الى الصفات كما قال النبى عليه السلام فى مكتوبه الى هرقل من محمد رسول الله الى هرقل عظيم ملك الروم فعظيم فى مكتوبه بالنسبة الى صفاته لا ذاته فالمراد بما شئت من عظم علو قدره ومرتبته وجمال طوره وعظمته والمعجزات والارهاصات والمعراج والمناجاة والامامة الى الانبياء والدنو الى جنابه الاعلى والتفضيل فى القيامة باللواء والوسيلة والشفاعة العظمى وهذا البيت اجمال ما سيأتى من الابيات المشتملة على

امداحه عليه السلام

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

لما كان فى مضمون البيت السابق شبهة بعض المشبهة من انه لا يجوز اطلاق جميع الاوصاف الكاملة عليه بل انما يقتصر على توصيفه بما ورد من الشرع فى وصفه فى نفسه أثبته وعلله فقال فان فضل رسول الله الخ فالفاء للتعليل فيمكن ان يرتب ههنا قياس من الاقترانى بادنى تغيير بان يقال يجوز ان تنسب الى ذات رسول الله ما شئت من شرف وتنسب الى قدره ما شئت من عظم لان رسول الله ليس لفضله حد فيعرب عنه ناطق بفم وكل من شأنه كذا فيجوز ان تنسب الى ذاته ما شئت من شرف وتنسب الى قدره ما شئت من عظم فينتج المطلوب واما تقريره من الاستثنائى فظاهر بان يقال يجوز ان تنسب الى ذات رسول الله ما شئت من شرف لانه لما كان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم جاز ان تنسب الى ذاته ما شئت من شرف لكن المقدم حق فالتالى مثله والفضل بمعنى الزيادة والتفوق وهو مصدر مضاف الى فاعله والحد ههنا بمعنى الغاية والنهاية او بمعنى الوصف المحيط والفاء فى فيعرب جواب للنفى ويعرب منصوب بان المقدرة وهو من الاعراب وهو يجيء بمعنى الاظهار والابانة ويجيء بمعنى التحسين يقال جارية عروب اى حسناء وبمعنى التغيير يقال عربت معدة الفصيل اذا تغيرت والمراد ههنا هو الاول وعنه متعلق بيعرب والناطق بمعنى المتكلم والباء فى بفم للاستعانة متعلق بناطق والنطق لا يكون الا باللسان فالتعبير عنه بالفم من ذكر المحل وارادة الحال وتقييد النطق بالفم اما للتوكيد على طريقة قوله تعالى (يطير بجناحيه) اولان النطق يطلق على ما يجرى على الجنان ايضا كما هو مذهب بعض العلماء وانما قيد الحد بقوله يعرب عنه ناطق بفم احترازا عن الحد المعلوم له عليه السلام عند ربه عز وجل فانه تعالى يعلم فضل رسوله اذ لو لم يعلم لزم الجهل والتالى باطل وبما قررنا اندفع ما اورده شيخ زاده فتأمل وفى هذا البيت تلميح الى قوله تعالى (فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

لو ناسبت قدره اياته عظما * احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

لما اراد الناظم الفاهم ان يدفع التوهم الناشئ من ايراد اوصافه عليه السلام انه مبين اوصافه ومورد لكل امداحه قال معترفا بعجزه عن وصفه على ما يناسب له عليه السلام لو ناسبت قدره الى آخره كلمة لو حرف شرط وهو لانتفاء الثانى لانتفاء الاول اى لو ناسبت قدره آياته عظما احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم فلم تكن آياته مناسبة لقدره يعنى ان آياته غير مناسبة لعلو قدره وعظم مرتبته بل المناسب لقدره ان يعطى ازيد مما فيه وافضل من الآيات التى اعطيها فان قلت الايات صيغة جمع وصيغة الجمع من صيغ العموم فيدل على جميع الافراد وهو باطل قطعا لان من افراد آياته القرآن والمعراج على قول الرؤية ايضا فلو كان المراد من الايات جميع الافراد للزم كون القرآن والمعراج على قول الرؤية غير لائق بشانه عليه السلام

وهو باطل قطعا لان القرءآن كلام الله القديم وكذا المعراج على هذا شئ عظيم لا تى بشأنه بل فاضل عنه قلت اجيب عنه بوجوه اما اولا فبانا لانسلم ان صيغة الجمع باقية ههنا على عمومها كيف وهو عام قد خص منه البعض فيكون المراد بالايات غير القرءآن والمعراج واما ثانيا فبأنا لو سلمناه على عمومه فلا نسلم ان القرءآن والمعراج داخلان فى الآيات لان المراد منها ماعداهما بقرينة كون اضافتها للعهد اى الايات التى صدرت عنه عليه السلام بالاختيار وهما حاصلان بالاضطرار واما ثالثا فبأن المراد من الايات الايات السابقة بقرينة ان الالف واللام فيها للعهد وهما غير داخلين فيما سبق فتدبر واما رابعا فبأن يقال ان المراد بالآيات الآيات الدالة على عظمته اعنى المقصودة فى الدلالة على العظمة لا فى الشرافة والقرءآن والمعراج غير ظاهرين فى الدلالة على العظمة وفيه مافيه ثم ان ناسبت من المناسبة وهى الاشتراك فى شئ او اكثر وقدره بالنصب مفعول ناسبت وقدر الشئ مبلغه فى الكمال او النقصان وغلب استعماله فى الكمال خصوصا عند الاطلاق وآياته بالرفع فاعل ناسبت وهى جمع آية بمعنى العلامة وعظما بالنصب تميز عن اسناد ناسبت وهو بمعنى العظمة وجملة احيى جواب لو واحيى من الاحياء وهو ايجاد الحياة واعطاؤها واسمه بالرفع فاعل احيى والمراد من الاسم اما ما يرادف العلم او بمعنى التسمية بمعنى ذكر الاسم واسناد احيى اليه مجاز اذ المحيى هو الله ويدعى على صيغة المجهول من دعاه اذا طلبه ودعا الله سأله وضمير يدعى راجع الى الله تعالى ودارس الرمم بالنصب مفعول احيى والرمم جمع رمة كالقطع جمع قطعة وهى العظام البالية يقال درس الرسم اذا عفا فدراستها زيادتها فى البلى واضافة الدارس اليها من اضافة الصفة الى الموصوف اى الرمم الدارسة وحاصل معنى البيت انه لو كانت آياته العظام مناسبة لمقدار كماله لاحيى الله تعالى بعد وفاته ببركة اسمه العظام البالية والاجساد الفانية لكن ما احيى الله تعالى بعد وفاته تلك العظام لستر غايات كمالاته بين الانام فان قلت لم يعط صلى الله عليه وسلم هذه المعجزة اعنى احياء الموتى بعد وفاته ببركة اسمه حين يدعى الله كما اعطى سائر المعجزات قلت لو اعطيها ايضا لكان ايمان المؤمنين بعد عصر سعادته عليه السلام ايمانا بالمشاهدة وايمان الغيب اولى من الايمان بالمشاهدة كما لا يخفى ومن فهم من هذا البيت ان مراد الناظم ان احياء الموتى لم يعط اليه عليه السلام اصلا فقال معترضا على الناظم ان هذا البيت مخالف لما سيأتى من قوله وكل آى اتى الرسل الخ اذ يفهم منه ان احياء الموتى اعطى اليه عليه السلام اذ كان ذلك معجزة لعيسى عليه السلام وهذه المعجزة اتصلت الى عيسى عليه السلام من نور نبينا عليه الصلاة والسلام انتهى فقد خبط خبط عشواء وركب متن عمياء اذ ليس مراد الناظم انه لم يعط اليه عليه السلام هذه المعجزة اصلا بل مراده ان تلك المعجزة لم تعط اليه عليه السلام بعد وفاته الى يوم القيامة والا فهو عليه السلام جامع لجميع المعجزات التى ظهرت فى ايدى سائر الانبياء مع معجزات خاصة به عليه السلام

وان كنت فى ريب مما ذكرناه فانظر الى ماذكر فى دلائل النبوة من انه مات فى زمانه عليه السلام فتى من الانصار فزمله من فى اطرافه فجاءت امه الضعيفة العمياء فاخبروها بموته فقالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تغيثنى فى كل شدة فلا تحمل على هذه المصيبة بحرمة نبيك فبعد هذا الدعاء كان ابنها الميت حيا فكشف وجهه فقام واكل الطعام مع الحاضرين وكذا ماروى ان جابر بن عبد الله دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة فذبح له غنما فجاء ابنه الكبير فسأل من اخيه الصغير قائلا كيف ذبح ابونا الغنم فقال الغلام الصغير له جئ حتى اريك فاطاعه الغلام الكبير فشد يديه ورجليه فاخذ السكين وذبحه فذهب برأسه الى امه فبكت امه فخاف الغلام منها فقر وصعد السطح فجرت امه من خلفه فرمى الغلام نفسه من السطح فمات فصبرت امهما على هذه المصيبة فلفتهما فى خرقة وحفظتهما فى البيت وشرعت فى طبخ الطعام فلما جاء الرسول عليه السلام حضروا الطعام فنزل جبرائيل فقال له عليه السلام امر الله لك ان تأكل هذا الطعام مع ابنى جابر فاعلم رسول الله عليه السلام جابرا فجاء جابر الى زوجته فسألها فقالت ليسا بحاضرين هنا فجاء جابر اليه عليه السلام فقال انهما ليسا بحاضرين يارسول الله فامر رسول الله تكرارا باتيانهما فجاء جابر فاقدم على زوجته فاضطرت واخبرت بالسر فجاء جابر اليه عليه السلام باكيا فاخبره بالقضية فتفكر رسول الله فنزل جبرائيل فقال ان الله يأمرك ان تدعو لهما ويقول منك الدعاء ومنا الاجابة فدعا رسول الله لهما فوجدت الحياة فقاما واكلا معه عليه السلام ومثل هذا كثير وفير كما لا يخفى على من هو بكتب الاحاديث خبير ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه لو قرئ على محتضر قد اشتدت سكرات موته فى آخر وقته ان تم اجله يموت والا فيفيق ويخلص من الم ذلك الوقت وشدته كذا اخبر به الاستاذ طال بقاه

لم يمتحنا بما تعيى العقول به ✻ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

لما توهم مما سبق انه عليه السلام فى غاية العظمة ونهاية المهابة فلا يبالى بامته الضعيفة كسلاطين الزمان لانهم اذا وصلوا الى المرتبة العليا لم يبالوا بالرعايا بل كلما فاقت مراتبهم يحملون رعاياهم على الاعمال الشاقة والافعال التى لا وسع لهم عليها ولا طاقة دفعه فقال لم يمتحنا بما تعيى العقول به الخ لم يمتحنا من الامتحان بمعنى الاختبار والابتلاء او من المحنة اى لم يحملنا على المحنة وبما متعلق بيمتحن وما عبارة عن الشرع الشريف وتعيى مضارع من عى لا من اعيى والفرق بين العى والاعياء ان كل عجز حصل بعد حركة وسكون فهو اعياء وكل عجز حصل فى رأى وعقل فهو عى وههنا حكاية وهى ان الكسائى تعلم النحو فى كبر سنه وكان سبب تعلمه انه مشى يوما حتى اعيى فجلس عند قدم ليستريح فقال عييت بالتشديد بغير همزة فقالوا له لا تجالسنا وانت تلحن قال الكسائى فكيف اقول قالوا ان اردت من التعب والمشقة فقل اعييت وان اردت من التحير فى الامر والرأى فقل عييت مخففا فقام الكسائى من فوره وسأل عمن

بعلم النحو فارشدوه الى معاذ فجاء وقرأ عليه حتى نفد ما عنده ثم خرج الى البصرة الى الخليل بن احمد كذا ذكره الحق فى تعريفاته والعقول جمع عقل وهو فى الاصل بمعنى الحبس سمى به الادراك الانسانى لحبسه عما يقبح ومنعه مما لا يحسن وفى الدرر العقل فى الاصل بمعنى الدية سميت به لانها تعقل الدماء من ان تسفك ومنه العقل والعقل والنفس والذهن واحد بالذات الا انه اذا كان مدركا يسمى عقلا واذا كان متصرفا يسمى نفسا واذا كان مستعدا للادراك يسمى ذهنا ثم اعلم ان العقل له معان منها جوهر مجرد غير متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف قال التفتازانى هذا ماقيل جوهر ليس بجسم ولا جسمانى ومنها قوة للنفس الانسانية بها تتمكن من ادراك الحقائق ولعل هذا ما قالوا قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات ومنها الغريزة التى يلزمها العلم بالضروريات ونفس العلم بذلك ومنها قوة مميزة بين الامور الحسنة والقبيحة ومنها هيئة محمودة للانسان ومنها قوة للنفس بها تنتقل من الضروريات الى النظريات ومنها جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله وهى النفس الناطقة التى يشير اليها كل واحد بقوله انا ثم اختلف فى محل العقل فقيل نور فى بدن الادمى وقيل فى الرأس ونوره فى القلب وقيل فى القلب واشراقه الى الدماغ ثم اعلم ان الحكماء اثبتوا العقول العشرة وسموا جبريل بالعقل العاشر والعقل الفعال وقالوا انه خلق العالم الاصغر من السطح المقعر لفلك القمر والعناصر الاربعة والمواليد الثلاثة وزعموا انه لا يصدر من الواحد الا واحد وكله كذب وتفصيل قواعدهم فى علم الحكمة وقوله به متعلق بتعي والضمير راجع الى الموصول وقوله حرصا بالنصب مفعول له او حال اى ذا حرص وعلى متعلق بالحرص والحرص شدة الرغبة فى الشىء والميل اليه وصرف الهمة له والفاء فى فلم نرتب نتيجة فاقبله من المقدمات ينتج هذا المطلوب فترتيب قياسه هكذا ان نبينا عليه السلام لم نرتب به ولم نهم لانه عليه السلام لم يمتحنا بما تعي العقول به ومن امتحنا بما تعي العقول به نرتاب ونهيم به ينتج من الشكل الثانى عين المطلوب وترتيبه من الشكل الاول سهل لمن هو اهل ونرتب من ارتاب بمعنى شك ونهم مضارع من هام اذا تحير كقوله

كل البلابل فى افصاح خصاته * سحبان هام به ما فاز بالزمل

وحاصل معنى البيت انه عليه السلام لم يختبرنا ولم يبتلنا اولم يحملنا على تعب ومحنة باتيان معجزات تعجز عنها العقول ولم يكلفنا شيأ من التكاليف الشاقة كما كان فى امم من قبلنا مثل تعيين القصاص فى العمد والخطأ وحرمة الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وفرض موضع النجاسة وقتل النفس فى التوبة وقطع الثوب المتنجس بالمقراض وترك العمل فى يوم السبت وعدم جواز الصلاة فى غير الكنائس وفرض خمسين صلاة فى يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغيرها بل اتانا بالحنفية السهلة السمحاء فلم نتحير فى متابعته ولم نشك فى رسالته قال الحسن فى تفسير قوله تعالى (عزيز عليه) اى ان تدخلوا النار (حريص عليكم) اى ان تدخلوا الجنة وقال فى التفسير الكبير المراد انه

حريص بايصال الخيرات اليكم فى الدنيا والآخرة وقال الفراء الحريص الشحيح ومعناه انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار انتهى قال فى المواهب قال تعالى فى شأنه (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم وبالجملة فى هذا البيت تلميح الى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه) الآية وايماء الى قوله تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) واشارة الى قوله تعالى (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) وتلويح الى قوله عليه السلام (بعثت بالحنفية السهلة السمحاء) والى قوله عليه السلام (لقد جئتكم بها بيضاء نقية) اللهم انت خالق الورى اجعلنا من اهل المغفرة والتقى بحرمة النبى الذى فى صورة قد بدا

اعيى الورى فهم معناه فليس يرى * للقرب والبعد منه غير منفحم

لما احتمل ان يتوهم من قوله فلم نرتب ولم نهم انا وصلنا الى فهم حقيقة معناه دفعه فقال اعيى الورى فهم معناه الخ الاعياء التعجيز والورى بمعنى الخلق والالف واللام فيه للاستغراق فالمعنى اعجز جميع المخلوقات لان استغراق المفرد اشمل وهو بالنصب مفعول اعيى وفهم بالرفع فاعله وهو مضاف الى مفعوله اى فهمهم معناه ومعنى الرجل كماله الخاص به والفاء فى فليس فصيحة اى اذا عجز المخلوقات عن فهم معناه فليس يرى الخ وليس قالوا ان اصل ليس لا ايس والايس اسم للموجود فاذا قيل لا ايس فمعناه لا موجود ولا وجود ثم كثر استعماله فحذفت الالف فبقى ليس ثم اعلم ان القاعدة فى كلمة ليس انه اذا دخل على الفعل يكون اسمه ضمير شان فههنا كذلك ويرى مضارع على صيغة المجهول اما من الرؤية البصرية او من الرؤية القلبية فان كان من الاولى يكون قوله الاتى مفعولها القائم مقام الفاعل وان كان من الثانية فالمفعول الثانى احد الجارين مع المجرور وقوله للقرب وقع فى بعض النسخ بفى وبعضها باللام فاللام بمعنى فى والقرب والبعد اما زمانيان او مكانيان ومنه وقع فى بعض النسخ بدله منهم فعلى الاول يكون الضمير راجعا الى معناه وعلى الثانى يكون راجعا الى الورى والانفحام قبول الالزام والمراد به العجز عن اتيان كمال معناه وحاصل معنى البيت ان فهم معانيه الخفية البهية وكمالاته العلية السنية اعجز الكائنات باسرها والمخلوقات بشراشرها فلا يبصر بل لا يعلم للقرب والبعد غير العجز عن ادراك حقيقة معناه وغير السكوت عن حقيقة مبناه فكان وصفه عليه السلام اصعب من جميع الجهات بين الانام ولذا قال الشيخ بدر الدين الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كابى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه عليه السلام مع كونهم مسومين بالفصاحة والبلاغة بين الانام لان مدحه عليه السلام كان من اصعب ما يحاولونه فان المعانى دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل علو فى حقه تقصير فيضيق على البليغ وصفه وقال فى تذكرة القرطبى لم يظهر كمال حسنه عليه السلام والا لما اطاقت اعين الصحابة رضى الله عنهم النظر اليه انتهى

كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من امم

لما كان فى مفهوم البيت الاول خفاء اتى له بنظير فقال كالشمس تظهر الخ الشمس كوكب نهارى مضيء لجميع العالم وتظهر من الظهور على صيغة التأنيث لان الشمس مؤنث وتظهر مع مابعده اشارة الى وجه التشبيه بالشمس لامطلقا وقد بين عيب التشبيه بها على الاطلاق ابو النواس حيث قال

يتيه الشمس والقمر المنير * اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسى * وان البدر ينقصه المسير

وهذا التشبيه وغيره مما ورد فى حقه عليه السلام انما هو على سبيل التقريب والتمثيل والافذاته اعلى واجد فان قلت المناسب ان يشبه جماله عليه السلام بالقمر والبدر لان القمر يملا الارض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كلل ينزع قلت نعم كذلك الاان الناظم الفاهم قصد تشبيهه عليه السلام بالشمس فى العجز عن التمكن من النظر على وجه الكمال الى وجهه عليه السلام وفى اتمية الضياء لان الشمس اتم ضياء من القمر كما لا يخفى وقوله للعينين على صيغة التثنية متعلق بتظهر والالف واللام فيه للاستغراق اى لكل عين سواء كانت عين الاولياء او الاصفياء ومن بعد متعلق به ايضا والبعد بضمتين لغة فى البعد والبعد ضد القرب وهو عبارة عن امتداد قائم بالجسم او بنفسه عند القائلين بوجود الخلا وقوله صغيرة بالنصب حال من فاعل تظهر وقوله وتكل من الاكلال وهو التعجيز عن الادراك والطرف العين ومن امم متعلق بتكل او حال من الطرف والامم بفتحتين القرب وحاصل معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم فى وصفه الذى تقدم من انه عجز عن فهم مبناه وعلم معناه كالشمس التى تظهر للعينين من جهة البعد حال كونها صغيرة وتعجز البصر والنظر من القرب وتصير نفس الرآئى حسيرة والحاصل ان الشمس على ماقيل انها قدر كرة الارض مائة وبضعا وستين مرة كما انها تظهر من المسافة البعيدة صغيرة واذا تقرب الشخص لادراك حقيقتها يرى نفسه عاجزة حقيرة كذلك هو عليه السلام يرى فى بادئ النظر انه فرد من افراد البشر واذا تأمل فى جمال ذاته وكمال صفاته عجز وتحير وفى هذا البيت اشارة دقيقة الى قوله عليه السلام اللهم اجعلنى فى عينى صغيرا اى لمشاهدة عظمتك وفى اعين الناس كبيرا اى لمكاشفة قدرتك

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته * قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

لما بين العجز عن ادراكه كما لانه عليه السلام بالغ فيه مع الاشارة الى علة ذلك العجز فقال وكيف يدرك فى الدنيا الخ وفى بعض النسخ وقع بالفاء فيكون تفريعا لما تقدم وفى بعضها بالواو فتكون عاطفة وكيف ظرف يدرك قدم عليه لصدارته لانه كلمة استفهام والاستفهام لانكار الوقوع ويدرك مضارع معلوم من الادراك والادراك بمعنى مطلق التصور او بمعنى الاحاطة بجوانب المرئى قال بعضهم اول مراتب وصول العلم الى النفس الشعور ثم الادراك ثم الحفظ وهو استحكام المعقول فى العقل ثم التذكر وهو محاولة النفس فى استرجاع مازال من المعلومات ثم الذكر وهو رجوع الصورة المطلوبة

الى الذهن ثم الفهم وهو التعقل ثم الفقه وهو العلم بغرض المخاطب ثم الدراية وهى المعرفة الحاصلة بعد تردد مقدمات ثم اليقين ثم الذهن وهو استعداد الذهن لكسب العلوم الغير الحاصلة ثم الفكر ثم الحدس وفى الدنيا متعلق بيدرك وانما قيد عدم الادراك بالدنيا لان استتار حقيقته المحمدية واختفاء كما لاته الاحمدية مخصوص بالدنيا لان فى الاخرة تظهر مراتب كل احد ولذا يرى المؤمنون فى الاخرة ربهم بغير كيف ومكان ولذا قال صاحب الامالى يراه المؤمنون بغير كيف لان فى الاخرة تبدل الاعين الى حالة اخرى ولذا قال بعض العارفين انما امتنع رؤية الله تعالى فى الدنيا الفانية لان الباقى لا يرى الا بالعين الباقية وقوله حقيقته بالنصب مفعول يدرك وضميره راجع اليه عليه السلام وحقيقة الشئ كماله الخاص به يقال حقيقة الله ولا يقال ماهية الله لايهامها معنى التجانس وقوله قوم بالرفع فاعل يدرك والقوم اسم لجماعة الرجال خاصة لانهم القوامون بامور النساء فاللفظ مفرد بدليل انه يثنى ويجمع واختصاص القوم بالرجال صريح فى قوله تعالى (لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء) الآية وقول زهير * اقوم آل حصن ام نساء * واما فى مثل هذا المقام فذكر الذكور وترك النساء لانهن توابع لرجالهن فيكون تغليبا ثم اعلم ان فى القوم ثلاثة اقوال احدها انه اسم جمع وثانيها انه جمع لا واحد له من لفظه وثالثها انه جمع له واحد من لفظه كما قال صاحب الكشاف فى سورة الحجرات هو فى الاصل جمع قائم وقوله نيام بالرفع صفة قوم وهى جمع نائم والنوم ريح يقوم من اغشية الدماغ فاذا وصل الى العين فترت واذا وصل الى القلب نام والمراد من النيام الغفل اما على طريق الاستعارة او المجاز اما الاول فبان يقال شبه الغفلة بالنوم فى عدم ادراك فائدة ما ثم استعير النوم للغفلة وذكر النوم واريد الغفلة ثم اشتق من الغفلة الغفل الذى هو جمع غافل واشتق من النوم نيام وشبه الغفل بالنيام فاستعير النيام للغفل فذكر النيام واريد الغفل فعلى هذا يكون قوله تسلوا عنه بالحلم ترشيحا لهذه الاستعارة واما الثانى فبأن يكون مجازا مرسلا تبعيا بان يقال ان الغفلة لازمة للنوم فذكر الملزوم واريد اللازم ثم اشتق من الغفلة غفل ومن النوم نيام فذكر النيام واريد الغفل وقوله تسلوا من التسلية بمعنى قنعوا واكتفوا وعنه متعلق بتسلوا والضمير اما راجع اليه عليه السلام واما الى حقيقته والحلم بضمتين ما يراه النائم فى نومه من الخيالات وحاصل معنى البيت كيف تعلم فى الدنيا الدنية حقيقة الذات المحمدية وحقيقة الصفات الاحمدية جماعة غافلة كالنيام قنعوا عن معرفته بالخيالات والاوهام وفى هذا البيت تنبيه الى قوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والحمد لله العلام

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

فلما كان المراد بتسليتهم بالحلم خفيا اراد ان يفسره فقال فمبلغ العلم الخ فالفاء للتفصيل والتفسير والمبلغ بمعنى المنتهى والغاية والعلم الالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه اى منتهى علم الناس وفيه متعلق بمبلغ او ظرف مستقر صفة للعلم وفيه حذف

مضاف اى فى شأنه عليه السلام وان مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ والضمير له عليه السلام والبشر هو علم لنفس الحقيقة من غير اعتبار كونها مقيدة بالتشخصات والصور واما الرجل فهو اسم لحقيقة معتبرة معها تعينات وصور حقيقة فالمتبادر فى الاول نفس الحقيقة وفى الثانى الصورة وفى القاموس البشر محركة الانسان ذكرا كان اوانثى واحدا كان اوجمعا نحو قوله تعالى (بشرا سويا) وقوله (فاما ترين من البشر احدا) وقد يثنى ويجمع على ابشار فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط فى صفة الايمان اوهو من فروض الكفاية قلت اجاب عنه الشيخ ولى الدين العراقى بانه شرط فى صحة الايمان لانهم قالوا لو قال شخص أومن برسالة محمد عليه السلام الى جميع الخلق ولكن لا ادرى هل هو من البشر اومن الملائكة اومن الجن اولا ادرى هل هو من العرب اومن العجم فلا شك فى كفره لتكذيبه القرءآن وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعرف فى ذلك خلافا وان كان جاهلا بالقرءآن اوكان فى غيب لا يعرف ذلك الاتفاق وجب تعريفه اليه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى وقوله وانه خير خلق الله كلهم عطف على انه بشر والخير قد سبق تفصيله والخلق بمعنى المخلوق وضمير كلهم راجع الى الخلق وجمعيته باعتبار المعنى اومبنية على ماذكره القاضى من ان ضمير الجمع قد يرجع الى المفرد وبالعكس وانما اكد بالكل دفعا لخلاف البعض وحاصل معنى البيت ان نهاية بلوغ علمنا وغاية وصول فهمنا فى مبنى ذاته انه بشر عظيم وجوهر جسيم من افراد الانسان واجياد الاعيان وفى معنى صفاته انه افضل المخلوقات وسيد الكائنات

وكل آى اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

لما كان قوله فى المصراع الثانى وانه خير خلق الله كلهم نظريا اثبته واحكمه فقال وكل آى اتى الرسل الخ فالواو من قبيل عطف العلة على معلولها اى اذ كل آى فيمكن ان يرتب ههنا قياس من الشكل الاول بادنى تغيير بان يقال نبينا خير الانبياء كلهم لان نبينا عليه السلام كل آى اتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم وكل من شأنه كذلك فهو خير الانبياء كلهم فينتج المطلوب وترتيبه من الاستثنائى سهل لمن هو اهل وكل بالرفع مبتدأ مضاف الى نكرة فيفيد عموم الافراد فيناسب المقام والآى جمع آية بمعنى العلامة الظاهرة واشتقاقها من اى لانها تبين ايا من اى ويستعمل فى المحسوسات والمعقولات والمراد ههنا المعجزات واتى يجيء لمعان كمعنى فعل ومعنى حضره يقال اتى المكان اى حضره ومعنى جامع يقال اتى المرأة اتيانا اى جامعها ومعنى انفده يقال اتى على شئ اى انفده ومعنى بلغ ومعنى اهلك يقال اتى عليهم الدهر اى اهلكهم وافناهم ومعنى امر كقوله تعالى (وما آتاكم الرسول) اى امركم ومعنى انتسب يقال اتى الرجل القوم اى انتسب اليهم وليس منهم وقد يتعدى الى الثانى بالباء مثل اتيته بالبلية وذكر الزمخشرى انه يجيء بمعنى صار كما فى قولك جاء البناء محكما اى صار وقوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى اى كان والمراد ههنا اما معنى حضر

اومعنى جاء والرسل بسكون السين لضرورة الوزن جمع رسول لا يقال المناسب ان يقول كل النبى بها ليعم ويشمل لانا نقول بنى الناظم هذا القول على ان النبى والرسول مترادفان اوالنبى يفهم بطريق الدلالة مع انه فى الرسل دخل رسل الملائكة كجبريل وعزرائيل وميكائيل واسرافيل فظهر افضليته عليه السلام عليهم جميعا كيف وقد قال جمهور اهل السنة والجماعة ان خواص بنى آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم الاربعة المذكورة وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم قال التفتازانى بالاجماع بل بالضرورة وعوام بنى آدم افضل من عوام الملائكة فالمسجود له افضل من الساجد وفيه بحث مفصل فى كتبه والكرام جمع كريم وهو اما من الكرم لانهم منعمون على امتهم بالشرآئع وطرق الهداية والخلاص من الكفر والضلالة واما من الكرامة عند الله تعالى ولذا جعلهم رسلا وانبياء والباء فى بها للملابسة متعلق باتى والضمير راجع الى الآى ومن نوره متعلق باتصلت وضمير نوره راجع الى محمد عليه السلام والنور هو الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوء النار مغمور بالدخان والنار الصرفة كالنفس فى اللطافة ولزوم الحركة لها الان كرة النار تتحرك على استدارتها بمتابعة الفلك والنفس تتحرك دائما بحركات مختلفة كذا قالوا وبهم متعلق باتصلت ايضا والضمير للرسل وحاصل معنى البيت ان جميع ما اتى الرسل والانبياء من خوارق العادات فانما اتصلت وحصلت تلك الايات الظاهرة والمعجزات الباهرة من اثر نوره الاصلى فمعجزات السابقين معجزة له كما ان كرامات اللاحقين كرامة له فالسابقون واللاحقون انما هم فى الحقيقة له نائبون كالمقدمة والساقة للامير ومعنى البيت لا يظهر الا بنقل ما روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصارى وهو انه قال قلت يا رسول الله بابى انت وامى اخبرنى عن اول شئ خلق الله تعالى قبل الاشياء قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا انسى فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزآء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثانى اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزآء فخلق من الجزء الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزآء فخلق من الاول السموات ومن الثانى الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزآء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهى المعرفة بالله ومن الثالث نور انفسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله فالعرش والكرسى من نورى والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نورى وملائكة السموات السبع من نورى والجنة وما فيها من النعم من نورى والشمس والقمر والكواكب من نورى والعقل والعلم والتوحيد من نورى وارواح الانبياء والرسل من نورى والشهدآء والسعدآء من نورى فاقام النور

وهو الجزء الرابع فى كل حجاب الف سنة وهو مقام العبودية وهو حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فلما خرج النور من الحجب ركبه فى الارض فكان يضيء منه مابين المشرق والمغرب كالسراج فى الليل ثم لما خلق الله آدم من الارض ركب فيه النور فوق جبينه ثم انتقل الى شيث الحديث فمن هذا الحديث علم ان كل آى وصل الى سائر الانبياء فهو من نوره عليه السلام لان كل مافى الكونين من نوره

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن انوارها للناس فى الظلم

لما كانت صغرى القياس التى هى البيت الاول غير مبينة اراد ان يبينها وينبهها فقال فانه شمس فضل الخ فترتيب قياسه هكذا نبينا اتصلت من نوره الايات التى اتى الرسل الكرام بها اليهم لان نبينا شمس فضل هم كواكبها وكل من شأنه كذا فانما اتصلت من نوره الايات التى اتى الرسل الكرام بها اليهم فينتج المطلوب وقوله يظهرن علة لصغرى هذا القياس فترتيب قياسه هكذا نبينا عليه السلام شمس فضل هم كواكبها لان نبينا عليه السلام تظهر سائر الانبياء انواره للناس فى عدم وجوده دون حين وجوده عليه السلام وكل من شأنه كذلك فهو شمس فضل فينتج المطلوب فالفاء فى فانه للتعليل والضمير له عليه السلام وشمس فضل اى كشمس فضل اذ هو من التشبيه البليغ لان طرفيه مذكوران وبعضهم جعله استعارة مصرحة بان يقال شبه النبى عليه السلام بالشمس فى المظهرية وازالة الظلمة فاستعير الشمس له عليه السلام فذكر الشمس واريد النبى عليه السلام ولا يضر هذه الاستعارة ذكر الطرفين لانه انما يضر اذا كان على وجه ينبيء عن التشبيه وههنا ليس كذلك واضافة الشمس الى الفضل بمعنى من اى شمس من فضل الله ثم اعلم ان القسطلانى عد الشمس فى المواهب اللدنية من اسمائه عليه الصلاة والسلام حيث قال واما الشمس فسمى بها صلى الله عليه وسلم لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور شريعته وجلالة قدره وعظم منزلته لانه لا يحاط بكماله حتى لا يسع الرآئى ان ينظر اليه ملء عينه اجلالا له كما ان الشمس فى الرتبة ارفع من انواع الكواكب لانها فى السماء السادسة والانتفاع بها اكثر من غيرها كما لا يخفى وايضا لما كان سائر الكواكب يستمد من نورها ناسب تسميته صلى الله عليه وسلم بها لان نور الانبياء استمد من نوره عليه السلام انتهى وهم راجع الى الانبياء وجعله راجعا الى اصحاب النبى عليه السلام غير ظاهر والكواكب جمع كوكب والمراد بها اما الاقمار او النجوم والضمير راجع الى الشمس فالاضافة لادنى ملابسة لان الشمس سبب لكونها نجوما ذوات نور وحمل الكواكب على الانبياء اما بطريق التشبيه البليغ او الاستعارة كما سبق فتذكر فلما كان وجه الشبه فى تينك الاستعارتين خفيا اظهر بيظهرن اى تلك الكواكب انوارها اى انوار تلك الشمس للناس اى لجميع العباد فى الظلم جمع ظلمة اى فى غيبوبة تلك الشمس فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هى مستمدة من الشمس فهى عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء

قبل وجوده عليه السلام كانوا يظهرون فضله فجميع ماظهر على ايدى الرسل عليهم السلام من الانوار فانما هو من نوره الفائض ومدده الواسع من غير ان ينقص منه شيء واول ماظهر ذلك فى آدم عليه السلام حيث جعله الله خليفته وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم لمحمد عليه السلام فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية ثم توالت الخلائق فى الارض الى ان وصل الى زمان وجود جسم نبينا عليه الصلاة والسلام لاظهار حكم منزلته فلما برز كالشمس اندرج فى نوره كل نور وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطى صلى الله عليه وسلم مثلها فآدم عليه السلام اعطى ان الله خلقه بيده فاعطى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى مع ان المقصود كما مر بخلق آدم خلق نبينا عليه الصلاة والسلام واما سجود الملائكة لآدم فلاجل ان نور نبينا عليه السلام كان فى جبهته واما تعليم آدم عليه السلام اسماء كل شيء فكذلك نبينا عليه السلام علم اسماء العلوم وذواتها ولا ريب ان المسميات اعلى رتبة من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها للتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات واما ادريس عليه السلام فرفعه الله مكانا عليا واعطى سيدنا محمدا عليه السلام المعراج والرفع الى مكان لم يرفع اليه غيره واما نوح عليه السلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق والخسف واعطى سيدنا محمدا عليه السلام انه لم تهلك امته بعذاب من السماء قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) واما ابراهيم عليه السلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما واعطى سيدنا محمد عليه السلام نظير ذلك اطفاء نار الحرب عنه عليه السلام قال تعالى (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) وكذلك انه عليه السلام مر ليلة المعراج على بحر النار مع سلامته منه واما ما اعطى ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فاعطى عليه السلام اياه وزاد بمقام المحبة واما ما اعطى ابراهيم من كسر الاصنام والازلام فاعطى سيدنا محمد عليه السلام كسرها باسرها بمحضر من اولى نصرها من غير تعريض فى القول ولا تعريض فى الصول بل قال جهرا (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) واما ما اعطى موسى عليه السلام من قلب العصا حية فاعطى عليه السلام انه لما اراد ابو جهل ان يرميه عليه السلام بحجر راى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واما ما اعطى موسى عليه السلام من اليد البيضاء فاعطى سيدنا محمد عليه السلام انه لم يزل نورا فى اصلاب وبطون وكان يرى من نوره فى الليلة المظلمة ماسقط على الارض من الخياط واما ما اعطى موسى ايضا من انفلاق البحر فاعطى سيدنا محمد انشقاق القمر كما سيجيء ان شاء الله تعالى فموسى تصرف فى عالم الارض وسيدنا محمد فى عالم السماء والفرق واضح وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى هذا

كان ذلك البحر منفلقا لنبينا عليه السلام فى ليلة المعراج واما ما اعطى موسى من اجابة الدعاء فقد اعطى سيدنا محمد ما لا يحصى وسيجيء بيان بعضه واما ما اعطى موسى عليه السلام من تفجر الماء له من الحجارة فاعطى سيدنا محمد ان الماء تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ واما ما اعطى موسى عليه السلام من الكلام فاعطى سيدنا مثله ليلة الاسرآء وزيادة الدنو ومقامه عليه السلام كان فوق السموات العلى وسدرة المنتهى ومقام موسى كان طور سينا واما ما اعطى هرون عليه السلام من الفصاحة فكان عليه السلام افصح جميع بنى آدم واما ما اعطى يوسف عليه السلام من شطر الحسن فاعطى سيدنا محمد عليه السلام كله وقد سبق وسيأتى بعضه واما ما اعطى يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا فقد اعطى عليه السلام ما لا يعده عادّ واما ما اعطى داود عليه السلام من تليين الحديد فاعطى نبينا عليه السلام مثل ذلك وزاد عليه ما اعطى من الخشب لبعض الاصحاب حيث كان سيفا قويا واما عدّ الجن من جنود سليمان عليه السلام فخير منه عدّ الملائكة مع جبريل من جملة اجناده عليه الصلاة والسلام واما ما اعطيه من الملك فنبينا عليه السلام خير بين ان يكون نبيا ملكا ونبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا واما ما اعطى عيسى عليه السلام من ابرآء الاكمه والابرص واحياء الموتى فاعطى سيدنا محمد عليه السلام جميع ذلك لانه رد العين الى مكانها بعد ما سقطت فعادت احسن ما كانت وكذا ما روى ان امرأة معاذ بن عفرآء كانت برصاء فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فذهب البرص منها ذكره الرازى واما احياؤه عليه السلام فقد سبق فتذكر وما ذكرناه كواحد من العشر بالنسبة الى ما جاء فى هذا البحث من الخبر

اكرم بخلق نبى زانه خلق * بالحسن مشتمل بالبشر متسم

لما بين اجمال الاحسن خلقه وصورته عليه السلام بتشبيهه بالشمس اراد ان يذكر بعضا من تفصيله مع جعل بيان بعض خلقه وسيرته تابعا له فقال اكرم بخلق نبى زانه خلق الخ اكرم فعل تعجب على صيغة امر الحاضر والفاعل مستتر راجع الى الله اى ما اكرم الله بخلق نبى اى تعجب من اكرام الله بخلق نبى والباء فيه زآئدة على ما ذهب اليه الاخفش متعلق باكرم والخلق بمعنى الذات والصورة والتنوين فى نبى للتعظيم اى نبى فخيم والمراد محمد عليه السلام بقرينة المقام وجملة زانه صفة لنبى وهو من الزينة وزان يتعدى بنفسه كقول امرئ القيس فى قصيدته المعلقة

وفرع يزين المتن اسود فاحم * اثيث كقنو النخلة المتعثكل

والخلق بالرفع فاعل زان وهو بضمتين جمع خلق بمعنى الصفة والسيرة والمراد شمائله عليه السلام وقد اشار فى هذا المصراع الى ان حسن الصورة انما هو حسن ان كانت الاخلاق حسنة وبالحسن متعلق بالمشتمل المؤخر وانما قدم ليفيد الحصر والالف واللام للاستغراق يعنى اشتمال جميع انواع الحسن مقصور على نبينا عليه السلام دون غيره ومشتمل بالجر صفة بعد صفة لنبى وهو على صيغة اسم الفاعل من الاشتمال

بمعنى الاحاطة والاجتماع لانه من شمل بمعنى جمع واحاط لا من شمل بمعنى تفرق والفرق بين الاشتمال والشمول ان الاشتمال يستعمل فى تناول الكل لاجزآئه والشمول فى تناول الكلى لجزئياته وبالبشر متعلق بالمتسم المؤخر والبشر بكسر الباء وتحرك بشرة الوجه عند السرور والبشاشة يقال لقينى فاظهر البشر اى الطلاقة والبشاشة وفى بعض النسخ وقع بدل البشر البر بمعنى الصدق لكن الاول اولى لكون الثانى مستلزما للتكرار حيث سبق بيان ابريته عليه السلام فى قوله نبينا الآمر الناهى الخ ومتسم بالجر صفة بعد صفة لنبى وهو اسم فاعل من الاتسام بمعنى الاتصاف من الوسم بمعنى العلامة ومنه ما فى قول الشاعر

او كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم

وحاصل المعنى ما اكرم خلق محمد وصورته الظاهرة الذى زينه وحسنه خلقه وسيرته الباطنة فهو كما قال الله تعالى نور على نور وقال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الموصوف باشتمال الحسن واحاطته جميع حالاته ومقالاته وسكناته وقد وردت فى بسط حسن صفاته احاديث مشهورة كثيرة كقول ابى هريرة رضى الله عنه ما رأيت شيأ احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألؤ فى الجدر وقول ام معبد فى بعض ما وصفته به كان عليه السلام اجمل الناس من بعيد واحلاهم واحسنهم من قريب وقول على رضى الله عنه فى آخر وصفه من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده صلى الله عليه وسلم مثله وغير ذلك مما يطول سرده فى هذا المختصر وكذلك كان عليه السلام هو الموصوف بالاتسام بالبشر التام والبشاشة على طريق الدوام وفيه احاديث معروفة يطول ذكرها منها قول عبد الله بن الحارث ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول ابى هريرة اذا ضحك رسول الله عليه السلام يتلألؤ فى الجدر فان قلت المستفاد من هذا الحديث ثبوت ضحكه عليه السلام مع انه ينفيه ما روى عن عائشة رضى الله عنها حيث قالت ما رأيت رسول الله عليه السلام مستجمعا قط ضاحكا قلت ان عائشة انما نفت رؤيتها وابو هريرة اخبر بما شاهده والمثبت مقدم على النافى وقال ابن حجر والذى يظهر من مجموع الاحاديث انه عليه السلام كان فى اكثر احواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك فان لم يكن ما ذكرته لك كافيا بالوفا فعليك بما فى المواهب والشفا * فلعله يكون لك به اكتفا * ثم اعلم ان هذا البيت رابع الابيات الستة التى تمايز فيها النبى عليه السلام ويلزم لقارئه ان يكرره وترا

كالزهر فى ترف والبدر فى شرف * والبحر فى كرم والدهر فى همم

ثم ترقى فى تفصيل اوصافه من خلقه وخلقه فقال كالزهر فى ترف الخ فالمصراع الاول لبيان حسن خلقه وصورته والثانى لبيان حسن خلقه وسيرته فقوله كالزهر ظرف مستقر مجرور على انه صفة بعد صفة لنبى او مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو كالزهر والكاف للتشبيه والزهر بفتح الزاى المعجمة نور النبات قيل هو مختص

باصفره لكن الاصح انه اعم وجمعه ازهار وازاهر والزهر ايضا يقال لشئ نورانى فى غاية الضياء الذى وجهه يلمع كالسراج الوهاج والمراد ههنا المعنى الاول بقرينة سباقه وفى ترف متعلق بالتشبيه المستفاد من الكاف فهو بيان لوجه الشبه والترف بفتحتين النعومة فى الجلد والاولى ان يكون المراد من الزهر الورد لانه سلطان الازهار مع طيب رائحته ولطافة نعومته على سبيل المجاز بذكر العام وارادة الخاص وعلى التقديرين يكون التشبيه مقلوبا والا فلم يكن شئ انعم واترف واطيب والطف من رسول الله عليه السلام ولو كان التشبيه على حقيقته لزم ان تكون نعومته عليه السلام انقص من الزهر اذ قاعدة التشبيه نقصان ما يحكى وهو غير صحيح كيف وقد قال فى المواهب اللدنية وقد جاء فى رواية ابن عساكر انه عليه السلام قال الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبرائيل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وقوله والبدر بالجر معطوف على مدخول الكاف والبدر هو القمر فى ليلة اربعة عشر وفى شرف عطف على فى ترف لا يقال فحينئذ يكون من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولى عاملين مختلفين وهو فاسد لانا نقول لانسلم اختلاف العامل على ان المجرور مقدم كما لا يخفى والشرف بمعنى العلو لكن المراد العلو القدرى لا العلو المكانى فتأمل ثم اعلم ان البدر من اسمائه عليه السلام وقد صادف تشبيهه عليه السلام بالبدر لان التشبيه بالبدر ابلغ فى العرب من التشبيه بالقمر والشمس اما الاول فلان البدر وقت كماله دون القمر واما الثانى فلما سبق ان البدر يملأ الارض بنوره ويونس كل من شاهده ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التى تغشى البصر فتمنع من تمكن الرؤية ولقد احسن من قال

كالبدر والكاف ان انصفت زائدة ❋ فلا تظنن فيه الكاف للشبه

وبالجملة انهم قالوا ان التشبيهات الواردة فى صفاته عليه السلام انما هى على عادة شعراء العرب والافلاشئ من هذه المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية وقوله والبحر بالجر عطف على قريبه او بعيده يعنى ان رسول الله كالبحر فى اعطاء ما يقع لانه كما ان البحر المالح يعطى الانسان لؤلؤا ومرجانا وجواهر كثيرة فكذلك رسول الله عليه السلام ولذا قال فى وجه الشبه فى كرم والفرق بين الكرم والجود والسخاء ان من اعطى البعض فهو سخى ومن بذل الاكثر فهو جواد ومن اعطى الكل فهو كريم وقد ثبت كرمه عليه السلام باخبار كثيرة وآثار غفيرة منها حديث انس مرفوعا انا اجود بنى آدم وفى رواية لمسلم ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا اعطاه فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر وفى رواية اعطى صفوان يوم حنين واديا مملوأ ابلا ونعما ولله در ابن جابر حيث قال

هذا الذى لا يتقى فقرا اذا ❋ يعطى ولو كثر الانام وداموا
وادمن الانعام اعطى آملا ❋ فتحيرت لعطائه الاوهام

وفى رواية البخارى عن انس انه عليه السلام اعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله والتفصيل فى المطولات وقوله والدهر بالجر عطف على القريب او البعيد والدهر بفتح الدال بمعنى الزمان وعلى قول بمعنى الابد وقيل هو مدة الدنيا وقيل زمان طويل وقيل هو الف سنة وسيجئ ما يتعلق بالدهر فتبصر والهمم جمع همة وهى قصد ا كمال التوجه يعنى كما ان الدهر الطويل والزمان المديد يقبل الرجل ويعطيه ما رغبه ويكمله كذلك النبى عليه السلام وفى البيت تضمين من قول حسان فى وصفه

له همم لا منتهى لكبارها ❋ وهمته الصغرى اجل من الدهر

كأنه وهو فرد فى جلالته ❋ فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

لما بين وصفه عليه السلام من بشاشته وزيادة كرمه وتوهم القاصرون انه من خوفه من قومه دفع ذلك فقال كأنه وهو فرد الخ كأن للتشبيه لا للظن والضميران راجعان اليه عليه السلام والواو فى وهو للحال والفرد بمعنى المنفرد اى حال كونه منفردا غير مقارن لاحد وفى جلالته متعلق بالتشبيه المستفاد من كأن وهو بيان وجه الشبه والجلالة المهابة والعظمة قيل الكبير يستعمل فى الذات والجليل فى الصفات والعظيم فيهما وفى عسكر ظرف مستقر خبر كأن يعنى ان النبى عليه السلام فى كمال متانته وتمام شجاعته كمن كان فى عسكر منفردا لان من كان له عسكر وكان هو واقفا فى وسطهم يلزم له الشجاعة البتة والمتانة عادة وقوله حين تلقاه ظرف التشبيه وتلقاه من الملاقاة بمعنى الوصول وهو خطاب لكل احد من شأنه ان يخاطب لا يقال انه ركيك لانه يلزم ان يكون شجيعا ومهيبا على المؤمنين مع انه رحيم بهم لانا نقول التشبيه مقيد بكونه فى عسكر وهو يدل على انه عليه السلام كان شجيعا على عسكر غيره على انه لا يلزم من كونه عليه السلام وقت الملاقاة شجيعا الشجاعة على المؤمنين وجعل تلقاه على صيغة التأنيث وارجاع ضميره الى جماعة الاعداء ركيك كما لا يخفى وفى حشم عطف تفسير وبيان وتأكيد للعسكر وفى بعض النسخ وفى بهم بضم الباء جمع بهمة وهو الفارس الذى لا يعلم من اين يجئ وبالمقابلة الى العسكر يراد من العسكر الجيش المشاة وهذه النسخة اولى من النسخة الاولى لان التأسيس خير من التأكيد وحاصل معنى البيت كأنه عليه السلام والحال انه منفرد بذاته وثابت فى عظمة صفاته وكائن فى كمال هيبته وجمال ابهته قائم فى قلب عسكر كبير وفى وسط جيش كثير تلقاه ايها المخاطب وتراه فى ذلك الموكب ومن كمال شجاعته ما روى ان ابا جهل كان وصيا ليتيم فجاء اليتيم اليه عريانا يسأله من مال نفسه فطرده ولم يعطه ماله فأيس الصبى فقال اكابر قريش قل لمحمد لك يشفع وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبى عليه السلام والتمس منه ذلك وهو عليه السلام كان لا يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا أصبوت فقال لا والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة فخفت ان لم اجبه يطعنها فى ذكره شيخ زاده فى سورة الماعون وكذا ما ذكر فى كتب الاحاديث انه كان

بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتون اليه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم فى شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله عليه السلام فقال يا ركانة الا تتقى الله وتقبل ما ادعوك اليه فقال له ركانة يا محمد هل من شاهد على صدقك قال أرأيت ان صرعتك اتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة قال تهيأت فدنا منه رسول الله عليه السلام فأخذه ثم صرعه فتعجب ركانة من ذلك ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا ووقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك عجيب رواه الحاكم فى مستدركه

كأنما اللؤلؤ المكنون فى صدف * من معدنى منطق منه ومبتسم

لما توهم القاصرون والجاهلون العاجزون من البيت السابق انه عليه السلام كان غليظ القلب عبوس الوجه شديد الكلام دفعه فقال كأنما اللؤلؤ المكنون الخ كأن للتشبيه وما كافة عن العمل واللؤلؤ الدر البياض وانما اطلق عليه لتلألئه وهو مبتدأ خبره قوله الآتى من معدنى منطق اى مستخرج وحاصل من معدنى منطق والمكنون بالرفع صفة اللؤلؤ بمعنى المستور والمصون المحفوظ وفى صدف متعلق بمكنون وجعله خبر المبتدأ بعيد كل البعد كما لا يخفى واما جعل اللؤلؤ خبر مبتدأ محذوف وجعل من معدنى صفة صدف بان يقال كأن كلامه عليه السلام اللؤلؤ المكنون فى صدف مستخرج من معدنى الخ فقريب وظاهر فتأمل والصدف ظرف اللؤلؤ قال الحياتى فى شرح التحفة الصدف حيوان من حيوانات البحر يكون اكثريا فى بلاد الهند والصين فاذا جاء وقت نيسان يخرج على وجه البحر ويكشف فمه الى جانب السماء فاذا سقط فى فمه قطرة واحدة من المطر فى ذلك الوقت تكون تلك القطرة فى بطنه درة ذات قيمة كثيرة يقال لها الدرة اليتيمة والفريدة واذا سقط فى فيه منه قطرتان تكون تانك القطرتان فى بطنه درتين يقال لهما اخوان لكن تكون قيمتهما انقص واقل من الاول واذا سقط فى فيه منه قطرات ثلاث تكون دررا ثلاثا وان اربعا فاربع وقس على هذا لكن كلما زادت القطرات كانت قيمة درها انقص ثم ان الصدف حيوان اولا واذا سقط الدر فى فمه ينزل الى قعر البحر ويتأصل فيه كتأصل الشجر ولا يتحرك الى طرف اصلا كالحجر انتهى وفى هذا المصراع استعارة حيث شبه جوامع كلمه ومنظوم اسنانه عليه السلام باللؤلؤ المكنون فى صدف فى كونه بريئا من الفساد ومورثا للسرور والنشاط ثم استعير اللؤلؤ لكلامه ومنظوم اسنانه فذكر اللؤلؤ واريد كلامه وثغره عليه السلام والمعدن بكسر الدال وهو فصيح محل العدن بمعنى الاقامة وهو على صيغة التثنية حذف نونه بالاضافة والمنطق والمبتسم اما مصدران فالاضافة بمعنى اللام والمعدن للمنطق هو القلب لانه يظهر منه الكلام الدال على المرام لا يقال الكلام فى اللسان لا فى القلب لانا نقول حقيقة الكلام فى القلب دون اللسان بل هو دليل عليه وترجمان كما افاده قول الاخطل

ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والمعدن

والمعدن للابتسام هو الفم لانه يظهر منه الاسنان والثغر واما اسما مكان فعلى هذا تكون الاضافة بيانية كما لا يخفى وحاصل المعنى انه عليه السلام كان فى غاية البشاشة ونهاية اللطافة ولم يكن غليظ القلب كما يشهد عليه شاهد صدق وكان كلامه وثغره المصون كالدر المكنون وكان فمه عليه السلام فى حفظ الكلام كالصدف المقبول بين الانام قال صاحب الزبدة فيها قال المحلى حكى ان بعضهم رأى فى المنام ان الصديق يزف النبى بهذا البيت والبيت الذى قبله

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم

لما اشار الى بعض كمالاته الصورية والمعنوية فى خلقه وخلقه وافضلية قدره فى حال الحياة اراد ان يشير ايضا الى افضليته من جميع المخلوقات فى حال الممات فقال لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه الخ لا لنفى الحكم عن الجنس والطيب اسم لما يتطيب به ويعدل اى يساوى يقال فلان عديل فلان اى مساو به وجملة يعدل خبر لا واسمها الطيب والمعنى لا شئ طيبا يساوى تربا بضم التاء وسكون الرآء لغة فى تراب او بمعنى التربة وضم بمعنى لصق ومس والجملة صفة تربا والاعظم جمع عظام والمراد جميع اعضائه عليه السلام وانما خصها بالذكر لكون قيام الاعضاء عليها والضمير فيها راجع اليه عليه السلام ومراد الناظم الفاهم اثبات الطيبية لبدنه عليه السلام بطريق الكناية اذ هو ابلغ من الحقيقة فوصف تراب روضته عليه السلام بانه شريف طيب لا طيب مثله ووصف ذاته عليه السلام بطريق الكناية فالتراب انما اخذ الطيب من مقارنته له عليه السلام اذ كان عليه السلام متصفا برآئحة الطيب كما روى عن انس انه قال ما شممت مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله عليه السلام وطوبى بمعنى الطيب والحسنى والخير قاله فى القاموس وقال غيره هى فرح وقرة عين وقال الضحاك غبطة وقال عكرمة نعمة وشجرة فى الجنة اسمها طوبى وقد يكنى بها عن الجنة وفى الحديث طوبى للشأم فان الملائكة باسطة اجنحتها عليها وطوبى ههنا اما صفة لتربا اى تربا مقولا فى حقه طوبى او مبتدأ خبره لمنتشق فليتأمل ومنتشق اسم فاعل من الانتشاق وهو الاشمام يعنى طوبى لمن شم ذلك التراب ومنه متعلق بمنتشق وملتثم عطف على منتشق وهو من الالتثام بمعنى التلثيم والبيت مقتبس من مرثية فاطمة الزهرآء حيث قالت

صبت علىّ مصائب لو انها * صبت على الايام صرن لياليا

ماذا على من شم تربة احمد * ان لا يشم مدى الزمان غواليا

ولله در الناظم الفاهم حيث اشار فى هذا البيت الى النوعين المستعملين فى الطيب لانه اما ان يستعمل بالشم واشار اليه بقوله لمنتشق واما بالتضمخ واليه اشار بملتثم وهذا مبنى على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك فى نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المؤمن فى ذلك فان المؤمن لا يعدل بشم رآئحة تربته عليه السلام شيأ من الطيب فان قلت لو كان

يـ

المراد الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل احد والجواب لايلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى توجد الشرآئط وتنتفى الموانع وعدم الادراك لايدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لايدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لايدرك رآئحة المسك مع ان الرآئحة قائمة بالمسك لم تنتف ولما كانت احوال القبر من الامور الاخروية لاجرم لايدركهما من الاحياء الامن كشف له الغطاء من الاولياء المقربين لان متاع الآخرة باق ومن فى الدنيا فان والفانى لايتمتع بالباقى للتضاد ولاريب عند من له ادنى تصديق بشريعة الاسلام ان قبره روض من رياض الجنة وافضلها وانه لاطيب يعدل تراب قبره عليه السلام لتماس جسمه اللطيف الذى هو اطيب الطيب ولذا قال العلماء ان تربة قبره افضل من البيت والمسجد الاقصى والعرش والكرسى ثم اعلم انهم اختلفوا فى زيارة قبره عليه السلام هل هو واجب اوسنة فذهب بعض المالكية الى الاول واستدلوا عقلا ونقلا اما الاول فلان الزيارة تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب فزيارته واجبة واما الثانى فلقوله عليه السلام من وجد سعة ولم يعد الى فقد جفانى وفى حديث آخر من حج ولم يزرنى فقد جفانى فانه ظاهر فى حرمة ترك الزيارة لان الجفاء اذى والاذى حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفاء واجبة وهى بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ وذهب اكثر الشافعية والحنفية الى الثانى كما قال القاضى عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها والاحاديث السابقة مؤولة وبيانها فى كتب القوم مفصلة

ابان مولده عن طيب عنصره * ياطيب مبتدأ منه ومختتم

لما بين شرافة آخره ولطافة انتهائه صلى الله عليه وسلم فى البيت السابق قيل فكيف كان ابتدآؤه فاجاب ببيان شرافة ابتدآئه ولطافة اوله عليه السلام فقال ابان مولده عن طيب عنصره الخ ابان بمعنى اظهر وكشف والمولد بكسر اللام اسم زمان وهو فاعل ابان ومفعوله محذوف اى عجائب كثيرة واسناد ابان مجازى وعن طيب متعلق بابان وكلمة عن قد تكون للبدل كما فى قوله * جزى ربه عنى عدى بن حاتم * وقد تكون لافادة كون مابعدها سببا لما قبلها كما فى قولك فعلت هذا عن امرك وقد تكون بمعنى بعد كما فى قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق وههنا للمعنى الثانى لان طيب عنصره سبب لاظهار زمان ولادته العجائب كما لايخفى والمعنى اظهر الله زمان ولادته بسبب طيب عنصره عليه السلام عجائب كثيرة وسيبين بعض تلك العجائب ان شاء الله تعالى والطيب معلوم والعنصر بمعنى الاصل فى اللغة العربية كالاسطقس فى اللغة اليونانية والمراد من طيب عنصره عليه السلام طهارته وخلوصه عما لاينبغى كما يقع فى سائر المولودين وكلمة ياللندآء والمقصود بالندآء محذوف اى ياايها العقلاء انظروا بنظر التعجب الى طيب ابتدآئه وانتهائه فالمبتدأ والمختتم بمعنى المصدر ويجوز ان يكونا اسمى زمان فان قلت قد بين طيب ابتدآئه من هذا البيت وطيب انتهائه من البيت السابق فاين بيان طيب اواسطه عليه السلام قلت

قد بين طيب اواسطه ايضا فى الابيات السابقة فى بيان شرافة خلقه وخلقه عليه السلام على ان المشهور بين العرب انهم يذكرون طرفى الشىء ويريدون مجموعه كما فى قوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا ومثله كان كثيرا ثم اعلم ان ماروى فى انباء فضائله فى زمان ولادته واخبار عجائبه فى زمان ابتدآئه كثير لايعد ولايحصى منها ماذكر فى كتب الاحاديث انه لما استقرت نطفته الزكية ودرته المحمدية فى صدف آمنة القرشية نودى فى الملكوت ومعالم الجبروت ان عطروا جوامع القدس الاسنى وبخروا جهات الشرف الاعلى وافرشوا سجادات العبادات فى صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين اهل الصدق والصفا فقد انتقل النور المكنون الى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون وقال سهل بن عبد الله التسترى لما اراد الله خلق محمد عليه السلام فى بطن آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة امر الله فى تلك الليلة خازن الجنان ان يفتح الفردوس ونادى مناد فى السموات والارض ان النور المخزون الذى يكون منه نور النبى الهادى فى هذه الليلة يستقر فى بطن امه الذى يتم فيه خلقه عليه السلام وروى انه كانت قريش فى جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار فسميت تلك السنة التى حمل فيها رسول الله عليه السلام سنة الفتح والابتهاج وفى رواية ان آمنة قالت ثم لما اخذنى ما يأخذ النساء ولم يعلم بى ذكر ولا انثى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه سمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالنى ثم رأيت كأن جناح طير ابيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع اجده ثم التفت واذا انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابنى نور عال ثم قالت ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهوآء بايديهم اباريق من فضة فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورايت ثلاثة اعلام مضروبة علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذنى المخاض فوضعت محمدا عليه الصلاة والسلام فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غيبته عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه بنعته وصورته وهذه القصة طويلة يتحير منها الافهام حتى ان بعض الفضلاء الكرام وضعوا المولده عليه السلام كتابا مستقلا فى حسن النظام ومن اراده فعليه الرجوع والقيام

يوم تفرس فيه الفرس انهم * قد انذروا بحلول البؤس والنقم

لما قدر المفعول فى البيت السابق اعنى قوله عجائب اوعلامات وكان ذلك فى غاية الاجمال اراد ان يفصله بذكر بعض منه فقال يوم تفرس فيه الفرس الخ يوم بدل من المولد والمراد من اليوم النهار وقد يستعمل فى مطلق الزمان لكن المراد هنا النهار اذ المشهور والاصح انه عليه السلام ولد يوم الاثنين فعن قتادة انه عليه السلام سئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وعن ابن عباس انه قال ولد عليه السلام يوم الاثنين وانزل عليه النبوة يوم الاثنين وخرج مهاجرا يوم الاثنين ودخل المدينة

يوم الاثنين ووضع القبر يوم الاثنين وكذا فتح مكة يوم الاثنين وانزل عليه سورة المائدة
يوم الاثنين ومن قال المراد من اليوم ههنا مطلق الزمان فليس له خبرة بكتب
الاحاديث وتفرس اى نظر وعلم بالفراسة والفراسة قوة يدرك بها الانسان المعانى
الباطنة من المخايل الظاهرة وفيه متعلق به وضميره راجع الى اليوم والفرس بالرفع
فاعله والفرس اسم جمع لاهل فارس وفارس معرب پارس وهو اسم لپارس بن ناسور
ابن سام بن نوح وهى بلاد كثيرة بناها المزبور وبلاده المشهورة شيراز واصفهان وقد ورد
فى مدح اهل فارس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان الله اختار من
بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارسا وفى حديث آخر ابعد الناس عن الاسلام
الروم ولو كان الاسلام معلقا بالثريا لتناوله رجال من فارس وانهم ان مع اسمها وخبرها
مفعول تفرس والضمير للفرس وقد للتحقيق وانذروا ماض مجهول من الانذار بمعنى
التخويف مع الابلاغ وبحلول متعلق بالانذار والحلول بمعنى النزول والبؤس الشدة
والمضايقة واللام للاستغراق او للجنس او للعهد والنقم عطف تفسير للبؤس وهو
بفتحتين جمع النقمة بكسر النون وهى الشدة والعقوبة اعلم انه روى ان الليلة التى ولد
فى نهارها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ملك فارس وهو ساسان رؤيا تحير منها
فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا منجما من اهل مملكته الا جمعه مع طائفة من احبار اليهود
فقال لهؤلاء انى رأيت رؤيا حيرتنى فاخبرونى بها قالوا اقصصها علينا حتى نخبرك
بتأويلها قال لا اطمأن بتأويلكم بعد القصص وانى اريد ان تخبرونى بالرؤيا
وتأويلها قبل القصص عليكم فتحيروا ولم يقدروا على اخباره فقال له رجل منهم
ان كنت تريد هذا فلتبعث الى سطيح حتى يخبرك فبعث ساسان اليه عبد المسيح فبلغ
عبد المسيح الى البحرين وكان سطيح يخرج فى كل سنة مرة وكانوا يضعونه على صحيفة
من الذهب فيخبر عن احكام السنة الآتية والناس يكتبونها فانتظر عبد المسيح
خروجه فلما خرج بدأ الكلام برؤيا ساسان وقال انه رأى رؤيا تحير منها وهى انه رأى
خيلا عرابا تملأ المدائن وتسوق الابل العراقية وتخرجها منها واتما هذه العلامة
علامة ولادة النبى الامى العربى الهاشمى محمد الذى هو افضل ابناء الخليل الموصوف
فى التوراة والانجيل وتأويل رؤياه ان خيل العرب هم اصحاب ذلك النبى يدخلون
بلاد فارس ويستفتح لهم ويأخذون المدائن من ساسان ثم بكى فقيل ما يبكيك
فقال اما ابكى وقد بقى من عمرى قليل ولا ادرك بعثة هذا النبى فرجع عبد المسيح فاخبر
ساسان فامر ساسان بقتل سطيح فقتلوه وشقوا رأسه

و بات ايوان كسرى وهو منصدع * كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم

ثم شرع فى بيان العلامة الثانية والآية الواقعة فى يوم ولادته فقال و بات ايوان
كسرى الخ بات يجىء لمعنيين الاول الفعل فى الليل يقال بات يفعل كذا اى فعله
فى الليل والثانى بمعنى صار سواء كان فى الليل او فى اليوم وهذا عام كما ان الاول خاص
ويجوز ههنا كلا معنييه والجملة معطوفة على جملة تفرس والعائد محذوف اى بات فيه

فليتأمل

فليتأمل وايوان بكسر الهمزة اسم معرب اسقف لا يكون لجانب مقدمه جدار
وهمزته اصلية اذ لو كانت زائدة لانقلبت الواو ياء كما انقلبت فى ايام فعلم بهذا ان ايوانا
مثل ديوان ووزنهما فعال والاصل فيهما اوان ودوان فقلبت الواو الاولى ياء لكسرة
ماقبلها كراهة التضعيف وكسرى معرب خسرو وهو اسم جنس لمن يملك العجم
و يجمع على اكاسرة كما ان قيصر اسم جنس لمن يملك الروم والنجاشى لمن يملك الحبشة
وخاقان لمن يملك الترك وفرعون لمن يملك مصر وتبع لمن يملك اليمن والواو فى وهو حالية
والضمير راجع الى الايوان ومنصدع اسم فاعل من الانصداع بمعنى الانهدام والتفرقة
اذ روى ان ساسان بنى ذلك الايوان فى تسعين سنة وطلاه بماء الذهب ونقشه بالزبرجد
واللؤلؤ وبكل جوهر عظيم القيمة فلما كانت ليلة ولادته عليه السلام اهتز وانصدع ذلك
فسقط اربع عشرة شرافة من شرافاته وما بقى الا ثمان شرافات وفى سقوط الاربع عشرة
شرافة اشارة الى انه يملك منهم ملوك بعدد الشرافات وقوله كشمل اصحاب كسرى دفع
لما يتوهم ان يقال من انه هل بنى بعد انهدامه كالاول او بقى فى انهدامه فقال كشمل
اصحاب كسرى يعنى كما ان اصحابه تفرقوا وما جمعوا كالاول كذلك ذلك الايوان
تفرق وما جمع وما بنى بعد انهدامه ويكون كشمل فى التركيب ظرفا مستقرا حالا
ولك ان تجعله صفة مصدر محذوف اى وهو منصدع انصداعا كشمل الخ وعلى كلا
التقديرين يكون قوله كشمل اصحاب كسرى من قبيل التكملة والاحتراس *
كما لا يخفى على من له من علم المعانى ادنى اختلاس * والشمل من الاضداد وهو ههنا
بمعنى التفرقة وقوله اصحاب كسرى فان قلت اللازم ان يقول اصحابه بالضمير فما فائدة
الاظهار فى مقام الاضمار قلت فائدته تقريره فى الذهن ودفع توهم رجوع الضمير
الى الايوان ويمكن الجواب بالتغاير بين كسرى الاول والثانى فلا يكون من قبيل
وضع الظاهر موضع الضمير ويؤيده ما قاله بعضهم من ان فى هذا البيت اشارة الى
قصتين حيث اشير فى المصراع الاول الى سقوط ايوان كسرى اعنى ساسان وخرابه
وفى الثانى اشارة الى ما روى ان كسرى الذى هو يزدجرد بن شهريار وهو آخر
الاكاسرة وقد ملك الفرس كلهم جعل رستما المشهور فى الشجاعة صاحب الجيش
ورئيسهم ووهب له جميع خزائنه وقال له خذ من السلاح والذهب والفضة ما شئت
وادفع شر العرب عنى فذهب رستم من بلاد خراسان بمائتى الف رجل الى بلاد
العراق وتبعه جميع اهل الذمة ونقضوا العهد وكان ذلك فى خلافة عمر رضى
الله عنه فوجه عمر رضى الله عنه عساكر كثيرة وجعل سعد بن ابى وقاص
صاحب الجيش وامر جيشه الذى كان فى العراق اولا ان يبايعوا سعدا فوصل سعد
مع العساكر الى عسكر رستم فلما تقابل الفريقان رأى هلال بن علقمة الهيثمى رستما
فتوجه اليه فرماه فقتله فاعطاه سعد سلبه فبلغ سلبه سبعين الف درهم سوى
قلنسوته فانها بلغت مائة الف وانهزمت الفرس فنهض سعد خلفهم يفرق شملهم
ويقتل حزبهم ولم يلتئم بعد ذلك شملهم فوصل الى المسلمين مغانم كثيرة روى انهم اخذوا

علم الكفار وذهبوا به مع المغانم الى عمر رضى الله تعالى عنه فقسمه بين المسلمين فبلغ سهم على كرم الله وجهه شبرا منه فباعه بعشرة آلاف دينار

والنار خامدة الانفاس من اسف * عليه والنهر ساهى العين من سدم

ثم شرع فى بيان العلامة الثالثة والرابعة فقال والنار خامدة الانفاس من اسف الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على الجملة السابقة ولابد فيه من فيه ايضا ولا يردان هذه الجملة اسمية والاولى فعلية فلا يحسن عطفها عليها لكون كل واحدة منهما فى تأويل المفرد وتقديره فحينئذ لا يضر العطف كما لا يخفى وخامدة من الخمود وهو انقطاع شعلة النار مع بقاء جمرها والانفاس جمع نفس وهو بالفتح مايدوم ببقائه الحيوان والمراد ههنا به شعلة النار بطريق الاستعارة بان شبه شعلة النار بنفس الحيوان فى كونهما سببا للدوام واستعير الانفاس لشعلة النار فذكر الانفاس واريد الشعلة والقرينة على هذه الاستعارة ايقاع الخامدة على الانفاس هذا مبنى على ان تكون النار على حقيقتها ويجوز ان يراد من النار الكفار مجازا واستعارة بان شبه الكفار بالنار فى اهلاك من قرب منها فاستعير النار للكفار فذكر النار واريد الكفار فعلى هذا يكون الخمود تجريدا والانفاس تخييلا والاسف ترشيحا ويجوز ان تكون النار استعارة مكنية بتشبيهها بالحيوان المضر والانفاس تخييلها والاسف ترشيحها وقوله من اسف متعلق بخامدة والاسف بمعنى الحزن كما فى قوله تعالى حكاية (يا اسفا على يوسف) وعليه متعلق باسف والضمير اما راجع الى النار فيكون المعنى ان نار المجوس فى يوم الميلاد قد خمدت شعلتها من اسفها على نفسها وبقائها بين الكفار وكونها معبود لهم واما راجع الى يوم الميلاد فيكون المعنى ان نار المجوس كانت مشتاقة الى جماله صلى الله عليه وسلم فتأسفت من فراقه وعدم وصولها اليه عليه السلام فخمدت شعلتها وانطفأ لهبها واما راجع الى الفرس الذين عاونوها باحراقها دائما وعدم اطفائها اصلا فيكون المعنى ان نار المجوس قد خمدت شعلتها لتأسفها وحزنها على عونتها لانهم تفرقوا فى هذا ولم يجتمعوا بعده ابدا وقوله والنهر عطف على النار والمراد من النهر ماء الفرات فذكر المحل واريد الحال وساهى العين بالرفع خبر المبتدأ اعنى والنهر والساهى بمعنى الغافل والعين من الالفاظ المشتركة تجيء لمعان كثيرة والمراد ههنا منبع الماء ومن سدم متعلق بالساهى ومن اجلية والسدم الحزن والندامة وفى بعض النسخ من ندم بالنون ولابد من تقدير عليه فى هذه الجملة بقرينة سباقه ففى ضمير عليه المقدر يجرى ايضا احتمالات ثلاثة بان يرجع ضميره الى النهر ويكون المعنى ان نهر الفرات قد غفل عن مجراه السابق وافرط فى اخراج الماء فجاوز عينه فى يوم الميلاد للتأسف على نفسه اى لبعده عنه عليه السلام وبقائه فى ارض بعيدة او يرجع الى يوم الميلاد والمعنى ان نهر الفرات كان مشتاقا الى جماله ورؤيته عليه السلام فتأسف فى ذلك اليوم من عدم وصوله فبكى فطغا ماؤه فغفل عن مجراه السابق او يرجع الى الفرس لانهم كانوا خدمة ذلك الماء اذ كان عين ذلك الماء فى بلادهم والمعنى ان ماء

الفرات قد تأسف على عونته وخدمته فغفل عن مجراه السابق فافرط ماؤه لان عونته قد تفرقوا بعد ولادته عليه السلام ثم اعلم ان النهر يجوز فيه وجوه الاستعارة التى قد سبقت فتذكرها ورتبها

وساء ساوة ان غاضت بحيرتها * ورد واردها بالغيظ حين ظمى

ثم شرع فى بيان العلامة الخامسة فقال وساء ساوة ان غاضت بحيرتها الخ الواو للعطف والجملة معطوفة على قريبها او بعيدها فلا تنس تقدير فيه ههنا ايضا وساء اما لازم بمعنى حزن او متعد بمعنى احزن والانسب الثانى وساوة اسم مدينة عظيمة والمراد من ساوة اهلها اما بطريق المجاز المرسل بان يكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او بطريق المجاز الحذفى كقوله تعالى واسأل القرية وهى غير منصرفة لكونها مؤنثة وعلما ثم ان ساء ان كان لازما تكون ساوة بالرفع فاعلا له وان متعديا تكون بالنصب مفعوله وفاعله قوله ان غاضت وغاض بمعنى غاب يقال غاض الماء اذا غاب وبحيرتها بالرفع فاعل غاضت والضمير الى ساوة والبحيرة اسم لمياه عظيمة فى مملكة عراق العجم بين همذان وقم وتركب فيها السفن ويسافر بها الى ماحولها من البلاد مثل مزدغان والرى وما جاوز ذلك وكانت اكثر من ستة فراسخ وكان ماؤها لطيفا لا يشابه مياه سائر البحار وكان فى اطرافها كنائس كثيرة واسواق غفيرة وكان الكفار يروجون كفرهم عندها وقيل كانوا يعبدونها فلما ولد رسول الله الماحى لجميع طرق الكفر غاب ماء تلك البحيرة ثم اعلم ان فى البحيرة ايضا مجازا من ذكر المحل وارادة الحال وفى اضافتها الى الضمير الراجع الى ساوة احتراز عن بحيرة طبرية فانها كان ايضا على حوالى بحرها كنائس معتبرة منقوشة بالذهب فغاب ماؤها وقت ميلاده عليه السلام وكان غيبوبة ذلك الماء سببا لخرابها واما ساوة فلم تكن خربة بل بنى اهلها فى موضع البحيرة مدينة عظيمة وهى باقية الآن كذا رأيت فى رسالة مصنفة فى مولده عليه السلام وقوله ورد على بناء المفعول وواوه اما للحال او للعطف فالجملة معطوفة على غاضت والمعنى واحزن اهل ساوة ان رد الخ ولا يجوز ان تكون معطوفة على ساء والا يلزم ان يكون قوله ورد بيانا لعلامة مستقلة لوقت مولده عليه السلام ولا يكون من تتمة الاولى وهو باطل ومن قال انها معطوفة على جملة ساء فقد اساء فتدبر ورد بمعنى رجع وانصرف وقوله واردها بالرفع نائب فاعل لرد والضمير راجع الى البحيرة والوارد بمعنى الذاهب لاخذ الماء وقوله بالغيظ متعلق برد اى بالغضب ورد ان الذاهب الى ماء البحيرة ليأخذ الماء ويذهب به الى بيته جاء الى البحيرة فرأى انه قطع ماؤها فرد عنه وانصرف بالغضب حيث كان فى يديه كوبان فلما رأى انقطاع الماء ضرب احدهما على الآخر فكسرهما وحين ظمى ظرف للوارد او لرد وظمى اصله ظمئ اى عطش فحذف همزته لضرورة الشعر

كأن بالنار ما بالماء من بلل * حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

لما اراد الناظم الفاهم تكملة البيتين السابقين قال كأن بالنار الخ فالمصراع الاول تكملة للبيت الاخير والثانى للاول وكأن من الحروف المشبهة بالفعل وبالنار ظرف

مستقر خبر كأن متعلق بحصل المقدر اى كأنه حصل بالنار والمراد من النار نار المجوس
وما موصولة وبالماء متعلق بمقدر اى ما حصل بالماء ومن بلل بيان لما والمراد من الماء
ماء ساوة والمعنى ان اهل ساوة ظنوا ان الماء الذى عبدوه قد انقطع ويبس وصار
بمحال كأنه كان موضع ذلك الماء موقد نار وكان البلل الذى حصل بالماء يبس بالنار
ولما كان هذا الظن بعيدا عن الاذعان علله بقوله حزنا اى لاجل حزن وقع فيهم
يظنون مثل هذا الظن وقوله وبالماء الواو عاطفة وبالماء معطوف على بالنار وبالنار
عطف على بالماء من قبيل عطف شيئين بحرف واحد على معمولى عامل واحد وهو كأن
ومن ضرم بيان لما والضرم التهاب النار واشتعالها والالف واللام فى بالنار للعهد
اى نار المجوس التى لم تخمد الف عام ومعنى هذا المصراع ان عبدة النار كانوا محزونين
حتى ظنوا انه وقع فى موقع نارهم بلل حاصل بالماء (فائدة) قال فى تفسير روح البيان
ان اول من عبد النار قابيل حيث قتل اخاه هابيل ونفاه آدم عليه السلام بامر الله
الى ارض اليمن فخرج مع اخته اليها فجاء الشيطان فقال انما اكلت النار قربان هابيل
لانه كان يعبد النار فاصطنع انت ايضا نارا واعبدها فاصطنع النار وعبدها فتبعه
بعض الانام من اولاده واولاد اولاده الى يوم القيام

والجن تهتف والانوار ساطعة * والحق يظهر من معنى ومن كلم

ثم شرع فى بيان العلامة السادسة والسابعة فقال والجن تهتف الخ الواو عاطفة
والجملة معطوفة على سابقها او الواو حالية والجن مقابل الانس وهو جوهر نارى
يتشكل باشكال مختلفة وانما سموا به لكونهم فى الستر عن اعين الناس والجن فى اللغة
بمعنى الستر قالوا ان كونهم مستورين عن اعين الناس من نعم الله علينا وكذا
استتار الملائكة اما الجن فلكونهم فى صور قبيحة غاية القبح حتى لو رآهم احد من الناس
لمات او زال عقله واما الملائكة فلكونهم فى غاية الحسن والجمال حتى لو رآهم على
صورتهم الملكية احد لزال عقله او مات فلا تسع حوصلة الانسان رؤيتهما
ثم اعلم انه روى ان الجن كانوا ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة يطيرون فى الهواء
وصنف فى صورة الحيات والكلاب وصنف يرحلون ويظعنون وقالوا وفى الجن ملل
كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم
مبتدعة الاهواء وكلهم مكلفون تهتف اى تصيح وتصوت وتتكلم بولادته
عليه السلام اذ روى ان فى الهواء وارجاء مكة تسمع اصوات الجن يبشرون بولادته
عليه السلام وفى المواهب مر فى ذلك الوقت جن المشرق الى المغرب والمغرب الى
المشرق يبشرون بولادته عليه السلام ومن اراد بهتف الجن اخبارهم الكهنة
باستراق السمع فقد بعد عن المرام حيث اشير اليه فى قوله وبعد ما عاينوا فى الافق
ولو اريد منه ههنا ما سيأتى لزم الاستدراك فتأمل فان قيل ان قوله الجن تهتف جملة
اسمية والجملة الاسمية تدل على الدوام فيقتضى ثبوت صوت الجن ودوامه وهو غير
ثابت اجيب عنه بان هذه الجملة لا تدل على الدوام لان خبرها فعلية وما يدل عليه

ما كان له صرافة فى الاسمية كما لا يخفى وقوله والانوار ساطعة بيان لعلامة اخرى
قالوا وعاطفة والجملة معطوفة على سابقها والانوار جمع نور وهو جوهر مضى كامن
وساطعة من السطوع بمعنى الظهور وهذه الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات
ففيه اشارة الى ان نوره عليه السلام باق الى يوم القيام ويرى ذلك النور من فى قلبه
نور وهذه الجملة اشارة الى ما روى فى المواهب والشفاء من انه روى عن آمنة ام رسول
الله عليه السلام انها قالت لما ولدته عليه السلام خرج من فرجى نور اضاء له قصور
الشام قال فى اللطائف وخروج هذا النور اشارة الى ما يجيء به من النور الذى
اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب الآية
واما اضاءة ذلك النور قصور الشام فهو اشارة الى ما خص به الشام من النور بنبوته
فانها دار ملكه انتهى ويجوز ان يكون المراد من الانوار شرائعه عليه السلام
على طريق الاستعارة بان يشبه شرائعه بالانوار فى رفع الظلمات والواو فى والحق
اما عاطفة او حالية والحق ضد الباطل ويجوز ان يكون المراد منه شأنه عليه السلام
بان شبه شأنه بالحق فى العلو لان الحق يعلو ولا يعلى عليه ويظهر من الظهور بمعنى
يتجلى ومن معنى من لابتداء الغاية متعلق بيظهر وتنوينه للتعظيم كتنوين كلم
والمراد من المعنى معانى القرآن ومن الكلم الفاظه والمعنى ومن علاماته عليه السلام
انه كانت الشرائع ظاهرة بسبب وجوده من معانى القرآن والفاظه فان معناه
دال على احكام الشريعة والفاظه دالة على صدق نبوته لانه معجز غاية الاعجاز هذا
على ان يكون الواو للعطف وان يكون الحق بمعناه الحقيقى واما لو كان الواو للحال
والحق بمعنى شأنه يكون هذا المصراع بيانا وتفسيرا للمصراع الاول على طريق اللف
والنشر المشوش بان يكون المراد من المعنى نوره عليه السلام ومن كلم كلمة الجن
ويجوز ان يكون المراد من المعنى الامور المعقولة ومن الكلم الامور المحسوسة
والكلام طويل لا يليق اتيانه فى هذا المختصر

عموا وصموا فاعلان البشائر لم * تسمع وبارقة الانذار لم تشم

لما نشأ من البيت السابق توهم ان يسئل بانه اذا اخبر الجن بنبوته ودلت الانوار
على حقيته هل آمن به قومه اولا دفعه فقال عموا وصموا الخ اى لم يؤمن قومه
لكونهم فى العمى والصمم فقوله عموا فعل ماض من العمى بمعنى عدم الرؤية يعنى
ان الكفار لم يروا الانوار الساطعة والشرائع الرافعة لعمى ابصارهم واطلاق
العمى عليهم مع كونهم اولى ابصار لعدم جريهم بموجب رؤيتهم وصموا كعموا
يعنى ان الكفار لم تسمع كلام الجن وتبشيرهم لصمم آذانهم فقوله عموا ناظر الى قوله
فيما سبق والانوار ساطعة وقوله صموا ناظر الى قوله والجن تهتف لكن على سبيل
اللف والنشر المعكوس ويمكن ان يكون البيت ناظرا الى المصراع الثانى
فى البيت السابق فيكون عموا ناظرا الى الكلم وصموا الى المعنى كالاول فتأمل
والفاء فى فاعلان البشائر للتفصيل لانه تفصيل قوله وصموا كما ان قوله وبارقة

الانذار تفصيل قوله عموا على طريق اللف والنشر المعكوس كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت الاية والاعلان بمعنى الاظهار والبشائر جمع بشير بمعنى المخبر بالاخبار السارة فى العبارة حذف مضاف اى اعلان اخبار البشائر ولم تسمع على صيغة التأنيث والضمير راجع الى الاعلان لا يقال انه مذكر فلا يصح ارجاع الضمير اليه لانا نقول انه قد اكتسب التأنيث من المضاف اليه على طرز قوله وما حب الديار شغفن قلبى * وقوله وبارقة الانذار عطف على اعلان البشائر وبارقة من برق بمعنى لمع وتاؤها للتأنيث اوللمبالغة والانذار الابلاغ على وجه التخويف وفيه استعارة مكنية حيث شبه الانذار فى الذهن بالسيف فى كونه مخوفا وادعى للسيف فردان فرد متعارف وفرد غير متعارف وهو الانذار ثم استعير السيف للفرد الغير المتعارف اعنى الانذار ثم ذكر فى الخارج المشبه اعنى الانذار واريد الانذار الذى كان فردا غير متعارف للسيف فحينئذ يكون قوله بارقة تخييلا لهذه الاستعارة ولم تشم بمعنى لم تنظر ولم تبصر وضميره راجع الى البارقه

من بعد ما اخبر الاقوام كاهنهم * بان دينهم المعوج لم يقم

ثم فصل قوله عموا وصموا تفصيلا ثانيا فبين قوله صموا بهذا البيت فقال من بعد ما اخبر الاقوام كاهنهم الخ مع الاشارة الى ان عدم اتباعهم الرسول عليه السلام من عنادهم وكفرهم لا من جهلهم لان كاهنهم كان صادقا ومعتدا عندهم فعدم تصديقهم اياه من عنادهم فقوله من بعد متعلق بصموا اولم تسمع او بهما معا على سبيل التنازع ومن جوز تعلقه بعموا او بلم تشم فهو غافل عن كون هذا البيت تفصيلا لصمهم اللهم الا ان يقال انه جوزه بعد ربط البيت الثانى كما لا يخفى وما مصدرية والاقوام جمع قوم وقد سبق تفصيله وهو بالنصب مفعول اخبر وكاهنهم بالرفع فاعله وهو من يتدع القول ويخبر عما سيكون من غير وحى وفى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هذين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد قالوا هذا فى حق من اعتقد صدق العراف والكاهن واما من سألهم لاستهزائهم اولتكذيبهم فلا يلحقه ما ذكر فى الحديث بقرينة حديث آخر من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة اربعين يوما وليلة قال ابن الملك اللائح لى فى التوفيق ان يقال مصدق الكاهن يكون كافرا اذا اعتقد انه عالم بالغيب واما اذا اعتقد انه ملهم من الله اوان الجن يقولون مما يسمعون من الملائكة فصدقه فلا يكون كافرا انتهى فظهر مما ذكرنا فساد ما قيل وتصديق الكاهن فيما اخبر به من المغيبات كفر على اطلاقه فتدبر بان دينهم متعلق باخبر والدين فى اللغة الاطاعة والجزاء وهنا بمعنى الطريق والمعوج بالنصب صفة دينهم وهو اسم مفعول من الاعوجاج وهو يستعمل فى المحسوسات والمعقولات فان استعمل فى الاولى يكون بمعنى عدم الاستقامة

وان فى الثانية يكون بمعنى ما لا ينبغى ولم يقم بمعنى لم يدم وفى المواهب وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان يهودى قد سكن بمكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودى معهم الى امه فاخرجته لهم فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشيا عليه فقال ذهبت النبوة من بنى اسرائيل يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب انتهى وامثاله كثيرة شائعة بين الانام وتفصيلها لا يتحمله المقام

و بعد ما عاينوا فى الافق من شهب * منقضة وفق ما فى الارض من صنم

ثم شرع فى بيان التفصيل الثانى لقوله عموا فقال وبعد ما عاينوا الخ مع الاشارة فى المصراع الثانى الى علامة اخرى فى يوم ولادته عليه السلام الواو عاطفة وبعد عطف على محل من بعد وما مصدرية وعاينوا ماض من المعاينة بمعنى المكاشفة التامة وفى الافق متعلق بعاينوا والافق بسكون الفاء للتخفيف جوانب السماء ومن شهب بيان لما والشهب بضمتين جمع شهاب وهو شعلة نار او بمعنى الكواكب لانه فسر قوله تعالى فاتبعه شهاب بشعلة نار وبنجم كما لا يخفى وقوله منقضة يجوز فيه الاحوال الثلاثة الجر على انه صفة شهب وهو الاظهر والنصب على انه حال منه والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو اسم مفعول من انقض بمعنى سقط روى ان الله اذا قضى امرا كان يسمعه حملة العرش فيسبحون فيسبح من تحتهم الى سماء الدنيا فيقولون من تسبيحهم فيستخبرون حتى ينتهى الخبر الى سماء الدنيا فيختطف وتسترقه الشياطين ثم يأتون به الكهنة على الارض فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون فيكذبون وكان ذلك فى الجاهلية فلما ولد عليه السلام كانت الشياطين مرجومين من السماء وممنوعين من الصعود اليها بنجوم ونيران ترميها الملائكة اليهم فان قيل قوله تعالى فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثة رسول الله عليه السلام وكذا يدل هذا البيت عليه ايضا وقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر لخلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان تكون الفائدة الاخرى حاصلة قبلها ايضا اجيب عنه بان ذكر الفائدتين لا يقتضى اقترانهما بحسب الزمان لم لا يجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان ترجم بها فان الرجم مصدر سمى به ما يرجم به ويؤيد هذا المعنى ما روى عن جماعة من المفسرين من ان السماء لم تكن تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد خمسمائة عام فلما بعث محمد منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب وقوله وفق ما بالنصب صفة مصدر منقضة اى انقضاضا موافقا لانقضاض ما فى الارض ومن صنم بيان لما والفرق بين الصنم والوثن ان الوثن ما كان له جثة من الخشب او الحجر

اوالفضة اوغير ذلك والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من جعل الوثن صنما وهذا القول اشارة الى سقوط اصنام العرب فى وقت ولادته عليه السلام منكوسة حيث كان لكل احد فى داخل البيت صنم فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط كل مكبا على وجهه والتفصيل فى الكتب المفصلة

حتى غدا عن طريق الوحى منهزم * من الشياطين يقفو اثر منهزم

لما بين فى البيت السابق انقضاض الشهب اراد ان يفصله و يبين فائدة انقضاضها فقال حتى غدا حتى لانتهاء الغاية وغدا بمعنى اعرض لانه استعمل بعن وغدا اذا استعمل بعن يكون بمعنى الاعراض كصار وذهب ورغب وطريق الوحى كناية عن السماء لان جبرائيل كان يجيء بالوحى منها منهزم بالرفع فاعل غدا وهو اسم فاعل من الانهزام بمعنى الفرار من العدو بسرعة ومن الشياطين صفة منهزم وهو جمع شيطان وجملة يقفو حال منه وضميره المستتر راجع الى المنهزم و يقفو كيغو من القفو بمعنى التبعية كقوله

ومن يقف آثار الهزبر ينل به * طرائح حمر الوحش اذ هو رائع

وقوله اثر بالنصب مفعول يقفو والاثر بمعنى العقب يقال الاثر يدل على المسير كالبعرة تدل على البعير يعنى ان الشياطين يصعدون الى السماء راكبا بعضهم على بعض فتنقض الشهب قبل ادراكهم السماء فينصرفون منها بالانهزام والفرار تابعا بعضهم اثر بعض وتدركهم الشهب ولا تخطئ ابدا فمنهم من تحرقه وتجعله رمادا و منهم من يحرق بعض اجزائه ومنهم من يفسد عقله لا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانا نقول انه ليس من النار الصرفة كما ان الانسان ليس من التراب الخالص على ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها كما لا يخفى

كأنهم هربا ابطال ابرهة * اوعسكر بالحصى من راحتيه رمى

لما كان فرار الشياطين وانهزامهم امرا وهميا اراد ان يقرره فى اذهان السامعين بتشبيهه بالمحسوس مع الاشارة الى علامة عجيبة كانت بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانهم هربا ابطال ابرهة الخ كأن للتشبيه وضميره راجع الى الشياطين وهربا بالنصب حال من اسم كان وهو بفتحتين الفرار خوفا وابطال بالرفع خبر كأن وهو جمع بطل بمعنى الشجعان وابرهة اسم ملك اليمن رئيس اصحاب الفيل شبه الناظم النحرير فرار الشياطين من السماء تابعا بعضهم اثر بعض بفرار شجعان الملك ابرهة فى الانهزام وكونه بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى قصته اختلاف فلنذكر ما ذكره بعض المفسرين وهو ان ابرهة كان ملك اليمن ذا اتباع كثيرة فركب يوما مع اصحابه للصيد فرأى عيرا فقال من هؤلاء قالوا ان لهم بيتا فى مكة يزورونه فى كل سنة فغضب ابرهة فارسل اليهم رجالا حتى منعهم عن سبيلهم فقال لوزيره هل ينبغى ان لا يكون لنا بيت

ويكون الناس زائرين له وكان العرب يزورون بيتهم فى مكة ويأتون اليه من كل فج عميق فانى اريد ان ابنى كنيسة لم يكن مثلها فى الدنيا فركب ابرهة مع المهندسين فخرج الى الصحراء فرأى ارضا واسعة على بعد مسافة ثلاث ساعات من بلدة يقال لها صنعاء اليمن فامر ان يبنى فى ذلك الموضع كنيسة فبنوا فيه واتموا وعلقوا فيها قناديل من الذهب والجواهر ووضعوا فيها كراسى مكللة باللؤلؤ وانواع الجواهر وملؤها بالاموال النفيسة ووضع ابرهة فيها رجالا حافظين خادمين وجعل على حيطانها استارا منقوشة بالذهب واللؤلؤ وقال لحافظيها ان اتى احد من اهل الحجاز اليها فاذنوا له فى الدخول لعلهم اذا رأوها تركوا بيتهم وتوجهوا اليها ثم ذهب ستة نفر من اهل الحجاز الى ارض اليمن للتجارة فقالوا بينهم ان كنيسة ملك اليمن قد شاع خبرها فلا نتركها حتى ننظرها فجاؤا الى بابها فقال الخادمون لهم من انتم قالوا نحن من اهل مكة فاذنوا لهم فى الدخول فلما نظروا اليها تعجبوا فقال احد الخادمين لهم أهذه احسن ام بيتكم قالوا بيتنا احسن واعلى لانكم تفرحون بالجواهر والذهب ونحن لا ننظر اليها ولكن الكعبة قد بناها نبى الله ابراهيم وولده اسمعيل عليهما السلام ولها خواص كثيرة منها انه ما من احد يأخذ باستارها او بحلقة بابها ويسأل ربها حاجته الا وقد تجاب دعوته فوقع بينهم نزاع فغلق احد ثلاث الستة باب الكنيسة وسلوا سيوفهم وقتلوا الخادمين كلهم وتغوطوا داخلها ولطخوا بعذرتهم حيطانها ثم خرجوا وفروا الى ارض الحجاز فلما اطلع ابرهة على هذه الاحوال زال عقله من غضبه وقال لوزيره هيء لنا آلات الحرب فجمعها واحضر عساكر كثيرة بلغ عددها اربعمائة الف فارس وزيره وكان معهم اربعون فيلا ثم ركب ابرهة ايضا وعزم على ان يقتل اهل مكة ويحرق البيت فلما وصلوا الى قرب مكة نزلوا ثمة واستاقوا ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فلما بلغ الخبر عبد المطلب جد النبى عليه السلام لبس لباسا نفيسا وعمامة لطيفة وركب ناقة وتوجه الى ابرهة فلما وصل الى الفيل الذى كان اعظم الفيلة وكان اسمه محمودا قال انى جد محمد عليه السلام نبى آخر الزمان فرجع الفيل القهقرى ووضع وجهه على الارض وتملق اليه فمشى عبد المطلب حتى وصل الى سرير ابرهة فدعا الله تعالى وقال اللهم يا سميع يا بصير يا عليم يا خبير انت جعلت نور حبيبك فى ستين سنة فبحرمة صاحبه لا تجعلنى حقيرا ولا خجلا بين يدى الظالمين فوقعت الهيبة فى قلوبهم فقام ابرهة ونزل عن سريره وقال مرحبا بك يا سلطان مكة يا شيخ الحرم لاى حاجة جئت فقال انما جئت لان جيوشك قد اخذوا اربعمائة من ابلى فانا اطلبها فضحك ابرهة وقال انى ظننت انك تسألنى الكعبة قال عبد المطلب لست بصاحب الكعبة فان لها صاحبا يحفظها واما الجمال فالى فامر ابرهة ان يعطوه جماله وركب ناقته فجاء الى مكة واخبر بالحال اهل مكة وذكر كثرة جيشه فقالوا انا لا نستطيع محاربته فخرجوا وفروا حتى خلت مكة منهم فجاء عبد المطلب فاخذ حلقة البيت فدعا وتضرع فوثب النور من جبهته فوقع فى الكعبة ونصب الى السماء فلما رأى عبد المطلب هذه الحال قال يا قوم ارجعوا فقد

كفيتم فلا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فالتفتوا الى السماء فاذا طيور كثيرة نشأت من جانب بحر اليمن واجتمعت فوق عسكر ابرهة ومع كل طائر ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه كل حجر كعدسة وعليه مكتوب اسم من يرمى به فرمت الطيور تلك الاحجار فما اصاب احدا منهم حجر الا اهلكه فهلك القوم كلهم الا وزير ابرهة فهرب وفوقه طير حتى وصل الى ابرهة فحكى له الحال ولما اتم حكايته رمى الطير بحجره فاصابه فهلك فلما رأى عبد المطلب هذه الحال نزل من جبل ابى قبيس فاخذ اموالهم وكان سبب دفع هذه البلية نوره عليه السلام ولذا قال تعالى الم تر كيف فعل الخ ومن اراد تفصيل القصة فعليه بالرجوع الى قصص الانبياء وقوله اوعسكر بالحصى الخ تشبيه آخر واشارة الى معجزة اخرى له عليه السلام فعسكر معطوف على ابطال يعنى ان الشياطين فى الفرار كعسكر الكفار وبالحصى متعلق برمى المؤخر والحصى احجار صغيرة ومن راحتيه متعلق ايضا برمى المؤخر وراحتيه بمعنى كفيه وضميره راجع اليه عليه السلام يعنى ان الشياطين فى الفرار كعسكر الكفار الذين انهزموا برميه عليه السلام اليهم حصيات ففروا بلا قرار حيث روى انه لما التقى منهم الجمعان اخذ رسول الله بقبضة من الحصيات وقال شاهت الوجوه فرماها اليهم فلم يبق احد منهم الا امتلأت عينه بالغبار والحصيات فانهزموا وفروا فان قلت المشهور والثابت بالاحاديث انه كان تلك الحصى كفا ويشهد له البيت الاتى فكيف يصح قوله فى هذا البيت من راحتيه بصيغة التثنية اللهم الا ان يقال تثنية الراحتين باعتبار الوقتين فى الغزوتين اعنى فى بدر كما رواه البخارى وفى احد كما رواه مسلم وسيجيء تفصيل الغزوتين فى فصل الجهاد

نبذا به بعد تسبيح ببطنهما ✻ نبذ المسبح من احشاء ملتقم

لما بين العلامات العجيبة التى وقعت قبل بعثته عليه السلام اراد ان يشرع فى بيان بعض ما وقع من معجزاته عليه السلام بعد بعثته فقال نبذا به بعد تسبيح ببطنهما الخ نبذا مصدر رمى من غير لفظه والتقدير نبذ نبذا ومعنى النبذ الرمى من اليد والباء فى به زائدة لتقوية العمل والضمير راجع الى الحصى فان قيل هذا زائد لا فائدة فيه لانه قد سبق فى البيت الاول بعينه ففى الاعادة استدراك قلت لا نسلم انه لا فائدة فيه كيف واعادته للتأكيد والتقرير على ان الاول مطلق وهذا مقيد فلا يكون عين الاول كما لا يخفى وقوله بعد تسبيح ظرف نبذا او رمى وكان التسبيح صادرا من الحصيات واختلف فى كيفية ذلك التسبيح وبطنهما متعلق بتسبيح والباء بمعنى فى او ظرف مستقر على انه صفة تسبيح اى كائن فى بطنهما وضمير التثنية راجع الى الراحتين فان قلت الراحة بمعنى باطن اليد فلو رجع هذا الضمير اليهما يلزم استدراك قوله بطن كما لا يخفى قلت لا نسلم ان الراحة بمعنى باطن اليد لا مطلق اليد ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون فى ضمير ببطنهما استخدام بان يراد بمرجعه اعنى الراحتين معنى باطن اليد وبالضمير الراجع اليه مطلق اليد مجازا من ذكر اللازم وارادة الملزوم او من ذكر الجزء وارادة الكل ولو سلم فلم لا يجوز ان تكون اضافة

البطن

البطن الى الضمير بيانية فتأمل وحاصل معنى هذا المصراع ان رسول الله عليه السلام رمى تلك الحصيات بعد تسبيحها فى راحتيه عليه السلام حيث روى انه عليه السلام لما اخذ بقبضة من الحصيات بالوحى سبحت فى كفه عليه السلام وهو يسمع ثم اعطاها ابابكر فسبحت ايضا فى كفه وهو يسمع ثم اعطاها عمر فسبحت فى كفه ايضا وهو يسمع ثم اعطاها عثمان ثم اعطاها عليا فسبحت فى كفهما وهما يسمعان وقد كان مثل ذلك كثيرا ايضا فى اوقاته عليه السلام كما بينوه فى الكتب المفصلة ثم اتى بتشبيه لذلك الحكم مع الاشارة الى قصة لطيفة فقال نبذ المسبح الخ وهو بالنصب مفعول رمى والاداة محذوفة اى كنبذ المسبح وهو مضاف الى مفعوله وفاعله محذوف اى نبذ الله المسبح والالف واللام فى المسبح للعهد اى المسبح المعهود وهو يونس النبى عليه السلام ومن متعلق بنبذ والاحشاء جمع الحشى وهو بمعنى البطن وجمعه اما على حقيقته لان يونس كان فى بطون ثلاثة الاول بطن الحوت الاول والثانى بطن الحوت الثانى والثالث بطن البحر او من قبيل فقد صغت قلوبكما والملتقم بمعنى المبتلع والمراد به الحوت ثم اعلم ان التشبيه فى النبذ المطلق لا فى المنبوذ كما لا يخفى وحاصل معنى هذا المصراع كرمى الله نبيه يونس عليه السلام من بطن الحوت الى ساحل البحر بسهولة بلا شدة وقصته ان يونس عليه السلام بعثه الله تعالى الى قوم كانوا مائة الف وسبعين الفا فلم يجبه احد من قومه وآذوه وضربوه وشقوا رأسه فخرج من المدينة فقال اللهم انزل عليهم رجزك وعذابك فنزل جبرائيل وقال له ان الله يقول ارجع اليهم فادعهم اربعين ليلة اخرى فان اجابوك فنعم والا فانا مرسل اليهم العذاب فرجع يونس فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فاخبرهم بالعذاب الى ثلاثة ايام فلما جاءت ليلة الاربعين خرج يونس من عندهم بغير اذن ربه فلما اصبحوا تغشاهم سحاب العذاب فظنوا انه مطر فنظروا الى السحاب فاذا يخرج من اطرافه شرر النار فخافوا وندموا وطلبوا يونس فلم يجدوه فقالوا الملكهم ان كان يونس غائبا عنا فان الهه لم يغب فاجتمع الناس كلهم فى ارض سهلة فتابوا وتضرعوا وكسروا اصنامهم وقبلوا دين الله وسجدوا له تعالى فاستجاب الله دعاءهم وكشف عنهم العذاب وكان يونس على جبل بعيد من المدينة فلم يقف على هذه الحال فجاء اليه الشيطان فى صورة شيخ فقال يونس له من اين تجيء قال من المدينة قال على اى حال تركت اهلها قال ابليس تركتهم يطلبون كذابا يقال له يونس فانه قال لهم يأتيكم العذاب فلم يأتهم فيطلبونه ويريدون قتله فقال يونس كيف ارجع الى قوم كذبونى فذهب مغاضبا الى قومه من غير وحى من الله فاتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركبها يونس عليه السلام فلما ركبها تحركت السفينة حتى كادت تغرق فقال الملاحون ههنا رجل عاص وعبد آبق وهذا رسم السفينة اذا كان فيها العبد الآبق لا تجرى ومن رسمها ايضا ان يقترع فى مثل هذا فمن وقعت القرعة عليه القوه فى البحر فساهم اى قارع اهل السفينة ثلاث مرات فوقعت فى كلها على يونس عليه السلام فكان يونس من المدحضين اى من المقروعين فقام يونس فقال انا الرجل العاصى والعبد

الابق فالقوه اوالقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت ثم جاء حوت آخر اكبر منه فابتلع هذا الحوت فنزل به الى قعر البحر فمكث فى بطنه اربعين يوما فنادى فى الظلمات الثلاث وسبح الله تعالى وقال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجاب الله تعالى دعاءه بحرمة تسبيحه فاخرجه الى ساحل البحر فانبت الله عليه شجرة اليقطين ليستظل بظلها ثم مشى الى قرية فاقبل عليه اهل تلك القرية فاكرموه وعظموه وتمام القصة فى قصص الانبياء للامام الثعلبى

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

لما ذكر فى البيت السابق معجزته عليه السلام اعنى تسبيح الحصى فى كفه عليه السلام انتقل منها الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين المعجزتين اذ كانتا هما كانتا جمادا وشهدتا بنبوته وغير ذلك مما لو تاملت لوجدته فقال جاءت لدعوته الاشجار الخ جاءت اى اتت لدعوته اى وقت طلبه تشهد على نبوته عليه السلام كما ستجىء حكايته والاشجار بالرفع فاعل جاءت وهى جمع شجر قال فى اخوان الصفا فى الفرق بين الشجر والنبات والنجم ان الشجر ما هو قائم على ساقه مرتفع فى الهواء يورق فى الصيف ويتناثر ورقه فى الشتاء ويخرج الثمر ولو غيرما كول والنبات ما يبذر من الحب والبزر والنجم ماينبت من غير بذر وينبسط على وجه الارض من الحشائش والكلاء وكلها ذو طعم ولون ورائحة انتهى والمراد من الشجر هنا شجر النخل وقيل غير ذلك وساجدة بالنصب حال من الاشجار والسجدة هنا اما على حقيقتها او المراد منها الخضوع والانقياد كما جاء الركوع بمعنى الخضوع فى قوله تعالى يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ولما توهم ان يسأل عن كيفية مجيئها بانه هل خلق لها قدم او جاءت بلا قدم دفعه فقال تمشى اليه فهذه الجملة استئناف او حال واليه متعلق به والضمير راجع اليه عليه السلام على ساق متعلق بتمشى وقوله بلا قدم اما متعلق بتمشى او ظرف مستقر صفة ساق او حال منه وفى المعنى تأكيد كما لا يخفى وفى البيت انواع من خوارق العادة كفهم الخطاب من النبات مع انها ليست من ذوات الادراك ومجيئها وتحركها وقصدها اليه وتواضعها لديه ومشيها على ساق وبلا قدم قال العصام المجىء انما حصل من شجرة واحدة على ما ورد فى الاخبار فجمع الاشجار محمول على التكرار يعنى تكرار حركتها مع وجود وحدتها وغفل عما فى المواهب والشفاء اذ ذكر فى المواهب اخرج الامام احمد عن ابى سفيان قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو حزين قد خضب بالدماء حيث ضربه بعض اهل مكة فقال له جبرائيل اتحب ان اريك آية فقال نعم فقال ادع تلك الشجرة التى وراء الوادى فدعاها فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال عليه السلام حسبى حسبى وعن بريدة جاء اعرابى وسأل منه عليه السلام آية فقال له قل لتلك الشجرة ان رسول الله يدعوك فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت حتى وقفت بين يدى رسول الله عليه السلام فقالت السلام

عليك يا رسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى موضعها فاستقرت الحديث وفى حديث جابر ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيأ يستتر به فاذا شجرتان فى شاطئ الوادى فانطلق فاخذ بغصن من اغصان احداهما وقال انقادى معى باذن الله فانقادت معه حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها ايضا وقال انقادى معى حتى اذا كان بالمنتصف مما بينهما قال التئما على باذن الله فالتأمتا ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا وامثاله ايضا ذكر فى الشفاء

كانما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم

لما توهم ان يسئل عن كيفية مشى الاشجار على ساقها بلا قدم اجاب عنه فقال بتشبيه بليغ كانما سطرت الخ فكان للتشبيه وما كافة اى كان الاشجار فى مجيئها سطرت بمعنى كتبت واثرت والضمير للاشجار اوللفروعها وسطرا مفعول مطلق له واللام فى لما للتوقيت او للتعليل وما موصولة وكتبت صلته وضمير الموصول محذوف اى كتبته اوكلمة ما مصدرية اى لكتابة الفروع وعلى كل تقدير قوله فروعها بالرفع فاعل كتبت والفروع بمعنى الاغصان والافنان وضميره للاشجار وقوله من بديع الخط بيان لما واضافة البديع الى الخط من قبيل اضافة الصفة الى موصوفها اى الخط البديع بمعنى الخط الحسن وقوله فى اللقم متعلق بكتبت واللقم بفتحتين بمعنى وسط الطريق والمعنى كأن الاشجار انتظمت سطورا لكتابة الفروع والاغصان فى وسط الطريق خطا حسنا دالا على المعانى الكثيرة وفى البيت استعارة تمثيلية بان شبه الهيئة المنتزعة من الاشجار واغصانها وانتظامها سطرا وكتابة فروعها خطا حسنا فى وسط الطريق بالهيئة المنتزعة من كاتب حقيقة وانتظامه سطورا بالمسطار وكتابته بالقلم خطا حسنا على الكاغد وفى هذين البيتين اشارة الى ان المسلمين اولى بالمبادرة لاوامره عليه السلام وهم اولى بان يقمن على قدم العبودية والاطاعة واذا كانت الاشجار مطيعة منقادة له عليه السلام فامته اولى به

مثل الغمامة أنى سار سائرة * تقيه حر وطيس للهجير حمى

ثم انتقل من المعجزة السابقة الى بيان معجزة اخرى مع المناسبة بين هذه المعجزة وتلك من وجوه لان الغمامة كانت تسير مع النبى اين سار واطاعت له عليه السلام وكذلك الاشجار كانت مطيعة ومنقادة له عليه السلام تذهب الى اين امر ولان الغمامة كانت تظل النبى عليه السلام من حر الشمس كذلك الاشجار كانت تظل النبى عليه السلام كما روى فى الاحاديث الصحيحة انه عليه السلام اذا نام فى الصحراء كانت تجىء له الاشجار وتظلله ولان الغمامة سبب لانبات النباتات والاشجار وغير ذلك فقال مثل الغمامة الخ مثل بالنصب على انه صفة مصدر محذوف اى مجيئا مثل الغمامة او بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى اى الاشجار مثل الغمامة والغمامة بفتح الغين المعجمة بمعنى السحاب وخبط العصام حيث قال الغمامة كالعمامة لانها بكسر المهملة كذا فى القاموس وأنى بفتح الهمزة بمعنى اين اى الى اى محل سار او بمعنى كيف اى كيف

سار النبي عليه السلام سواء سار راكبا او ماشيا سريعا او بطيئا وعلى كلا التقديرين
فهو ظرف لقوله المؤخر سائرة وسار بمعنى ذهب وضميره راجع اليه عليه السلام
وسائرة اما بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى سائرة فتكون الجملة بيانا لحال
الغمامة او منصوبة على انها حال من الغمامة وتقيه بمعنى تحفظه وضمير فاعله راجع
الى الغمامة وضمير مفعوله راجع الى النبي عليه السلام والجملة اما حال او استئناف
لبيان علة السير فيمكن ان يرتب لهذا قياس بان يقال الغمامة تسير الى اين سار النبي
لان الغمامة كانت تظلل النبي وتقيه حر وطيس للهجير حمى وكل شئ شانه كذا فهو يسير
الى اين سار النبي فينتج المطلوب وحر وطيس بالنصب مفعول ثان لتقى لكن من قبيل
الحذف والايصال اى من حر وطيس والوطيس التنور لكنه مستعار لمعنى الشمس
حيث شبه الشمس وقت الزوال بالتنور فى شدة الحر فاستعير التنور للشمس فذكر التنور
واريد الشمس وقوله للهجير اللام للتوقيت وهو ظرف مستقر صفة لوطيس او ظرف
له او ظرف للحر والهجير بمعنى نصف النهار عند اشتداد الحر يقال الهجير ييبس النبت
والحوض وحمى فعل ماض وسكون آخره عارض فى الوقف وهو صفة لوطيس والحمى
بمعنى اشتداد الحر يقال حمى النهار بكسر العين اذا اشتد حره وحاصل المعنى ان الاشجار
ساجدة لديه جائية اليه مثل الغمامة كانت تسير الى اين سار النبي لكونها حافظة له من
حر شمس كائنة وقت الزوال الشديد الحر بقدرة الملك المتعال والبيت اشارة الى قصة
بحيرا الراهب وهى انه عليه السلام لما خرج الى الشأم لمصلحة خديجة ارسل الله تعالى
على رأسه عليه السلام غمامة بيضاء لتظلله من حر الشمس حتى وصلت العير الى صومعة
بحيرا الراهب فنزلت العير عندها تحت شجرة فاخضرت تلك الشجرة مع انها يابسة فخرج
الراهب من صومعته ورأى العير والغمامة التى تظلله فعرفه بذلك وقال ليس تحتها
الا نبي واتخذ ضيافة ودعا اهل العير ليعرفهم صاحب تلك الكرامة فذهبوا
باجمعهم وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند اثقالهم لاعتمادهم عليه فنظر
الراهب ان الغمامة لم تزل من مكانها فسألهم وقال هل بقى منكم احد فى مكانكم فقالوا
لا الا حافظ يحفظ اثقالنا فطلب الراهب منهم ان يأتوا به فاتى به عليه السلام فلما جاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك الصومعة نظر الراهب الى الغمامة فراها واقفة
على الباب فدخل وقال يا شاب من اى بلدة انت قال من مكة قال من اى قبيلة قال من
قريش قال ما اسمك قال اسمى محمد فوقع الراهب عليه وقبله بين عينيه وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله واسلم وحسن اسلامه وتمام القصة مذكور فى كتب التواريخ

اقسمت بالقمر المنشق ان له ✱ من قلبه نسبة مبرورة القسم

ثم انتقل الى بيان معجزة اخرى لها مناسبة للسابقة من وجوه شتى حيث كانت السابقة
سماوية وكذا هذه ولانها كانت خاصة بنبينا عليه السلام وكذا هذه ولانها انقادت
اليه عليه السلام فكذا هذه فقال اقسمت بالقمر الخ اقسمت على صيغة التكلم من القسم
بمعنى الحلف لا من الاقسام لعدم مجيئه وبالقمر متعلق باقسمت فيكون القمر مقسما به

فان قلت القسم بغير اسم الله لا يجوز من العباد بل الظاهر من كلام مشايخنا انه كفر
ان كان باعتقاد انه حلف يجب البر به وحرام ان كان بدونه وقد قال عليه السلام من حلف
بغير الله فقد اشرك رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنه وعن ابن
عباس لأن احلف بالله فاثم خير من ان احلف بغيره تعالى فابر فكيف يجوز قسم
الناظم النحرير بالقمر قلت الجواب عنه من وجوه اما اولا فبان يقال فى العبارة
حذف مضاف اى اقسمت برب القمر او خالقه كما قدره اكثر المفسرين فى مثل قوله
والشمس والضحى والليل وغير ذلك واما ثانيا فبان يقال ان هذا القول وان كان فى صورة
القسم لكن لم يكن المراد به القسم بغير الله فان العلماء اذا ارادوا تأكيد مضمون الكلام
وترويجه واخبار صدقه يذكرونه فى صورة القسم لانه اقوى من سائر المؤكدات واسلم
وليس الغرض به اليمين الشرعى واما ثالثا فبان يقال ان الحلف بغير اسم الله
انما لا يجوز فى مذهب الحنفية والناظم شافعى المذهب كما سبق فيجوز الحلف بغير الله
فى مذهبهم ثم ان القمر يطلق على الكوكب المنير بالليل بعد مضى ثلاث ليال واما قبله
فيقال له الهلال والمنشق بالكسر صفة القمر وهو اسم مفعول من الانشقاق بمعنى
الانصداع وانشقاق القمر باشارته عليه السلام ثابت بالقرآن والاحاديث قال
فى المشكاة روى ان ابا جهل عليه اللعنة ومن تابعه لما عجزوا عن معارضة نبينا عليه
السلام وارتفعت يوما فيوما شمس شريعته وجعل الناس يؤمنون به بعثوا الى حبيب
ابن مالك خليفة الشام مكتوبا وكتبوا فيه اما بعد ايها الملك انه قد ظهر بيننا رجل ساحر
كذاب يدعى ربا واحدا ودينا جديدا وانه يسب آلهتنا وكلما قابلناه بالحجة غاب علينا
فاليوم ضعف دينك ودين آبائك فالحق به قبل ان ينتشر دينه فركب حبيب بن مالك
ومعه اثناعشر الف فارس ونزل بالابطح وخرج لاستقباله ابو جهل وعظماء مكة
بالهدايا فاقعده حبيب عن يمينه وسأله عن محمد فقال ايها السيد سل بنى هاشم فسأل
منهم فقالوا نعرفه بالصدق فى صغره ولما بلغ عمره اربعين سنة جعل يسب آلهتنا ويظهر
دينا غير دين آبائنا قال حبيب احضروا محمدا طوعا ولو ابى فكرها فبعثوا اليه الحاجب
فاتى اليه عليه السلام ابو بكر بحلة حمراء وعمامة سوداء فلبسهما رسول الله فجاء الى
حضرة حبيب وابو بكر عن يمينه وخديجة من خلفه فلما رأى النبي عليه السلام قام
اكراما للنبي عليه السلام فلما جلس رسول الله والنور يتلألأ فى وجهه سكتت الالسن
ووقعت الهيبة على الناس فقال حبيب يا محمد انت تعلم ان للانبياء كلهم معجزات ألك
معجزة فقال عليه السلام ماذا تريد فقال حبيب اريد ان تغيب الشمس وتخرج القمر وتنزله
الى الارض وتجعله منشقا نصفين ثم يعود الى السماء قمرا منيرا فقال عليه السلام ان فعلته
أتؤمن بى قال نعم بشرط ان تخبر بما فى قلبى فصعد رسول الله الى جبل ابى قبيس وصلى
ركعتين فدعا ربه فنزل جبرائيل فقال ان الله سخر لك الشمس والقمر والليل والنهار وان
لحبيب بن مالك بنتا سطيحة يعنى ساقطة على قفاها وليس لها يدان ولا رجلان ولا عينان
فاخبره بان الله قد ردها عليها فنزل رسول الله عليه السلام من الجبل وجبريل

فى الهوآء وصفت الملائكة صفوفا فاشار باصبعه عليه السلام الى الشمس فركضت حتى غابت واشتد الظلام وطلع القمر بدرا منيرا فاشار اليه باصبعه فجعل القمر يركض ركضا حتى نزل الى الارض فانفلق فلقتين ثم عاد قمرا منيرا ثم عادت الشمس كما كانت اول مرة ثم قال حبيب بقى عليك الشرط فقال النبى عليه السلام ان لك ابنة سطيحة والله قد رد جوارحها فقال حبيب قائما يا اهل مكة لا كفر بعد الايمان اعلموا انى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال ابو جهل اتؤمن بهذا الساحر ثم خرج حبيب بن مالك الى الشام مسلما ودخل قصره فاستقبلته بنته قائلة اشهد ان لا اله الا الله الخ فقال لها يا ابنتى من اين علمت هذه الكلمات قالت اتانى آت فى المنام فقال لى ان اباك قد اسلم وان كنت مسلمة نرد عليك اعضاءك سالمة فاسلمت فى منامى فاصبحت كما ترانى وتمام القصة مذكور فى محلها وقوله انّ له بكسر الهمزة لانه وقع فى جواب القسم وله ظرف مستقر خبر انّ والضمير راجع اليه عليه السلام وقوله من قلبه متعلق بنسبة قدم عليه للحصر ومن بمعنى الباء والنسبة بمعنى المشابهة يعنى ان للقمر المنشق مشابهة لقلب النبى عليه السلام فى الانشقاق ومبرورة القسم بالنصب على انه حال من فاعل اقسمت فيكون الالف واللام عوضا عن المضاف اليه اى وانا مصدوق فى قسمى واما صفة للنسبة او حال منها فعلى هذا يكون المعنى ان للقمر المنشق نسبة لقلبه حتى لو حلف احد على وجود تلك النسبة يكون بارا فى قسمه وانشقاق قلبه اشارة الى شرح صدره حيث روى مسلم عن انس ان جبريل اتاه وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه وشق صدره عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب ثم لأمه ثم اعاده فى مكانه وقد كان شرح الصدر له عليه السلام مرتين

وماحوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عم

لما ذكر بعض معجزاته السابقة الواقعة قبيل هجرته عليه السلام اراد ان يبين بعض المعجزات التى وقعت فى هجرته عليه السلام فقال وماحوى الخ الواو عاطفة وماحوى مبتدأ محذوف الخبر اى ومن جملة معجزاته عليه السلام ماحوى اى جمع واحاط فالاسم موصول عبارة عن ذات الرسول عليه السلام او عنه وعن ابى بكر رضى الله عنه فان قلت المناسب لهذا المقام ان يقول ومن بدل وما لانهم قالوا ان من مختص بذوى العقول وما لغيره وقد نص عليه الرسول فى مجادلة عبد الله بن الزبير قلت اختيار مادون من لكونه عبارة ههنا عن الوصف حيث بين بالخير والكرم وهما غير ذى العقل فيناسبه مادون من او نقول ان ماههنا بمعنى من مجازا كما قال جمهور المفسرين ان ما قد يستعمل فى ذوى العلم مجازا كما فى قوله تعالى والسماء وما بناها وحوى بمعنى جمع واحاط والغار الالف واللام فيه للعهد والغار بمعنى الكهف اى الكهف المعهود الذى كان فى جبل ثور فى مكة المكرمة والمراد من الخير الفضائل ومن الكرم الفواضل او الفعال الجليلة والخصال الجميلة وفى العبارة اما حذف مضاف اى ذى خير وذى

كرم او من باب المبالغة كرجل عدل والمراد بهما الجامعان لهما من النبى والولى على طريق اللف والنشر المرتب فالخير المطلق خير البرية والكرم يراد به افضل الامة قال عليه السلام ما نفعنى مال احد مثل ما نفعنى مال ابى بكر وقال عليه السلام لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين لرجح ايمانه وكل طرف الواو للحال او استئنافية والطرف بمعنى العين والتنوين للتحقير ومن الكفار اما حال من طرف او صفة له والمراد من الكفار الذين تفحصوا عن رسول الله عليه السلام وعنه متعلق بعمى المؤخر قدم للوزن وضميره راجع اليه عليه السلام افرده لكونه الاصل المتبوع وعمى اما فعل ماض وهو الاظهر او هو صفة وحاصل المعنى لما اجتمع اكابر قريش فى دار الندوة للمشاورة فى الاهانة له عليه السلام تمثل لهم ابليس بصورة شيخ فجلس معهم فقالوا ما ادخلك علينا بغير اذن قال اللعين انا رجل من نجد رأيت فيكم حسن النية والاجتماع لامر حسن فاحببت ان اجلس معكم فقالوا هذا ليس من اهل تهامة تكلموا ولا بأس فقال بعضهم احبسوه فى بيت ولا تعطوه شرابا ولا طعاما حتى يهلك قال اللعين بئس الرأى لان له اقارب يجتمعون ويأخذونه من ايديكم وقال آخر اخرجوه وغربوه من بينكم قال اللعين ايضا بئس الرأى لان له لسانا لطيفا ووجها مليحا والله ليجتمعن عليه خلق كثير ثم اياتينكم ويخرجنكم من بلادكم قالوا صدق الشيخ قال ابو جهل خذوا من كل بطن شابا بسيف صارم فيضربوه ضربة حتى يقتل ويفرق دمه فى القبائل قال اللعين هذا الرأى صواب فاجتمعوا عليه ليأتوه ليلا فاخبر جبريل بتلك الحال النبى عليه السلام وامره بالخروج فاقام رسول الله عليا فى فراشه فخرج وجاء الى بيت ابى بكر فذكر الحال فقال اتخرج معى فقال ابو بكر سمعا وطاعة فخرجا حتى وصلا الى باب الغار فدخل اليه ابو بكر اولا فرأى فيه جحرة فاخرج بردته فمزقها وحشا تلك الجحرة فبقى ثقبان فسدهما بعقبه وقال ادخل يا رسول الله فدخل والكفار جاؤا طالبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوه فسألوا عليا فقال لا ادرى فطلبوا اقطار مكة حتى جاؤا الى باب الغار فلم يروهما وسيأتى تفصيل هذه القصة فى الابيات الآتية

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من ارم

ثم شرع فى بيان تفصيل قوله وماحوى الغار فقال فالصدق فى الغار الخ الفاء للتفصيل والصدق مصدر بمعنى الصادق او المصدوق الذى انحصر فيه الصدق او ذو الصدق او على طريق المبالغة وفى الغار خبر مبتدأ فان قيل الظاهر ان يقول فيه لسبق ذكره فلم عدل الى غير الظاهر قلت اعاد ذكره للاستلذاذ ولئلا يتوهم رجوعه الى الكرم والى الخير لا يقال اعادة ذكره لضرورة الوزن لانا نقول ذكره بالضمير لا يخل بالوزن ايضا بان يقول فالصدق فيه مع الصديق لم يرما مع انه على هذا يكون البيت اسلم لفظا واحسن معنى فتامل والصديق صيغة مبالغة بمعنى كثير الصدق وفى هذا المصراع اشارة الى قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به الاية وخبر قوله والصديق محذوف اى كذلك ولم يرما بفتح الياء وكسر الراء من ورم انفه اذا غضب لان الغضبان ينتفخ انفه والجملة

حال فيكون المعنى لم يغضبا على القضاء والقدر بل لم يجئ الى قلبهما اثر وفى بعض الرواية قرئ لم يرما بضم الياء على انه مجهول يروم من الروم بمعنى الطلب ومن اللطائف انهما مطلوبان وليسا بمطلوبين بل انهما محبوبان ولكن كانا عن اعين الاعداء محجوبين وقيل اصله لم يرمن فهو مؤكد بالنون الخفيفة من ورم بمعنى انتفخ فابدلت النون الفا فى الوقف كما فى قول امرئ القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * فيكون ضميره راجعا الى الصدق وتكون الجملة خبرا عنه والمعنى والحال ان الصديق لم تنتفخ من لدغ الحية رجله المباركة حيث روى ان ابا بكر لما سد الثقبين فى الغار برجليه المباركتين وكان فيهما حية فلدغت رجله فشكا الى النبى عليه السلام من لدغها فاخذ النبى عليه السلام من ريقه الشريف فوضع عليه فبرئ باذن الله وارتفع عنه الورم وقرأ بعض الناس لم يريا على انه تثنية مضارع من الرؤية لكن رده شيخ زاده وانا من الداخلين معه وقوله يقولون الواو حالية والضمير للكفار وجملة يقولون خبر مبتدأ والقول ههنا بمعنى الحكم اى والكفار يحكمون وما بالغار من ارم مقول لقول الكفار وما مشبهة بليس والباء فى بالغار بمعنى فى وهو خبر ما ومن زائدة وارم بالرفع اسم ما وهو بمعنى احد يقال ما فى الدار ارم اى احد وحاصل المعنى ان رسول الله عليه السلام وابا بكر دخلا الغار وسكنا فيه راضيين بقدر الله وحكمه غير غاضبين والكفار جاؤا باب الغار لعلامة الاثار فلم يروهما بحفظ الملك الجبار حتى روى ان بعضهم قفوا اثرهما الى باب الغار ثم انقطع الاثر فيه فصعدوا على الجبل فوق الغار فقال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا قال عليه السلام يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

لما توهم ان يسئل عن سبب عدم رؤيتهم بان يقال ما منعهم من الرؤية قال مجيبا ظنوا الحمام الخ الظن قد يراد به العلم المطابق وقد يراد به غالب الرأى وقد يراد به الجانب المرجوح اى الوهم وهو المراد ههنا والحمام طير يألف البيوت قال فى اخوان الصفا الحمام خاصته ان يحمل كتابا الى بلد بعيد وهو القائل فى طيرانه وذهابه يا وحشتا من فرقة الاخوان يا طول الاشواق الى الخلان يا رب ارشدنا الى الاوطان وقال فى حلبة الكميت اختلف الناس فى صوت الحمام هل هو بكاء او غير ذلك فمنهم من جعله بكاء وقال انها تبكى على فرخ لها صاده جارح فى عهد نوح عليه السلام فما من حمامة الا وهى تبكى عليه الى يوم القيامة قلت والذى يظهر لهذا الفقير والله اعلم ان ذلك يختلف باختلاف السامع فتارة يسمعه الخالى فيطرب ويسميه غناء وتارة يسمعه العاشق فيحزن ويسميه بكاء انتهى والعنكبوت دويبة تنسج فى الهواء والجمع عناكب والمذكر عنكب وهى اقنع الاشياء وعلى رزقها احرص الاشياء وتبيض وتحيض واول ما تلد تلد دودا صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته فى ثلاثة ايام ويقوى على النسج ساعة يولد من غير تعليم والذى تنسج لا تخرجه من جوفها بل من خارج جلدها قال

فى حياة الحيوان اذا وضع نسج العنكبوت على الجراحة الطرية فى ظاهر البدن حفظها من الورم ويقطع سيلان الدم واذا دلكت الفضة بنسجها جاء جلاؤها والعنكبوت الذى ينسج على الخلاء اذا علق على المحموم يبرأ باذن الله واذا لف فى خرقة وعلق على صاحب حمى الربع نفع انتهى وفى الجامع الصغير قال عليه السلام العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه وروى الثعلبى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر وفى الحلية نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان جالوت يطلبه ومرة على النبى عليه السلام فى الغار وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن على رضى الله عنه ان النبى عليه السلام سئل عن الممسوخ فقال هم ثلاثة عشر الفيل والدب والخنزير والقرد والجريث والضب والوطواط والعقرب والدعموص والعنكبوت والارنب وسهيل والزهرة الحديث قال فى الزبدة نهى عليه السلام عن قتل العنكبوت والحمام الكائنتين فى الحرم وعلى خير البرية متعلق بالفعلين الآتيين على سبيل التنازع والبرية بمعنى المخلوق والالف واللام فيه للاستغراق اى جميع المخلوقات وقوله لم تنسج ولم تحم فيه لف ونشر مشوش لان الاول للثانى والثانى للاول ولم تحم بمعنى لم تبض وحاصل المعنى ان الكفار لعدم يقينهم بالنبى المختار حسبوا ان العنكبوت لم تنسج على باب الغار وان الحمامة لم تحم حول الغار فظنوا ان ليس فى الدار ديار ورجعوا من تتبع الاثار وقالوا لو كان احد فى الغار لما كانت هذه الاثار حتى قال واحد منهم لامية بن خلف ندخل الغار فقال امية ما تصنع فى الغار وان عليه عنكبوتا كانت قبل ميلاد محمد سيد الابرار

وقاية الله اغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

لما كان هذا المقام مظنة ان يتوهم بان الهجرة والاختفاء فى الغار غير لائق بشان النبى المختار بل اللائق بشانه ان يلبس الدرع ويتحصن فى قلعة ويحارب مع الكفار دفعه بقوله وقاية الله اغنت الخ مع الاشارة الى ان هذا ابلغ فى الاعجاز مع المقاومة معهم لان فيه تنبيها على كونهم فى غاية الضعف ونهاية الهلاك حيث كان اوهن البيوت مقابلا لهم ومانعا من مطلوبهم وانهم فى غاية الحماقة ونهاية البلادة حيث لم يفهموا من الاثار كونهما فى الغار ثم ان الوقاية بمعنى الحفظ مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف اى وقاية الله اياه اعنى الرسول عليه السلام واغنت ضميره راجع الى الوقاية اى جعلت الرسول غنيا عن المضاعفة من الدروع والمضاعفة اسم مفعول من ضاعف يضاعف والتضعيف ضم شئ الى شئ فان قلت ان الله حفظه وجعله مستغنيا عن اصل درع فما فائدة اتيان المضاعفة قلت فى اتيانها الاشارة الى شدة الكفار وكثرتهم يعنى اشارة الى انه لو قوبل معهم وحورب بهم يحتاج الى دروع كثيرة وقلعة مرتفعة اونقول ان فى البيت سلوكا الى مسلك برهانى وهو ان يذكر الدعوى المشتملة على دليلها وههنا كذلك حيث كان هذا البيت فى تقدير وقاية الله اغنته عن مضاعفة من الدروع لان وقاية الله اغنته عن درع واحدة وكل ما اغنى عن مضاعفة به ينتج المطلوب ومن الدروع

حال من المضاعفة وهى جمع درع وهو ما يلبس فى الحرب وعن عال عطف على عن مضاعفة اى عن مرتفع وعال اصله عالى حذفت الياء للضرورة ويجرى القياس السابق فى هذا ايضا والاطم بضمتين جمع اطمة وهو بمعنى القلعة الحصينة والمعنى حفظ الملك الجبار نبيه المختار وجعله مستغنيا عن الدروع والاسلحة المتعددة وعن الحصون العالية المرتفعة وجعل الغار له بقدرته بمنزلة الحصن الحصين وصير نسج العنكبوت فى قوة الدرع المتين فان قلت ما الحكمة فى هجرته عليه السلام الى المدينة واقامته بها الى ان انتقل الى ربه عز وجل قلت ان حكمة الله قد اقتضت انه عليه السلام تتشرف به الاشياء فلو بقى فى مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ كان تشريف مكة بالخليل واسمعيل عليهما السلام فاراد الله ان يظهر شرفه عليه السلام فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به حتى اجمعوا ان الموضع الذى ضم اعضاءه الكريمة افضل من جميع البقاع ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه من كان فى ارض مخوفة من الوحوش فليقرأ سبعا وتسعا وليجعل فى اطرافه دائرة فان تلك الوحوش لا تضره ولا تدخل جوف تلك الدائرة قال الاستاذ طول الله بقاه وجعل آخرته خيرا من اولاه جربناه مرارا فوجدناه صادقا

ما سامنى الدهر ضيما واستجرت به * الا ونلت جوارا منه لم يضم

لما ذكر فيما تقدم محفوظيته عليه السلام ترقى الى بيان حافظيته فى الدنيا فقال ما سامنى الدهر الخ سامنى من السوم بمعنى اذاقة الشدة والمحنة ومنه قوله تعالى يسومونكم سوء العذاب وفى بعض النسخ ما ضامنى من الضيم بمعنى الظلم وعلى كلا التقديرين فالمعنى ما ظلمنى الدهر فان قلت كيف يسند الظلم الى الدهر وقد نهى عنه رسول الله عليه السلام حيث قال لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفى حديث ابى هريرة بلفظ ولا تقولوا خيبة الدهر وفى حديث آخر لا يسب احدكم الدهر قلت قوله فان الدهر هو الله فيه ثلاثة تأويلات الاول ان المراد بهذا القول اى المدبر للامور والثانى انه على حذف مضاف اى صاحب الدهر والثالث ان التقدير مقلب الدهر وقال بعضهم انه من الاسماء الحسنى وقد وقع فى القرآن حكاية وما يهلكنا الا الدهر وبالجملة ان النهى عن السب لكونه راجعا الى سب فاعله وخالقه ومن اراد هذا البحث على وجه الكمال فعليه بالرجوع الى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات للشيخ الاكبر ففى اسناد سام الى الدهر مجاز اى ما ابتلانى خالق الدهر وقوله ضيما مفعول مطلق من لفظ فعله على تقدير كون النسخة ما ضامنى ومن غير لفظه على تقدير كونه ما سامنى ووقع فى بعض النسخ يوما بالنصب على الظرفية والواو فى واستجرت حالية واستجرت من الاستجارة من قولهم استجار فلان من فلان اى طلب الخلاص والنجاة كما فى قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وقيل بمعنى الالتجاء والالتياذ ويجوز ان تكون الواو للعطف لكن الاول اولى ولا يرد عليه انه يلزم فى الماضى قد اذا كان حالا وهو غير موجود لانه اعم من الملفوظ والمقدر وههنا مقدر والباء فى به اما للسببية او للاستعانة

والضمير راجع اليه عليه السلام وفيه حذف مضاف اى بسبب مدحه عليه السلام والاستثناء مفرغ حذف فيه المستثنى منه اى ما ظلمنى الدهر مع انى ملابس بطلب خاص بسبب مدحه فى حال من الاحوال الا فى حال الوصول والواو فى ونلت لتأكيد اللصوق كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ونلت بمعنى وصلت والمراد من الجوار اما على حقيقته بان يراد الجوار فى الدنيا بالمؤالفة به عليه السلام والمصاحبة معه او يراد بالجوار الاستراحة والخلاص من جميع فتن الدنيا وهو المناسب لتعلق منه به وضميره راجع الى الضيم وقوله لم يضم صفة جوار وايراده لدفع توهم ناشئ من الاستثناء اذ استفيد منه كون الجوار من جنس الظلم فدفعه بقوله لم يضم ثم اعلم ان قوله الا ونلت يجوز ان يكون من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وان لم يتعرض له الشارحون بل كونه من هذا القبيل احسن لانه كدعوى الشئ ببينة كما لا يخفى على الفطن لا يقال انه لا حكم فى هذا المقام قبل الاستثناء حتى يكون قبله شئ مشابه للمدح فيؤكد لانا نقول هذا الكلام مبنى على ما ذهب اليه الشافعية من وجود الحكم قبل الاستثناء لان الناظم شافعى كما مر غير مرة وحاصل معنى البيت ما اذاقنى الله تعالى فى زمان من الازمان ضررا من امور الاكوان والحال انى قد التجأت اليه الا وقد نلت خلاصا ووجدت فيه مناصا لم يغلب ولم يظلم ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه اذا كتبه من يريد السفر فترك المصراع الاول فى داره مع اهله واخذ المصراع الثانى معه فسافر فهو يصل الى اهله باذن الله تعالى سالما من الآفات

ولا التمست غنى الدارين من يده * الا استلمت الندى من خير مستلم

لما بين فى البيت السابق حافظيته عليه السلام فى دار الدنيا اراد الترقى منها لبيان حافظيته فى الدارين فقال ولا التمست الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة سامنى وتكرير النفى للتأكيد ولا التمست على صيغة المتكلم من الالتماس وهو طلب المساوى من المساوى وهنا مستعمل بمعنى الطلب مطلقا اما تجريدا او حقيقة وغنى الدنيا انما يكون بالسعة والكفاية وفى الحديث ليس الغنى من كثرة العرض انما الغنى غنى القلب ويكون غنى الدنيا ايضا بصحة البدن والسلامة من بليات الدنيا وغنى الآخرة انما يكون بالفوز والنجاة من الجحيم والدخول فى جنة النعيم ولذا ورد فى الخبر اكثر اهل الجنة بله اى حمق لانهم يرضون بغنى الآخرة اعنى الجنة ولا يطلبون جمال الله قال تعالى فى التنزيل والله خير وابقى ومن يده متعلق بالتمست والمراد من اليد ذاته عليه السلام من قبيل ذكر الجزء وارادة الكل او اليد هنا بمعنى الطرف والجانب يقال حصلت المصلحة من يد فلان اى من طرفه وجانبه وفى الحديث وهم يد واحدة على من سواهم او بمعنى الاحسان ونعمه عليه السلام فيكون ايضا مجازا من قبيل اطلاق اسم ما هو بمنزلة العلة الفاعلية والصورية على المعلول والاستلام بمعنى الاخذ والندى العطاء كما فى قوله ولا فضل فيها للشجاعة والندى * وهو بالنصب مفعول استلمت وخير مستلم كناية عن رسول الله عليه السلام ومستلم يجوز ان يكون على صيغة اسم

الفاعل او المفعول وحاصل معنى البيت ماطلبت غنى الدنيا بالكفاية وغنى العقبى بالسلامة من احسانه وانعامه او من ذاته عليه السلام الا اخذت العطاء ونلت المنى من خير مستلم فكنت بسببه محفوظا من الآفات فى الدنيا ومن البليات فى العقبى عليه الصلاة فى كل صبح ومسا

لا تنكر الوحى من رؤياه ان له * قلبا اذا نامت العينان لم ينم

لما بين اوصافه الكاملة اراد ان يشير الى ان من اتصف بهذه الصفات والنعوت لا يستبعد ولا ينكر ان يكون قلبه مربوطا به تعالى لا يفارقه فى جميع الليالى والايام ولو كان عيناه فى المنام فقال لا تنكر الوحى الخ فتكون الاوصاف المذكورة كالعلة والدليل لهذا البيت فترتيب قياسه هكذا اذا كان نبينا عليه السلام متصفا بهذه الصفات فلا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لكن المقدم حق والتالى مثله فقوله ان له الخ كالعلة للتالى بان يقال لا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لانه كان له قلب اذا نامت العينان لم ينم فلا ينبغى انكارك الوحى من رؤياه لكن المقدم حق والتالى مثله ثم ان لا تنكر نهى حاضر من الانكار والخطاب عام لمن من شأنه ان يخاطب والوحى منصوب على انه مفعول لا تنكر والوحى يجيء فى اللغة على معان كالاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفى وفى العرف اعلام الله تعالى لانبيائه وهو اما ظاهر او باطن اما الظاهر فثلاثة الاول ما ثبت بلسان الملك فوقع فى سمعه بعد علمه بالمبلغ انه قطعى والقرآن من هذا القبيل والثانى ما وضع له باشارة الملك من غير بيان بالكلام كما قال عليه السلام روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب والثالث ما يبدى الله لقلبه فى رؤياه او فى عيانه بلا شبهة بالهام الله تعالى بان أراه بنور من عنده وكل ذلك حجة مطلقا بخلاف الهام الاولياء فانه لا يكون حجة على غير نفسه وقوله من رؤياه صفة للوحى اتى به للاحتراز عن وحيه الذى كان فى عيانه بواسطة جبريل فانه بديهى متواتر بين الانام فلا حاجة الى ذكره فى هذا المقام والرؤيا ما يراه الشخص فى منامه قال القاضى ابو بكر الرؤيا ادراكات يخلقها الله تعالى فى قلب العبد النائم على يدى ملك او شيطان وفى الحديث ان رؤيا المؤمن كلام يكلمه ربه فى المنام ثم اعلم ان الرؤيا اما صادقة وهى ثلاث تبشير يبشره الملك الموكل على الرؤيا بما يسره من الاخروى او الدنيوى وتحذير يخوفه مما يبعده عن الطاعة ويقربه الى المعصية والهام يلهمه ما هو تقع محض كالحج والتهجد واما كاذبة وهى ايضا ثلاث رؤيا همة وهى ما تخيلها فى اليقظة فليس لها اعتبار ورؤيا علة ناشئة من الامراض فليس لها اعتبار ايضا ورؤيا بالشيطان وهى اضغاث احلام هذا فى رؤيا غير الانبياء واما رؤياهم فكلها صادقة بل وحى يجب العمل بها وقوله ان له علة للنهى وضميرله راجع اليه عليه السلام وقلبا بالنصب على انه اسم ان والتنوين للتعظيم وجملة اذا نامت صفة قلبا والضمير الفاعل فى لم ينم راجع الى القلب وحاصل المعنى لا تنكر ايها المنكر ولا تستغرب ايها المقر الوحى الربانى والالهام الصمدانى الحاصل من رؤياه فى المنام لان له عليه السلام

قلبا اعظيما وصدرا كريما اذا نامت عيناه لم ينم قلبه فى رؤياه وفى البيت تلميح قريب الى قوله عليه السلام ان عينى تنامان ولا ينام قلبى والى قوله عليه السلام الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية ابى هريرة جزء من خمسة واربعين جزأ ومن حديث عمر جزء من سبعين جزأ وعن انس جزء من ستة وعشرين جزأ وفى رواية من اربعة وعشرين جزأ وفى تأويل الرواية الاولى قال بعض اهل العلم ان الله اوحى الى نبيه فى المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك فى اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحى فى المنام جزء من ستة واربعين جزأ لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين كما سيجيء فتأمل ثم اعلم ان الحديث الاول اعنى قوله ان عينى الخ اعترض عليه بانه مخالف لما وقع فى الوادى من نومه عليه السلام الى ان طلعت الشمس وفاتته صلاة الفجر لانه لو كان قلبه غير نائم لم تفت الصلاة منه عليه السلام واجيب عنه اولا بان الحديث مقيد بغالب الاوقات فلا ينافى ما وقع منه نادرا لحكمة ومصلحة من تأسيس سنة واظهار شرع كما قال عليه السلام لو شاء الله لا يقظنا ولكن اراد ان تكون سنة لمن بعدكم وثانيا بانه لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه فى النوم وليس فى قصة الوادى الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وله اجوبة اخر تركناها واعترض على الحديث الثانى اعنى قوله الرؤيا الحسنة الخ بان النبوة قد انقطعت بوفاته عليه السلام فلا معنى لكون الرؤيا جزأ من النبوة اجيب اولا بانه ان وقعت منه عليه السلام فهو جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غيره عليه السلام فهو على سبيل المجاز وثانيا بان معنى الحديث جزء من علم النبوة فانها وان انقطعت فعلمها باق وثالثا بانه عليه السلام لم يرد بانها نبوة باقية بل اراد ان الرؤيا تشبه النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب والتشبيه بشئ لا يستلزم ثبوت وصفه فاحفظ ما تلونا عليك من الكلام فانه ينجيك من اكثر ما كان من مزالق الاقدام والحمد لله المفضل المنعام

فذاك حين بلوغ من نبوته * فليس ينكر فيه حال محتلم

لما توهم ان يقال ان رؤياه عليه السلام لو كانت وحيا لكان رؤياه التى رآها قبل النبوة وحيا ايضا مع انه ليس كذلك لان الوحى انما يطلق على ما وقع بعد النبوة والبعثة دفعه فقال فذاك حين بلوغ الخ فالفاء للتفصيل وذا اشارة الى كون رؤياه وحيا فذاك مبتدأ خبره محذوف اى واقع حين فحين ظرف لذلك المحذوف والبلوغ بمعنى الوصول وتنوينه عوض عن المضاف اليه اى حين بلوغه عليه السلام والنبوة من النبأ بمعنى الخبر والمراد بها ههنا سفارة بين الله وبين اولى الالباب لازاحة عللهم ولم يقل من رسالته للاشارة الى ان كون الرؤيا وحيا غير مختص بالرسول بل يوجد فى كل من الانبياء اولغير ذلك فافهم والفاء فى فليس جزائية وليس بمعنى لا وينكر على صيغة المجهول من الانكار وفيه متعلق بينكر والضمير الى البلوغ من النبوة وحال محتلم بالرفع على انه نائب فاعل لينكر والمحتلم بفتح اللام بمعنى من يدرك خياله فى النوم والمراد به رسول الله عليه السلام

اوبكسر اللام على انه اسم فاعل بمعنى البالغ العاقل وحاصل معنى البيت ان ذلك الوحى الذى كان فى رؤياه فى ابتداء نبوته وفى بدء ورود رسالته فاليس ينكر فى ذلك الزمان وبلوغ ذلك الاوان حال بالغ مبلغ الرجال موصوف باوصاف الكمال من دعوى الوحى فى المنام فانه من مقدمات الوحى الحقيقى له عليه السلام فان قلت لم ابتدئ عليه السلام بالوحى المنامى ولم يجئ له وحى ظاهرى اولا قلت لانه لو جاء اليه الملك بالوحى الظاهرى بغتة لاحتمل ان لا تتحمله القوى البشرية فبدئ باوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة بخلاف سائر الانبياء فانهم كانوا يعرفون نزول الوحى من تعليم كتب الاسلاف ونبينا عليه السلام لم يقرأ حرفا من كتب سائر الانبياء المتصفين بالاوصاف عليهم الصلاة عدد الكاف والقاف

تبارك الله ماوحى بمكتسب * ولا نبى على غيب بمتهم

لما توهم من البيت السابق ان يسئل بانه لم تكن رؤياه فى جميع اوقاته وحيا واخر الى سن الاربعينية ولم لم يكتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم النبوة فى حاله الاولى دفعه مشيرا الى ان الوحى والنبوة بمحض عناية الله تعالى لا بالكسب واخبارهم عن المغيبات انما هو باعلام الله فقال تبارك الله ماوحى الخ تبارك الله للتعجب وتبارك من البركة وهو كثرة الخير ومعناه تزايد على كل شئ وتعالى وتعاظم فى صفاته وافعاله قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة يروى ان الصاحب بن عباد كان يتردد فى معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل اين المتاع ويجيب ابنها الصغير بقوله جاء الرقيم واخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنهم وعرف ان الرقيم الكلب وان المتاع هو ما يبل بالماء فيمسح به القصاع وان تبارك بمعنى صعد وقيل معنى تبارك دام دواما ثابتا لا انتقال له ولهذا لا يقال يتبارك مضارعا لانه للانتقال قال فى البرهان ان هذه لفظة لا تستعمل الا الله ولا تستعمل الا بلفظ الماضى انتهى وانما خص ذكره بهذا الموضع لان ما بعده امر عظيم وقوله ماوحى بمكتسب الخ اى لم يكن وحى اصلا فى زمان من الازمنة بكسب كاسب لان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فى اى وقت شاء فان قلت لو كان الوحى والنبوة من فضل الله من غير كسب لكان من الصفات الجبلية لا الاختيارية ولو لم يكن من الصفات الاختيارية لا يكون مدحا فلا يجوز للناظم الفاهم ذكره فى سلك الاوصاف والامداح قلت المدح قد يتعلق بغير الاختيارى بناء على ان الحمد والمدح مترادفان كما هو مذهب صاحب الكشاف والسيد تأمل وقوله ولا نبى عطف على وحى ونكر بالنفى للتاكيد وهذا القول لدفع توهم بعض القاصرين من ان غير الله لا يعلم الغيب فلا يجوز اخبار الانبياء عن الغيب وقوله على غيب متعلق بمتهم ولا يرد انه لا يجوز تعلقه به لعدم جواز تقديم ما فى حيز الجار عليه لانا نقول ان هذا فى غير الظرف وفيه يغتفر ما لا يغتفر فى غيره على انه يجوز ان يكون تقديمه لضرورة الشعر والمتهم على صيغة اسم المفعول بمعنى المحمول على التهمة والكذب وحاصل معنى البيت تبارك الله وتعالى وتعاظم فى ذاته وصفاته فسبحان الله لم يكن وحيه اصلا حاصلا

بالاكتساب ولا بتحسين القول والخطاب بل موهبة من الله وعطية من الاله ولا يجوز حمل نبى ثبتت نبوته وتحققت معجزته على التهمة فيما يأتى من المغيبات واخبار امور الكائنات فان من كان نبيا لا ينطق عن الهوى بل ما قوله الا وحى يوحى وفى البيت تلميح الى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) الآية وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) على قرآءة الظاء وهو المشهور عند اهل التفسير كما لا يخفى على من القى السمع وهو بصير

كم ابرأت وصبا باللمس راحته * واطلقت اربا من ربقة اللمم

لما استفيد من البيت السابق ان الوحى والبعثة انما هو من فضل الله يؤتيه من يشاء ويعلم حيث يجعل رسالته توهم ان يسأل سائل عن حكمة البعث وفائدة الوحى فقال مشيرا الى فائدته كم ابرأت وصبا باللمس راحته الخ يعنى ان الحكمة والمصلحة فى بعثه عليه السلام ابرآء المرضى من مرضهم الباطنى الذى طبه ومعالجته مخصوص به عليه السلام ولا سبيل الى حصوله الا من جهته عليه السلام فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وباسمائه وصفاته واحكامه وافعاله وان تكون مؤثرة برضاه ومحابه بمحبته وساخطة بمناهيه وقابلة لاوامره ولا سبيل الى تلقى ذلك الا من جهة سيدنا محمد عليه السلام وكذا ابرآء المرضى من مرضهم الظاهرى الذى يكون فى ظاهر الجسد وباطنه كما سيذكر ان شاء الله تعالى ثم ان كم ههنا خبرية لان قائلها مخبر ومدخولها خبر بخلاف الاستفهامية لانها بالعكس فظهر ضعف قول من قال انها استفهامية فالمعنى كثيرا ما ابرأت وهو من الابرآء بمعنى الازاحة والازالة ووصبا يروى بفتح الصاد وكسرها فعلى الاول يكون بمعنى المرض مطلقا فالمعنى كثيرا ما ابرأت راحته امراض المرضى وعلى الثانى يكون بمعنى صاحب المرض فحينئذ يكون المعنى كثيرا ما ابرأت صواحب المرض من امراضهم والباء فى باللمس سببية متعلقة بابرأت وراحته بالرفع فاعل ابرأت والضمير له عليه السلام والراحة بمعنى داخل الكف فحاصل المعنى كثيرا ما كان المرضى بريئين من مرضهم بسبب راحته المباركة الشافية ثم اعلم انه يجوز ان يكون المراد من اللمس اللمس الحقيقى كما ثبت فيما روى ان ابا جهل قطع يوم بدر يد معوذ بن عفرآء فجاء يحمل يده فاخذها رسول الله عليه السلام والصقها فالصقت كالاول وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح عليه السلام صدره فقاء فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى وايضا تفل فى عين على وكان قد رمد رمدا شديدا فاصبح بارئا ومثل ذلك كثير وفير ولا يلزم علينا ذكر جميع ما ورد فى الخبر الشهير ويجوز ان يكون المراد من اليد المستفادة من الراحة ذاته عليه السلام وباللمس لمسه المعنوى وهو كونه وسيلة الى دوآء المرضى وكونه لهم شفاء كما كان دوآء لدآء اهل الشقاء وهذا غير مخصوص بزمانه عليه السلام كالاول بل هو باق الى يوم القيامة لانه لو ربط احد قلبه به عليه السلام وصلى عليه ودعا الله ان يجعله وسيلة له لكان البتة باذن الله لدآئه دواء وقد وقع مثله من اكابر العلماء والاولياء قال فى المواهب

نقل عن القشيرى ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف على الموت واشتد عليه الامر قال فرأيت رسول الله عليه السلام فى المنام فشكوت اليه ما بولدى فقال اين انت من آيات الشفاء فانتبهت فتفكرت فيها فاذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله تعالى (ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما فى الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرءآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) قال فكتبتها ثم محوتها بالماء وسقيته اياها فكانما نشط من عقال وقال ابو بكر الرازى كنت باصبهان عند ابى نعيم فقال له شيخ ان ابابكر بن على قد سعى به عند السلطان فسجن فرأيت النبى عليه السلام فى المنام وجبرائيل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح فقال لى النبى عليه السلام قل لابى بكر يدعو بدعاء الكرب الذى فى صحيح البخارى حتى يفرج الله عنه قال فاصبحت فاخبرته فدعا به فلم يمكث الا قليلا حتى اخرج ودعاء الكرب ما رواه الشيخان وهو قوله عليه السلام (لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموت والارض ورب العرش الكريم) ويقول هذا الفقير المعترف بالعجز والتقصير وقع ايضا فى زماننا مثل ما ذكرناه وهو انه كان لاستاذنا العلامة زوجة ابتليت بمرض فى قلبها كانت لا تسكن اصلا فى كل صباح ومساء الا وتصيح بصوت رفيع حتى سئم منها جيرانه فاخذ دوآء من اطباء كثيرين وما نفعها فقال لى الاستاذ يوما اكتب منا كتابا الى روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى يكون شفيعا لهذا الدآء فكتبت اليه عليه السلام كتابا زينته اولا بالصلاة والسلام ووصفته بكونه شفيعا الامراض لا تحصى ورجوت فى آخره منه الدوآء والاستشفاء لهذا الدآء فارسله الاستاذ مع الحجاج الى روضته فحسبنا الايام الى اليوم الذى وصلت الحجاج فيه الى المدينة فانقطع صوتها ومرضها فى بيته فحمدنا الله حمدا كثيرا وقوله واطلقت عطف على ابرأت اى كثيرا ما اطلقت الاطلاق التخلية والعفو والاخلاص من القيد والارب بكسر الرآء بمعنى صاحب الاحتياج ومن ربقة متعلق باطلقت والربقة بالكسر حبل له عقدة يشد به البهائم واللمم بفتحتين صغار الذنوب لكن اريد به ههنا مطلق الذنب بقرينة ان المقام مقام المبالغة ثم انه يجوز ان تكون اضافة الربقة الى اللمم بمعنى اللام فيكون المعنى كثيرا ما اطلقت راحته عليه السلام صاحب احتياج من قيد لاجل ذنبه سوآء كان ذنبه ظاهريا فيكون على هذا اشارة الى اطلاقه عليه السلام اسارى الكفار من ربقتهم حين شدهم المؤمنون فى الغزاة او ادعائيا فيكون اشارة الى ما روى عن ام سلمة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحرآء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع قال عليه السلام اوتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها عليه السلام فانتبه الاعرابى وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحرآء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وغير ذلك

ويجوز

ويجوز ان يكون من اضافة المشبه به الى المشبه اى من لمم كالربقة يعنى انه عليه السلام قد اطلق صواحب الحاجات من لممها الذى كالربقة اذ كما ان الربقة تمنع الحيوان من وصوله الى مطلوبه كذلك اللمم يمنع الانسان من وصوله الى مطلوبه فيلزم الاطلاق اذ الوصول الى المقصود لا يكون بالقصد والنحو بل لا بد من رفع العصيان والمحو وهو انما يكون به عليه السلام

واحيت السنة الشهباء دعوته * حتى حكت غرة فى الاعصر الدهم

لما ذكر تأثير دعائه عليه السلام فى الارض شرع فى بيان تأثير دعائه فى السماء فقال واحيت السنة الشهباء الخ الواو عاطفة والجملة معطوفة على اطلقت واحيت من الاحياء ضد الاماتة والسنة بالنصب مفعول احيت بمعنى العام والجدب والشهباء بالنصب صفة السنة وهى مؤنث اشهب وهو الفرس الذى غلب عليه البياض والسنة الشهباء كناية عند العرب عن السنة التى لا ماء فيها ولا كلأ والمراد باحيائها انبات النباتات واحداث نضارتها ففى هذا المقام مجاز واستعارة وهو اما ان يكون فى احيت استعارة تبعية بان شبه تزيين الارض بالنباتات واحداث نضارتها بالاحياء فى الانتفاع مطلقا ثم استعير الاحياء لتزيين الارض واحداث نضارتها ثم اشتق من الاحياء احيت ومن التزيين زينت او من الانبات انبتت فذكر احيت واريد زينت او انبتت واما ان يكون فى السنة الشهباء استعارة بالكناية بان شبه السنة الشهباء فى الذهن بالموتى فى عدم الانتفاع ثم استعير الموتى فى الذهن لمفهوم السنة الشهباء وفى الخارج ذكر السنة الشهباء واريد نفسها ثم اثبت الاحياء الذى هو من ملائم المشبه به للسنة الشهباء فكان استعارة مكنية وتخييلية وعلى كلا التقديرين يكون اسناد احيت الى دعوته مجازا من اسناد الشئ الى سببه اذ المحيى والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى وضمير دعوته راجع اليه عليه السلام وحكت بمعنى شابهت كما فى قوله

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

والضمير المستتر فيه راجع الى السنة وجعله راجعا الى الدعوة دعوى بلا دليل كما لا يخفى عن من له عقل قليل والغرة بالنصب مفعول حكت والغرة بياض قدر الدرهم فى جبهة الفرس وفى الاعصر متعلق بحكت والاعصر جمع عصر وهو الدهر والزمان والدهم بضمتين جمع ادهم وهو بمعنى الاسود مثل ما فى قول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب * حين قال له الحجاج لاحملنك على الادهم ثم ان وجه الشبه فى تشبيه السنة بالغرة قلة البياض يعنى كما كانت الغرة بياضا قليلا فى الفرس الاحمر والاسود كذلك كانت تلك السنة قليلة البياض اعنى قليلة الخلو من النباتات او الحسن والضياء كما لا يخفى على اولى النهى وفى الاعصر الدهم استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية بان شبه السنون الجدباء فى الذهن بالفرس فى كونهما غير مقبولين فاستعير ذلك الفرس لمفهوم تلك السنين فذكر فى الخارج ما يدل على تلك السنين واريد تلك ثم اثبات الغرة تخييل وذكر الدهم ترشيح والبيت اشارة الى ما روى

عن انس انه قال اصابت الناس سنة جدب على عهده عليه السلام فبينما النبى عليه السلام يخطب فى يوم الجمعة قام اعرابى فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه ومانرى فى السماء سحابا ولا قزعة فوالذى نفسى بيده ماوضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الاخرى فقام رجل وقال يا رسول الله هدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادى قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الاحدث بالجور وهذه الواقعة مشهورة شائعة معروفة

بعارض جادا وخلت البطاح بها * سيبا من اليم اوسيلا من العرم

فلما كان احياء دعائه عليه السلام السنة الشهباء مظنة ان يسئل انه هل كان احياؤه عليه السلام بسبب المطر اوبلا سبب بل بمعجزة اخرى اجاب عنه فقال بعارض جاد الخ الباء متعلق باحيت اوحكت ميزهما واختراعهما والعارض بمعنى السحاب وجاد من الجود بفتح الجيم بمعنى المطر الشديد الذى لا يكون فوقه مطر وضميره المستتر راجع الى العارض فيكون المعنى بسبب سحاب امطر مطرا شديدا لامطر فوقه ومن لم يكن له خبرة بكتب اللغة جعله من الجود بضم الجيم وجعل فى العارض استعارة بالكناية اوجعل فى جاد استعارة تبعية والقوم صرحوا بانه مهما امكن الحقيقة فى مقام لا يصار فيه الى المجاز فتأمل فيه فانه للافهام مجاز واوفى اوخلت بمعنى الى وخلت من الخيال بمعنى الظن والحسبان وهو على صيغة الخطاب والخطاب عام والبطاح جمع ابطح اوبطحاء وهو مسيل واسع للماء والمراد اودية المدينة ومكة وما حواليهما والباء فى بها للسببية متعلق بخلت والضمير راجع الى العارض وتأنيثه باعتبار كون السحاب مؤنثا سماعيا وسيبا بالنصب مفعول ثان لخلت والسيب على وزن الغيب بمعنى الجرى ومن اليم ظرف مستقر صفة السيب واليم بفتح الياء البحر بالسريانية وقد عربته العرب ويجوز ان يكون السيب بمعنى العطاء قال فى القاموس يقال فاض سيبه على الناس اى عطاؤه فعلى هذا يكون فى اليم استعارة مصرحة فتأمل ووقع فى بعض النسخ سيب بالرفع على انه مبتدأ وخبره قوله من اليم وكذلك قوله سيلا وهو بمعنى الماء المجتمع الجارى بغتة من كثرة المطر وفى الحديث اللهم انى اعوذ بك من السيل والبعير الصؤول والعرم بفتح العين وكسر الراء بمعنى المطر الشديد او اسم وادى ببلدة سبأ فانه كان يجيء عليهم منه سيل عظيم وعلى كل من التقديرات فالبيت كناية عن كثرة الامطار فى تلك السنة وفى هذا البيت صنعة تلميح الى قصة اولاد سبأ وسيل العرم وسبأ اسم لحى سموا باسم الاب الاكبر لانهم من اولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكانوا فى بلدة يقال لها مأرب فى ارض اليمن وكان هنالك واد عظيم يقال له العرم يجيء منه عليهم سيل عظيم ويهدم ابنيتهم فلما كانت بلقيس ملكة على تلك البلدة جمعت حديدا وحجرا كثيرا فبنت امام ذلك الوادى سدا عظيما

ووضعت انقابا ومیازيب فى اعلاه واوسطه واسفله فاتخذ اهل تلك البلدة فى اسفل الوادى عن يمين البلدة وشمالها جنانا كثيرة فكانت فى كثرة النعمة والفواكه آية من آيات الله تعالى حتى ان المرأة كانت تجعل الزنبيل على رأسها وتمر بين الاشجار ولا تحرك شجرا ولا تقطف ثمرا فيمتلىء الزنبيل من كثرة الفواكه وكانت بلدتهم طيبة ليست بسبخة ولم يكن يرى فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ولا وباء واذا دخل المسافر فيها كان يموت ما عليه من البرغوث والقمل فقد كانت سعادة النشأة الاولى حاصلة لهم فلم يشكروا الله تعالى بل قالوا لا نعرف لله علينا نعمة فارسل الله اليهم ثلاثة عشر رسولا وقيل نبيا فذكروا لهم نعم الله وقالوا اشكروا له فلم يسمعوا مواعظهم فسلط الله على سدهم فارة عمياء فنقبت احجار ذلك السد وكان الوادى ممتلئا كالبحر فانهدم السد فهجم الماء على بيوتهم وجنانهم فخربت وغرقوا جميعا باولادهم واموالهم وفى المثل تفرقوا ايدى سبا وايادى سبا فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

دعنى ووصفى ايات له ظهرت * ظهور نار القرى ليلا على علم

لما ورد على الناظم الفاهم سؤال ناشئ مما ذكره من اوصافه ومعجزاته بانه لا حاجة الى بيانك لتلك الاوصاف لانها كانت كالشمس فى الظهور ولا حاجة الى تعريف الشمس اجاب عنه فقال دعنى الخ دعنى امر من ودع يدع بمعنى اتركنى ووصفى مفعول معه من دع اى مع وصفى والوصف بمعنى اصل المصدر لا الحاصل بالمصدر مضاف الى فاعله ومفعوله آيات وهى جمع آية بمعنى العلامات والمعجزات وقوله له اما متعلق بظهرت اوظرف مستقر صفة الايات اومتعلق بوصفى والضمير راجع اليه عليه السلام اى لاثبات حقيقة محمد عليه السلام والضمير المستتر فى ظهرت راجع الى الايات وقوله ظهور بالنصب مصدر نوعى لظهرت والقرى بكسر القاف والقصر بمعنى الضيافة والعلم بفتحتين بمعنى الجبل كما فى قوله

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

وليلا ظرف لظهور وعلى متعلق ايضا به وكان من عادة اسخياء العرب ايقاد النار فى رأس الجبل ليراها ابناء السبيل ويأتون اليها ويقضون عندها حاجتهم من الاكل والشرب وغير ذلك وتشبيه الايات بها فى الظهور والاعلان كما لا يخفى على اهل الاذعان وحاصل معنى البيت اتركنى ايها الناصح بالاختصار فى الكلام لانه يجر الى الملال والسأم فان ذكر الحبيب لا يشبع منه اللبيب فخلنى مع وصفى له عليه السلام بايات بينات وعلامات واضحات ظهرت وكشفت ظهورا بينا فى الافاق فى وقت ظلمة الجهل بمحاسن الاخلاق مثل شعاع نار الضيافة على رؤس الجبال للعلامة فى الليل التى كانت ظلمته فى نهاية الكمال لحضور المحتاجين ووصول المشتاقين من ابناء السبيل والمسافرين ودفع احتياجهم من الكرام والحمد لله الملك العلام

فالدر يزداد حسنا وهو منتظم * وليس ينقص قدرا غير منتظم

لما كانت الدعوى المستفادة من قوله دعنى الخ اى يلزم لك تركى مع بيانى اوصافه وآياته وعدم السؤال عنى مجردة اراد ان يعللها ويثبتها فقال فالدر الخ فالفاء للتعليل فيمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال يلزم لك تركى مع بيانى آياته لانه يلزم ترك من يبينها بالحسن والشرف وانا ابينها بالحسن والشرف ينتج يلزم لك تركى مع بيانى آياته والكبرى نظرية فاثبتها بقولى فالدر اى اقول انا ابين تلك الايات بالحسن والشرف لانه لما كانت آياته كالدر الذى يزداد حسنه وهو منتظم وليس ينقص قدرا غير منتظم كنت ناظما لتلك الايات فانا ابينها بالحسن والشرف لكن المقدم حق والتالى مثله ثم اعلم ان الدر مبتدأ وهو اللؤلؤ المخرج من صدفه وجملة يزداد خبر المبتدأ وحسنا تمييز من نسبة يزداد والواو فى وهو للحال فالمبتدأ مع خبره جملة والجملة حال من فاعل يزداد ومنتظم على صيغة اسم الفاعل من النظم بمعنى جمع اللؤلؤ فى السلك ففيه تجريد كما لا يخفى وحاصل المعنى ان آياته كالدرر اذ الدرر يزداد حسنها بالانتظام كذلك معجزاته عليه السلام يزيد حسنها بالانتظام وجعلها ابياتا اذ النظم لباس الكلام فكما ان المحبوب يزيد حسنه بلباس فاخر كذلك الكلام يزيد حسنه بلبسه نظما ولان فى الشعر حكمة كما ورد فى الحديث ولان النظم قريب الى الحفظ ولان فى قرآءة الابيات يحصل للقلوب سرور ونشاط وقوله وليس ينقص قدرا الخ دفع لتوهم نشأ من الكلام السابق من انه لا حسن لبيان وصفه عليه السلام بغير النظم فالواو للحال وضمير ينقص راجع الى الدر المراد منه الايات وحسنا تمييز من فاعل ينقص والمعنى والحال ان آياته صلى الله عليه وسلم لا ينقص حسنها باتيانها بلا نظم اذ الشرافة والحسن فى اصلها فبالنظم يزيد حسنها على وجه الكمال وبلا نظم تبقى فى اصل حسنها بلا زوال

فما تطاول آمال المديح الى * ما فيه من كرم الاخلاق والشيم

لما نشأ من البيت السابق من مدح نظمه تزكية نفسه وايهام ارادة جميع مدائحه عليه السلام مع انها لا تعد ولا تحصى بالمداد والاقلام اراد دفعه فقال فما تطاول آمال الخ كلمة ما للاستفهام الانكارى او التعجبى وتطاول اى مد عنقه مريد الاطلاع عليه والآمال جمع امل وهو الرجاء والمديح اما بمعنى المادح فالمعنى فيا عجبا او كان بعيدا تطاول رجاء المادح الى اوصافه عليه السلام او بمعنى الممدوح فتكون اضافة الامال اليه بحذف المضاف اى آمال اصحاب الممدوح وهم المداح فالمعنى فيا عجبا او كان بعيدا تطاول آمال مداح الممدوح الى اوصافه عليه السلام والى متعلق بتطاول وما موصول وفيه ظرف مستقر صلته ومن بيانية واضافة الكرم الى الاخلاق من اضافة الصفة الى الموصوف اى الاخلاق الكريمة والمراد من الاخلاق الخصال الكسبية والشيم بكسر الشين وفتح الياء جمع شيمة وهى الخلق والعادة والمراد بها الاخلاق الضرورية الوهبية ومآل البيت بيان عجزه عن عد اوصافه عليه السلام وبيان كثرة آياته

ايات حق من الرحمن محدثة * قديمة صفة الموصوف بالقدم

لما بين فى الابيات السابقة كونه واصفا لاياته عليه السلام ومبينا لها على احسن انتظام وغنى من المخاطب ترك الكلام فى حقه باللوم والملام فكانه قال قائل له فينبغى ان تبين منها ما هو المشهور والاوضح عند الانام وهو القرءآن الباقى الى يوم القيام توجه الى قوله وشرع فى البيان فقال آيات حق الخ آيات بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى ابهر المعجزات آيات حق او القرءآن آيات حق او غير ذلك او مبتدأ خبره محذوف اى آيات حق منزلة او بالنصب على انها عطف بيان لايات فى قوله دعنى ووصفى آيات او على المدح والايات جمع آية وهى طائفة من القرءآن منقطعة عما قبلها وما بعدها سميت بها لانها علامة على صدق من أتى بها وقيل لانها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام عما بعدها واضافتها الى الحق بيانية ان كان الحق صفة مشبهة من حق بمعنى ثبت ولامية ان كان مصدرا ويجوز ان يكون المراد من الحق واجب الوجود تعالى شأنه فيكون اسما له تعالى والاضافة حينئذ لامية ايضا اى الايات المخصوصة للحق تعالى فعلى هذا يكون ذكر الرحمن تبركا باسمه الرحمن فان قلت لم اختار الرحمن من بين اسمائه تعالى وهى الغفار والرزاق والعلام والستار قلت اشارة الى ان فى انزال القرءآن رحمة عامة الى جميع الخلائق حتى الكفار كما لا يخفى ومحدثة بالرفع خبر بعد خبر يعنى ايات الله الحقة منزلة محدثة وهى اسم مفعول من احدث وضميره راجع الى الايات لكن باعتبار الفاظها وهى المكتوب فى المصاحف المقروء بالالسن المحفوظ فى الصدور وقوله قديمة خبر بعد خبر اى الايات محدثة قديمة لا يقال هل هذا الا جمع بين النقيضين لانا نقول الحادث هو الفاظ القرءآن والقديم معناه لان الكلام اثنان كلام لفظى وكلام نفسى كما قاله الاخطل

ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالحادث كلام لفظى والقديم كلام نفسى قائم بذاته تعالى اعلم ان فى كلام الله تعالى سبعة مذاهب الاول ما ذهب اليه الاشاعرة من ان كلامه اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف حادث ونفسى قائم بذاته قديم ليس بحرف ولا صوت بل هو المعنى فقط وان فى مذهبهم يجوز سمع ذلك المعنى الذى هو الكلام النفسى والثانى مذهب ابى منصور الماتريدى وهو ايضا ان كلامه اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف حادث ونفسى قائم بذاته قديم ليس بحرف ولا صوت بل هو المعنى فقط والفرق بين الاول وبين هذا المذهب انه لا يجوز فى هذا المذهب سمع كلامه النفسى اصلا بل المسموع هو الكلام اللفظى كذا فى البداية والثالث مذهب بعض المتأخرين وهو صاحب المواقف ومن تلا تلوه وهو ان كلامه اثنان لفظى مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور وهو حادث وكلام نفسى قديم عبارة عن لفظ ومعنى لكن بلا ترتيب والرابع مذهب الجلال الدوانى من انه اثنان لفظى قائم بالمصاحف والصدور وهو حادث ونفسى قائم به تعالى قديم عبارة عن لفظ ومعنى مع ترتيب علمى والخامس مذهب الحنابلة من ان كلامه تعالى فى الحقيقة واحد مركب من حروف واصوات قديم الى ان قال بعضهم بقدم

الجلد والغلاف فهم ينكرون الكلام النفسى والسادس مذهب المعتزلة وهو ان كلامه واحد مركب من حروف واصوات حادثة لكن ليس بقائم بذاته تعالى بل بالغير كاللوح وفؤاد جبريل والنبى وشجرة موسى والسابع ماذهب اليه الكرامية من انه كلام واحد مركب من الحروف والاصوات حادث لكن قائم به تعالى فالفرق الثلاث ينكرون الكلام النفسى وتفصيل الكلام فى كتب الانام كالبداية والتوحيد وبحر الكلام والابانة والكفاية والاحكام كما لا يخفى على اولى التبصرة والتذكرة ففى قول الناظم النحرير محدثة رد على الحنابلة وفى قوله قديمة رد على الكرامية وفى قوله قديمة مع قوله صفة الموصوف بالقدم رد على المعتزلة كما لا يخفى فقوله صفة الموصوف خبر بعد خبر وهو فى المعنى علة لكون الايات اى معانيها قديمة فيمكن ان يرتب هنا قياس بان يقال الايات اى معانيها قديمة لانها صفة الموصوف بالقدم وكل شئ شانه كذا فهو قديم ينتج المطلوب ولا تتوهمن ان ما هو صفة لله تعالى ما كان حادثا لانه مخالف للمشهور فيما بين الاشعرى وابى منصور

لم تقترن بزمان وهى تخبرنا * عن المعاد وعن عاد وعن ارم

لما بين ذات الايات اراد ان يبين بعضا من معجزاتها واوصافها فقال لم تقترن الخ مع مناسبة تامة حيث جعل قوله لم تقترن علة اخرى لكون الايات اى معانيها قديمة او علة لكونها صفة الموصوف بالقدم وهو الظاهر فيمكن ان يرتب ههنا قياس بان يقال الايات قديمة او الايات صفة الموصوف بالقدم لانها لم تقترن بزمان الخ وكل شئ شانه كذا فهو قديم او صفة الموصوف بالقدم فينتج المطلوب ثم ان جملة لم تقترن صفة بعد صفة لايات او حال من فاعل قديمة وهو من المقارنة وبزمان متعلق بلم تقترن والزمان عند المتكلمين عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم وعند الحكماء عبارة عن مقدار حركة الفلك الاعظم ثم اعلم ان الايات التى لم تقترن بزمان هى معانى الايات لا الفاظها لان الفاظها حادثة مقترنة بزمان بخلاف معانيها التى هى الكلام النفسى لانه صفة له والله تعالى وصفاته لا يجرى عليه زمان اصلا كما حقق فى محله وقوله وهى الواو للحال وهى مبتدأ راجع الى الايات وجملة تخبرنا خبره وجملة المبتدأ مع خبره اشارة الى دليل كون الايات من ابهر المعجزات وعن المعاد متعلق بتخبر والمعاد مصدر ميمى او اسم مكان والمراد به ههنا الرجوع بعد الفناء واخبار القرءآن منه فى مواضع كثيرة كقوله تعالى (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها) الاية قال المفسرون نزلت هذه الاية فى ابى بن خلف خاصم النبى عليه السلام واتاه بعظم قد رم وبلى وفتته بيده وقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار وكقوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وقوله (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه) وقوله (افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور) وغير ذلك وعن عاد عطف على المعاد اعاد الخافض للنظم اى تخبر الايات

ايضا عن قصة عاد وعاد قبيلة من العرب فى ناحية اليمن كما فى قوله تعالى فى سورة الاعراف (والى عاد اخاهم) الاية وغير ذلك من سور القرءآن وقصتهم ان عادا تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم واخيرهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين حتى جاعوا وجهدوا وكانت عادة الناس فى ذلك الوقت اذا نزل عليهم البلاء توجهوا الى البيت مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله الفرج فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا فدخلوا مكة ورئيسهم قيل بن عتر فقال قيل (اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم) فانشأ الله تعالى ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت تلك السحابة فغشيتهم فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه وقوله وعن ارم عطف على القريب او البعيد والمراد بارم ارم ذات العماد وهى لعاد الثانية فان القرءآن اخبر عن قصتها ايضا فى سورة الفجر بقوله (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد) وذكر قصتهم النيسابورى فى تفسير هذه الاية واجماله انه كان لعاد بن ارم ابنان شداد وشديد ملكا الدنيا كلها ثم مات شديد فبقى الملك كله لشداد وكان عمره تسعمائة سنة وكان حريصا على قراءة الكتب فقرأ يوما صفة الجنة فاشتهت نفسه ووقع فى قلبه ان يبنى جنة مثل الجنة التى وصفها الله تعالى فارسل طائفة من جيشه ليطلبوا صحراء طيبة الهواء خالية من الاحجار كثيرة المياه والاشجار فساروا فى الارض فوجدوا صحراء مثل ما وصف لهم فى ارض عدن فاخبروه بذلك فطلب شداد من وزرائه اصناف الجواهر والذهب والفضة فجمعوا منها ما لا يعد ولا يحصى فبعثها شداد الى تلك الارض مع مائة الف رجل من البنائين والصناع فذهبوا اليها وبنوا اساسها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولما فرغوا من بناء حيطانها نصبوا فيها اعمدة من زبرجد اخضر وياقوت احمر وبنوا فوقها قصورا كثيرة وغرفا فوق غرف من ذهب وفضة ومجالس كثيرة ينظر ابواب بعضها الى بعض وجعلوا موضع الملك فى حصنها قصرا مبنيا من ذهب وكان للملك الف وزير فجعلوا حول الحصن الف قصر لكل وزير قصر منها وجعلوا فيها مجارى الانهار من الفضة وهى تجرى باللبن والخمر والعسل حتى فرغوا من بنائها فى ثلثمائة سنة ثم اخبر الملك بفراغها فجمع وزراءه واتباعه وانصاره وساروا اليها فلما دنوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة فاهلكتهم جميعا فلم يبق احد منهم وروى انه لم يدخل تلك الجنة الا واحد من المسلمين

دامت لدينا ففاقت كل معجزة * من النبيين اذ جاءت ولم تدم

ثم شرع فى بيان كون الايات فائقة على آيات سائر النبيين والمرسلين فقال دامت لدينا الخ ضمير دامت راجع الى الايات والتقييد بلدينا للاحتراز عما دام عند الله

وقام به فانه باق فى كل زمان لا يتناهى بل لا يجرى عليه زمان والفاء فى ففاقت فاء النتيجة فاقبلها سبب وعلة لها فيمكن ان نرتب ههنا قياسا بان نقول القرءآن فائق على كل معجزة لان القرءآن جاء ودام وكل معجزة من النبيين جاءت ولم تدم وكل ماجاء ودام فهو فائق على كل معجزة جاءت ولم تدم ينتج القرءآن فائق على كل معجزة وفاقت بمعنى تفوقت وبرعت وكل معجزة بالنصب مفعول فاقت والمعجزة امر خارق للعادة يظهر على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز عن اتيان مثله اعلم ان ما كان خارقا للعادة ثمانية اقسام لانه اما ان يصدر عن مؤمن اوكافر والاول اما عن النبى وهو اما ان يصدر قبل البعثة وهو الارهاصات مثل ماظهر حين ولادته عليه السلام اوبعد البعثة وهى المعجزات واما من ولى وهى الكرامات واما من صالح وهى المعونة واما من فاسق وهو الاستدراج والثانى اما بتعليم وتعلم وهو السحر واما بلا تعليم وتعلم فان وافق مطلوبه فهو ابتلاء كما وقع من فرعون والدجال وغيرهما وان لم يوافق فهو الاهانة كما وقع من مسيلمة الكذاب حيث دعا لاعور ليصلح عينه العوراء فاعورت الصحيحة ايضا والمراد من النبيين المعنى العام للمرسلين على مافهم من اساليب كلام الناظم فان قلت ان فى النبيين دخل نبينا عليه السلام ايضا فيلزم فضل معجزته على نفسه وهو باطل قلت المراد من النبيين من سوى نبينا عليه السلام لانه مستثنى منهم بالاستثناء العقلى كما فى قوله تعالى (ان الله على كل شئ قدير) واذ للتعليل ولم تدم عطف على جاءت يعنى ان معجزات سائر الانبياء قد انقضت واندرست بموتهم بخلاف معجزة نبينا عليه السلام لانها باقية الى يوم القيامة لا يقال انا لا نسلم ان معجزات سائر الانبياء قد جاءت ولم تدم كيف وان الانجيل باق عند النصارى كما ان التوراة باقية عند اليهود لانا نقول المراد من الدوام دوامه بلا تغيير لفظ وتحريف حرف وكذا الفريقين قد غيراهما وبسبب تحريفهم كانوا كافرين ولو سلم فالمراد دوام حكمه اعنى شرعيته وكتب سائر الانبياء قد نسخت بكتابنا وكان الشرع الباقى عند جميع الملل القرءآن لا غيره من الكتب المنزلة على سائر الانبياء

محكمات فما يبقين من شبه * لذى شقاق ولا يبغين من حكم

لما بين كون الايات دائمة الى يوم القيامة بل الى مالا يتناهى شرع فى بيان كونها باقية على حكمها الاصلى بلا تبديل ولا تغيير فقال محكمات الخ وهى بالرفع خبر بعد خبر لايات اوصفة بعد صفة لها والمحكمات جمع محكم وهو فى اللغة بمعنى المتقن القوى الذى لا يقبل الانهدام وفى اصطلاح الاصوليين ماظهر المراد منه ولم يحتمل النسخ والتغيير فعلى هذا يكون التشديد لضرورة الشعر فان قلت كيف يجوز حمل محكمات على الآيات لانه يستفاد منه ان جميع الآيات محكم مع ان الاصوليين صرحوا بان بعض القرءآن محكم وبعضه مفسر وبعضه نص وبعضه ظاهر وبعضه خفى وبعضه مشكل وبعضه مجمل وبعضه متشابه قلت الحمل باعتبار معناه اللغوى لا الاصطلاحى على انه يجوز ان يكون فى ضمير محكمات استخدام بان يرجع الى الآيات ويراد منها بعضها فتأمل ثم انه

روى عن على رضى الله عنه انه عليه السلام قال انزل القرءآن على عشرة اقسام بشيرا ونذيرا وناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها وموعظة ومثلا وحلالا وحراما فمن استبشر ببشيره وانذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد متشابهه الى عالمه واتعظ بعظته واعتبر بمثله واحل حلاله وحرم حرامه فاولئك من المؤمنين حقا لهم الدرجات العلى مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو وارثى ووارث الانبياء قبلى ولا يزال فى كنفه تعالى وحينما تلا القرءآن غشيته الرحمة ونزلت عليه السكينة ويحشر فى زمرتى وتحت لوائى والفاء فى فما يبقين تفريعية اى لما كانت الايات محكمات فما يبقين الخ ويبقين جمع مؤنث من الابقاء بمعنى الدوام ومن زائدة وشبه جمع شبهة ولذى ظرف مستقر صفة شبه والشقاق بمعنى الخلاف والمراد من اهل الخلاف من كان مخالفا الشرعنا ولا يبغين عطف على ما يبقين ويبغين بفتح الياء كما كان يبقين بضم الياء وهو من البغى بمعنى الطلب ومن زائدة والحكم بفتحتين بمعنى الحاكم اى القرءآن لا يحتاج الى حاكم آخر فوقه بخلاف الحديث فانه مسند الى الكتاب وكذا الاجماع والقياس فانهما محتاجان الى احدهما وقرئ حكم بكسر وفتح على انه جمع حكمة فالمعنى ان القرءآن لا يحتاج الى حكم زائدة لوضوح قوانينها بل جميع الحكم والقواعد ماخوذ منه فلم يكن شئ يشتمل على مالا يشتمل عليه القرءآن ثم ان هذا البيت فيه صنعة تلميح الى قوله تعالى (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب) الآية وجناس كامل بين يبقين ويبغين كما لا يخفى على اهل البديع

ماحوربت قط الاعاد من حرب * اعدى الاعادى اليها ملقى السلم

لما بين فى البيت السابق ان الآيات قد قطعت شبهة المشتبهين مع ان الفصحاء والبلغاء كامرئ القيس وغيره قد عارضوا القرءآن دفعه بقوله ماحوربت الخ ما نافية وحوربت ماض مجهول من المحاربة بمعنى المعارضة على سبيل الاستعارة بان شبه المعارضة بالمحاربة فى مدافعة الخصم ومضرته والاستعداد له ثم استعير المحاربة لمفهوم المعارضة ثم اشتق من المعارضة عورضت ومن المحاربة حوربت فذكر حوربت واريد عورضت والمراد من المعارضة للقرءآن اتيان مثله فى البلاغة والفصاحة وقط ظرف زمان للماضى على سبيل الاستغراق ولا يستعمل الا فى النفى والا للاستثناء والمستثنى منه محذوف اى فى حال من الاحوال الا فى حال عود الاعادى فعاد امامن العود بمعنى الرجوع اوبمعنى صار وانتقل ومن حرب متعلق بعاد ومن لابتداء الغاية وحرب بفتحتين بمعنى الغضب والغيظ وقيل هو لغة فى الحرب فيكون بمعنى المحاربة وهى بمعنى المعارضة واعدى بالرفع تقديرا فاعل عاد وهو اسم تفضيل من العداوة والاعادى جمع اعداء وهى جمع عدو فاضافة اعدى اليها للمبالغة فيكون اشارة الى انه لا يعارض القرءآن الا من كان فى شدة العداوة والبغضاء واليها متعلق بعاد والضمير راجع الى الآيات وفيه حذف مضاف اى الى حقيتها وملقى السلم بالنصب حال من فاعل عاد

على تقدير كون عاد بمعنى رجع اوبالنصب على الخبرية على تقدير كونه بمعنى صار وملقى اسم فاعل من القى بمعنى متلقيا ومقبلا اليها بالسلم اى السلامة فالمعنى انه ماعورضت تلك الآيات بشئ من كلام الفصحاء ولا طواب احد بمعارضتها من العرب العرباء الاورجع من المحاربة والمعارضة لما فيها من الفصاحة والبلاغة اكبر المعاندين واقوى المعارضين حال كونه ملقيا متلقيا بالسلامة وكان بريئا من الملامة روى ان الوليد بن المغيرة كان بين قريش فى غاية الفصاحة فجاءه عليه السلام ذات يوم لقصد المعارضة فى البلاغة فقال للنبى عليه السلام اقرأ على فقرأ عليه قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) الآية فاستعاده فاعاده صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ما يقول هذا بشر وسكت وقام من المجلس ولم يقل شيئا غيرهذا وحكى عن يحيى بن حكيم انه رام شيئا من المعارضة للقرآن فنظر فى سورة الاخلاص لياتى بمثالها او ينسج بزعمه على منوالها فاعترته روعة وهيبة من الله فتاب وعاد عن نيته وروى انهم اتوا لسورة القارعة بنظيرة وهى قولهم الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب قصير وخرطوم طويل ان ذلك من خلق الله لقليل ولقوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) بقولهم القتل انفى للقتل ثم تفكروا ووجدوا فى قولهم نقائص كثيرة فبعد التفكر بهتوا وتحيروا وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

ردت بلاغتها دعوى معارضها ❊ رد الغيور يد الجانى عن الحرم

لما بين كون الآيات تدفع المعارضة بل تعيد اليها اعداءها اراد ان يبين ما تدفع به الخصوم من ارباب البلاغة والعلوم فقال ردت بلاغتها الخ ردت بمعنى منعت ودفعت والبلاغة فى اللغة ما ينبئ عن الوصول والانتهاء وفى الاصطلاح البلاغة فى الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وفى المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ وضمير بلاغتها راجع الى الآيات فالمصدر مضاف الى فاعله ودعوى بالنصب مفعول ردت والمراد من الدعوى المقاومة باتيان مثله فالمعارض بمعنى المتصدى لاتيان مثله والضمير للآيات ورد بالنصب صفة مصدر محذوف اى ردا مثل رد الغيور والمراد تشبيه الرد بالرد وهو مضاف الى فاعله والغيور صيغة مبالغة من الغيرة بمعنى شديد الغيرة وهو صفة موصوف محذوف اى رد الرجل الغيور وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغار وان المؤمن يغار وقد جاء ايضا فى الخبر ان الله غيور يحب الغيور والغيرة فى الاصل كراهية مشاركة الغير فى حق من الحقوق وغيرة الله منعه عبده من الاقدام على الفواحش وغيرة المؤمن هيجان وانزعاج فى قلبه يحمله على منع التحريم من الفواحش ومقدماتها ممن هو ساكن فى بيته ويد الجانى بالنصب مفعول رد والمراد من اليد التصرف بذكر السبب وارادة المسبب لان اليد سبب للتصرف وتصرف الجانى عام للفواحش كالزنى واللواطة ومقدماتهما كالتقبيل واللمس والنظر والمراد من الجانى من يأتى الجناية لمحرم الغير وعن الحرم متعلق برد

والحرم

والحرم بفتحتين بمعنى محرم الرجل وقرئ بضم الحاء وفتح الراء على انه جمع حرمة وهى ما يكون فى حريم الرجل وحاصل المعنى ان الآيات ردت بلاغتها وفصاحتها دعوى معارضها ومقابلها مثل رد من وصف بكمال الغيرة ونهاية الحمية مديد الجانى وتصرف الخائن الباغى عن حول حريم حرمه وعن الوصول الى حصول حرمه ثم اعلم انه حكى ان ابن المقفع وكان افصح اهل وقته طلب المعارضة للقرآن ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فمر يوما على مكتب يقرأ فيه صبى قوله تعالى (يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى) الآية فقال ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر ومن تفحص كتب الانام فى احاديثه عليه السلام وجد فيها كلاما كثيرا يناسب لهذا المقام

لها معان كموج البحر فى مدد ❊ وفوق جوهره فى الحسن والقيم

لما بين كون الفاظ القرآن فى اعلى طبقات البلاغة والفصاحة توهم ان قائلا قال هل كانت معانيه مناسبة لهذه الالفاظ الموصوفة بالبلاغة والمنعوتة بالفصاحة فقال لها معان الخ لها خبر مقدم ومعان مبتدأ مؤخر والتنوين للتكثير والتعظيم والمراد من المعانى المقاصد وما تتضمن من الحقائق والفوائد وكموج البحر ظرف مستقر صفة معان والموج مصدر ماج البحر بمعنى اضطرب ويقال لكل فرقة ماء ارتفعت منه وهو ههنا كناية عن الكثرة وعدم النهاية وفى مدد متعلق بالكاف فى كموج والمدد بفتحتين بمعنى النصرة والعون فان كل موج فى البحر يمد موجا آخر وكذلك القرآن يفسر بعضه بعضا ويمد بعضه بعضا وفوق ظرف مرفوع المحل بالعطف على الكاف فيكون صفة بعد صفة لآيات والتقدير وللآيات معان كانت اوثبتت فوق جوهره والجوهر قد مر غير مرة والضمير للبحر وجوهر البحر ما يستخرج منه من اللؤلؤ والمرجان وفى الحسن متعلق بالزيادة التى تضمنها لفظ فوق والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة وحاصل المعنى ان الآيات البينات لها معان كثيرة كموج البحر فى الازدياد وعدم النفاد واحكام حسنة فوق جواهر البحر من اللؤلؤ والمرجان فى الحسن والقيمة كما لا يخفى على اهل العرفان لان الجواهر وان كانت فى صفة عالية يوجد لها قيمة ولو كانت غالية بخلاف الآيات ومعانيها وعجائبها ومحاسنها ولذا قال بعض اهل الحال لو ظهرت حقيقة معانيها لم تطق سطوات نورها السموات والارض ولذا قال الله تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا) الآية لكن الله تعالى ستر انوار تلك الحقيقة بكسوة صورة الحروف لتطيقها القلوب والالسن فكما ان شرف الابدان انما يكون بشرف الارواح فكذلك شرف الحروف انما هو بشرف معانيها وروى عن رسول الله عليه السلام ان القرآن لا يشبع منه العلماء قيل لكمال لذته ونهاية حلاوته ولما فيه من الاسرار العجيبة والبدائع الغريبة والاساليب المستحسنة والعجائب المستكملة

فلا تعد ولا تحصى عجائبها ❊ ولا تسام على الاكثار بالسأم

لما توهم من تشبيه معانى الآيات بموج البحر كون معانيها متناهية اذ موج البحر

متناه مع ان معانى الآيات غير متناهية بالاتفاق اراد دفعه بتفصيل ما قبله فقال فلا تعد ولا تحصى الخ تعد وتحصى كلاهما على صيغة المجهول فالاول من العد والثانى من الاحصاء والفرق بينهما ان الاول العد واحدا واحدا والثانى جملة جملة وعجائبها بالرفع جمع عجيبة وهو ما يتعجب منه وكذلك العجاب بالتخفيف والتشديد والاعجوبة وضميرها راجع الى الآيات يعنى ان الآيات لا تعد عجائبها ولا تحصى غرائبها من العلوم الغريبة والاسرار العجيبة والدقائق اللطيفة فى كل حد وزمان وجميع وقت وآن وقوله ولا تسام دفع لتوهم مقدر وهو ان القرءآن اذا كان مشتملا على معان كثيرة لا تعد ولا تحصى تترك لاعطائها الملالة لناظرها وتقرير الجواب ظاهر ولا تسام مضارع مجهول على صيغة التأنيث اى لا تترك لانه من سامت السائمة اذا تركت على حالها او بمعنى لا يقاسى منها ولا يتعب فالضمير على كلا المعنيين راجع الى الآيات وعلى الاكثار متعلق بتسام وعلى بمعنى مع كما فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) الآية والاكثار الاتيان بالكثير والالف واللام عوض عن المضاف اليه اى اكثارها وبالسأم الباء سببية متعلقة بلا تسام والسأم بفتحتين السآمة والملالة يعنى ان الآيات لكونها فى اعلى طبقات المعجزات لا تترك بالملالة من اكثارها بل كلما ازداد ازداد فرح قارئها وفى البيت تلميح الى قوله عليه السلام ان هذا القرءآن لا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الترداد يعنى ان القرءآن لا تنتهى غرائبه لجميع العلماء فى جميع الازمان قال تعالى (لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) وقال تعالى (ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) قال بعض الحكماء لكل آية سبعون الف فهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذا القرءآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته وكذلك ان هذا القرءآن لا يمل قارئه ولا يسأم من تكرار تلاوته واسماعه ولا يذهب رونقه وبهجته كما فى كلام الخلائق بل كلما ازداد التكرار ازداد الحسن ولا تتغير حروفه بتكرار التلاوة والتدريس من العلماء والجهلاء والاعراب والاعجام بل يرد الخطأ الى الصواب كما فى حديث الجامع الصغير اذا قرأ القارئ فاخطأ ولحن او كان اعجميا كتبه الملك كما نزل وفى معنى هذا البيت قول الشيخ ابى القاسم الشاطبى فى وصف القرءآن ولله دره

وخير جليس لا يمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا

قرت بها عين قار بها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

لما بين فى الابيات السابقة فضائل الآيات اراد ان يبين بعضا من فواضلها السارية الى الغير فقال قرت بها الخ قرت فعل ماض من القرة بمعنى البرودة يقال قرت عينه تقر بالفتح والكسر قيل هو كناية عند العرب عن الراحة لان بلادهم كانت حارة جدا فالراحة عندهم فى البرودة ولا يخفى انه يكون على هذا فى اسناد قرت الى العين برودة جدا والاظهر انه كناية عن السرور فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنة العين للمكروه ذكره القاضى وغيره من اهل التفسير

فى قوله

فى قوله تعالى وقرى عينا ويجوز ان يكون قرت بمعنى ثبتت وصارت عينه ذات قرار اى مستقرة لا تميل الى الجوانب لطيب ما تنظر اليه والباء فى بها للسببية والضمير للآيات وفيه حذف مضاف اى بقراءتها او بنظرها والعين بالرفع فاعل قرت والمراد بها الباصرة على كلا المعنيين فى قرت ومن جعله بمعنى النفس على التقدير الثانى فقد وقع فى تكلف فوق التكلف ثم ان قرت فى معناه الاصلى اعنى المضى والمعنى كان قارئها مسرورا بسبب قراءتها ويحتمل ان يكون اخبارا لفظا وانشاء معنى اى لتقر فتدبر وقاريها سكن همزته لضرورة الشعر ثم ابدلت بالياء والضمير للآيات والفاء فى فقلت للفصيحة وقلت على صيغة التكلم اى اذا كان قارئها مسرورا بسبب قراءتها فوجب ان اقول له اى لقارئها على وجه الرغبة او على طريق الغبطة والله لقد ظفرت فاللام توطئة للقسم وظفرت على صيغة الخطاب خطابا لقارئها وظفرت بمعنى وجدت الفوز والنجاة من كل المكاره والمفاسد ونلت جميع المطالب والمقاصد والباء فى بحبل الله متعلق باعتصم والحبل بمعنى الايات والشرائع على سبيل المجاز والاستعارة بان شبه الايات بالحبل القوى الممدود منه تعالى الى العباد فى الايصال الى المطلوب ثم استعير الحبل لمفهوم الآيات فذكر الحبل واريد الآيات واضافة الحبل الى لفظة الله قرينة هذه الاستعارة وقوله فاعتصم الفاء جواب شرط محذوف واعتصم امر حاضر من اعتصم والمراد من الاعتصام هنا هو العمل بموجبها بطريق الاستعارة فليتأمل وفى البيت تلميح الى قوله عليه السلام انى قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام والى قوله عليه السلام وهو اى القرءآن حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم الحديث والى قوله عليه السلام ان هذا القرءآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ان هذا القرءآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه الحديث وفى معنى هذا البيت قول الشيخ الشاطبى

وقارئه المرضى قر مثاله * كالاترج حاليه مريحا وموكلا

وبعد فحبل الله فينا كتابه * فجاهد به حبل العدى متحبلا

ان تتلها خيفة من حر نار لظى * اطفأت نار لظى من وردها الشبم

لما فرغ من بيان بعض فضائل الآيات وفواضلها اراد ان يبين ايضا بعضا من خواصها وجعلها داخلة فى سلك فواضلها فقال ان تتلها خيفة الخ ان شرطية وتتلها مضارع من تلا بمعنى قرأ على صيغة الخطاب خطاب لقارئها المقدم واصله تتلوها فسقط الواو للجزم والضمير راجع الى الآيات وخيفة بالنصب على انه مفعول له حصولى لتتلها والخيفة كالخوف بمعنى الخشية ومن متعلق بخيفة واضافة الحر الى النار لامية ولظى من اعلام جهنم او طبقة من طبقاتها وهى غير منصرفة للتأنيث والعلمية ومن قال يمكن ان يكون لظى فعلا وهو مع فاعله صفة نار لم يشم رائحة من علم العروض مع ما فيه من المخالفة للقواعد المشهورة بين العوام واهل الفيوض فان قلت

لم خص لظى بالذكر دون سائرها قلت لكون حرارة لظى شديدة بالنسبة الى سائر الدركات كما ذكره بعض الشارحين تأمل واطفأت جزآء الشرط وهوايضا على صيغة الخطاب ونار لظى بالنصب مفعول اطفأت فان قيل لم اتى بالظاهر مقام الضمير لان الظاهر ان يقول اطفأت نارها قلت لئلا يلتبس فى المرجع اولئلا يلزم التفكيك فى الضمائر ووقع فى بعض النسخ حر لظى والاول انسب بالاطفاء ومن وردها كلمة من اجلية متعلقة باطفأت والورد بكسر الواو بمعنى الاشراف على الماء والمصدر هنا بمعنى المفعول اى المورود فالمراد منه الماء والضمير راجع الى الآيات وفيه استعارة بالكناية بان شبه الآيات فى الذهن بالماء فى كونهما سببا للحياة فاستعير الماء للآيات فى الذهن وذكر فى الخارج المشبه وترك المشبه به ثم اثبت الورد الذى هو من ملائم المشبه به للمشبه فيكون تخييلية ويكون الشبم ترشيحا لهذه الاستعارة ويجوز ان يكون الورد بمعنى ورد القرءآن وهو قرآءة جزء من القرءآن فى كل يوم على سبيل الادمان ويؤيد هذا المعنى اضافته الى الضمير الراجع الى القرءآن ووصف الورد بالشبم بفتح المعجمة وكسر الموحدة اى البارد يقوى المعنى الاول ولكل وجهة هو موليها لكن يكون الشبم على المعنى الثانى بمعنى الدافع للحرارة كما لا يخفى وحاصل معنى البيت ان تقرأ الآيات القرءآنية والبينات الفرقانية خشية من حرارة النار * وعذاب الملك الجبار * اطفأت نارها ودفعت ضررها من اجل ملازمتك ورد القرءآن الدافع حرارة النيران ثم اعلم ان الفقهاء قالوا الافضل فى قرآءة القرءآن ان يقرأ من المصحف لا عن ظهر القلب لان فى امساك المصحف عمل اليد وكذا فى حمله وفى نظره عمل البصر ويعين على تأمل معانيه ولهذا كان اكثر الصحابة يقرؤن من المصحف وعن على رضى الله عنه ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقرآءة القرءآن ويقال النظر الى العلماء والقرءآن عبادة كالنظر الى الكعبة وقال عليه السلام اتلوه فان الله يؤجر على تلاوة كل حرف عشر حسنات الحديث وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة فى وقت السحر اقرأ سورة طه فلما ختمتها اخذتنى سنة فرأيت شيخا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيأ فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا ادرى حكمتها فقال الشيخ صدقت لقد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت فى منامى وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب به ثوابها انتهى وذكر فى المقامات انه اتى رجل الى النبى عليه السلام فقال يارسول الله ماجزآء من علم ولده القرءآن فقال عليه السلام القرءآن كلام الله لا منتهى له لا اعلم حتى يأتينى جبريل فلما اتاه سأله عنه قال لا اعلم حتى اسأل رب العزة فنزل جبريل فقال يا محمد الله يقرئك السلام ويقول جزآء من علم ولده القرءآن انه يعطى بكل حرف مدينة فى الجنة من الذهب فيها الف قصر فى كل قصر الف بيت وجاء فى حديث صحيح

من قرأ القرءآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس ولذا قال الشاطبى

هنيئا مريئا والداك عليهما * ملابس انوار من التاج والحلى
فما ظنكم بالنجل عند جزآئه * اولئك اهل الله والصفوة الملا

كأنها الحوض تبيض الوجوه به * من العصاة وقد جاؤه كالحمم

لما فرغ من بيان بعض فضائلها وفواضلها وخواصها اراد ان يبين بعضا من شفاعتها يوم القيامة للعصاة فقال كأنها الحوض الخ كأن للتشبيه والضمير للآيات والحوض مجاز اى ماؤه والالف واللام فى الحوض للعهد فالمراد الكوثر الذى له عليه السلام وهو ثابت باجماع اهل السنة والاحاديث الصحيحة كقوله عليه السلام حوضى مسيرة شهر وزواياه سوآء وماؤه اشد بياضا من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب منه لا يظمأ ابدا وفى تقديم الحوض على الصراط ترجيح لقول من قال ان الحوض مقدم فى الحشر على الصراط اذ فيه اختلاف قال القرطبى ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض بعد الصراط والصحيح انه قبل وكذا قال الغزالى ذهب بعض السلف الى ان الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله قال القرطبى المناسب لكون الناس يخرجون من قبورهم عطاشا تقديم الحوض وقيل هو اثنان فى القيامة وفى الجنة وقيل هو فى الجنة لكن ينقل من الجنة الى العرصات ومن العرصات الى الجنة وقيل هو فى ظهر ملك يسير الى اين سار النبى عليه السلام وقوله تبيض بيان لوجه الشبه يعنى ان الآيات مشبهة بالحوض فى تبييض الوجه وجملة تبيض بالرفع صفة الحوض فان قلت كيف يجوز جعل جملة تبيض صفة للحوض مع انه لا مطابقة بينهما فى التعريف والتنكير اذ الجملة نكرة قلت قد حقق فى محله ان الصفة نوعان صفة خاصة للموصوف وصفة عامة له فالمطابقة انما تلزم فى الثانى لا الاول والصفة ههنا من قبيل الاول كما لا يخفى والوجوه اما على حقيقتها واما المراد بها ذواتها على طريق المجاز اللغوى او الحذفى ويؤيد الثانى بيانها بالعصاة وبه متعلق بتبيض والضمير للحوض ومن العصاة بيان للوجوه والعصاة جمع عاص كالغزاة جمع غاز والواو فى وقد جاؤه للحال وضمير الجمع راجع الى العصاة والمفعول راجع الى الحوض والكاف للتشبيه والحمم بضم الحاء وفتح الميم جمع حممة كتهمة وهى بمعنى الفحم والفرق بينها وبين الفحم ان الفحم يقال لما بقى بعد احتراق الحطب والحممة لما بقى بعد احتراق الفحم واما الحمة التى بكسر الحاء فهى بمعنى الماء الحار الذى يخرج من الارض يستشفى به المعلولون والمرضى قال عليه السلام العالم كالحمة يتجنبها القرباء ويتقرب اليها البعدآء وفى البيت اشارة الى ما فى الخبر من ان بعض عصاة المؤمنين يدخلون النار ويحترقون فيها بقدر ذنوبهم فيخرجون منها فيلقون فى نهر الحياة وفى رواية فيصب عليهم ماء الحياة فيذهب السواد عنهم ويظهر البياض وهذا من فضل ربنا الفياض وحاصل معنى البيت ان الآيات البينات تشفع للعصاة يوم العرصات كما يشفع حوض نبينا للعصاة الخارجين

من النار بتبيض وجوههم قبل الدخول الى دار القرار وفيه اشارة الى قوله عليه السلام القرءآن شافع مشفع وماحل مصدق فاذن من جعله امامه اوصله الى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه الى النار يعنى ان القرءآن شافع يوم القيامة لصاحب الكبيرة والصغيرة ورافع لدرجات من يتلوه ويعمل به وشارع بليغ مصدق فى شكايته لمن يضيعه بعدم العمل وعدم القراءة والنسيان وعدم الترتيل وعن الزاهدى من شهد عليه القرءآن بالتقصير فهو فى النار فان قيل كيف يمكن شفاعة القرءآن فى القيامة لانه ان اريد من القرءآن الكلام النفسى فهو قائم به تعالى وكونه شافعا باذنه تعالى يقتضى المغايرة له وهو باطل وان اريد الكلام اللفظى فهو كالعرض فى عدم البقاء ولو سلم فلا يمكن انقلابه جوهرا لامتناع انقلاب الحقائق قلنا اجيب عنه بانه تعالى يجعل القرءآن اللفظى فى ذلك اليوم جسما فى صورة يراها الناس كالاعمال عند الميزان وانقلاب الحقائق ليس بباطل مطلقا بل الباطل منه انقلاب الواجب الى الممكن والممكن الى الواجب فليتأمل

وكالصراط وكالميزان معدلة * فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم

لما بين فوآئد الآيات وخواصها النافعة يوم العرصات توهم ان يسئل ويقال ألم يك للقرءآن فوآئد نافعة فى الدنيا كما كانت فى الآخرة فقال مجيبا ودافعا له وكالصراط الخ الواو عاطفة وكالصراط معطوف على كأنها يعنى ان القرءآن العظيم مشبه بالصراط المستقيم فى كونه موصلا الى المطلوب والصراط جسر ممدود على متن جهنم يعبره الاولون والآخرون من المؤمنين والكفار والنبى عليه السلام قائم عليه قائلا يارب سلم سلم وهو ادق من الشعرة واحد من السيف والناس فى جوازه متفاوتون وروى انه يكون على بعض الناس ادق من الشعرة وعلى بعض مثل الوادى الواسع بل بعض يمر عليه ولا يعلمه وفى جعل الصراط مشبها به رد للمعتزلة حيث انكروا الصراط وقالوا بانه لا يمكن العبور على مثل ذلك فايجاده عبث ولو امكن ففيه تعذيب للمؤمنين والانبياء ورد بان العبور عليه ممكن والانبياء والمؤمنون يمرون عليه من غير تعب والميزان عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال والعقل قاصر عن ادراك كيفيته قيل توزن كتب الاعمال وقيل تجعل الحسنات اجساما نورانية والسيئات ظلمانية وقيل يوزن العبد مع عمله مرة بالخير ومرة بالشر وقوله معدلة تميز من الاضافة فى كالميزان لا فى كالصراط وهو مصدر ميمى او اسم آلة والمعنى ان الآيات تشبه الميزان من جهة كونه معدلة ففيه رد للمعتزلة ايضا لانهم انكروا الميزان وقالوا لا فائدة له ولا غرض ويجوز ان يكون المراد من الصراط والميزان جنس الصراط والميزان فوجه الشبه بالصراط هو العصمة عن الوقوع فى المكروه والتوصل به الى المطلوب وبالميزان اقامة العدالة والتحاشى عن الظلم وقوله فالقسط تفريع على التشبيه الثانى اى اذا كان القرءآن كالميزان فى العدالة فالقسط الخ والقسط من قسط يقسط كنصر ينصر بمعنى العدل واما القسط بمعنى الجور فمن قسط يقسط كجلس يجلس ولذا روى ان الحجاج

دعا سعيد بن جبير فجاء اليه فقال الحجاج له كيف تعلمنى يا سعيد قال انك قاسط عادل فاستحسن اهل المجلس جواب سعيد فقال الحجاج لا لانه اراد بقوله انك قاسط معنى انك جائر وظالم كما فى قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا واراد بقوله عادل عادل عن الحق ومنصرف عنه انتهى وقوله من غيرها ظرف مستقر صفة قسط والضمير للآيات وفى الناس متعلق بلم يقم قدم للضرورة او للقسط اى العدل فيما بين الناس والناس اسم للبشر وهو اما من النسيان او من الانس ويؤيده قوله

وما سمى الانسان الا لانسه * ولا القلب الا انه يتقلب

وانما خص الناس بالذكر لكون احتياجهم الى القرءآن اكثر من الجان او لشرافتهم منه ثم ان المراد من الناس المعهود اعنى امة نبينا عليه السلام دون سائر الامم بقرينة السباق واللحاق ولم يقم بمعنى لم يدم ولم يتحقق وحاصل معنى البيت ان الآيات البينات كالصراط فى تمييز الحق من الظلمات وكالميزان من جهة العدالة ورفع الخصومات فاذا كان كذلك فطلب العدالة فى الدنيا بين الناس من غير هذا القرءآن الذى كالمقياس لم يثبت ولم يدم بل الاجماع بين الخلق على غير ذلك لم يقم فقيام الدنيا واهلها انما هو بالعدالة والعدالة قائمة بالشريعة والشريعة انما قامت بالقرءآن فلو لم تكن الآيات ثابتة لما كانت الدنيا قائمة ولما كانت الخصومات بين الخلائق دافعة

لا تعجبن لحسود راح ينكرها * تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

لما توهم ان يورد فى هذا المقام سؤال من طرف بعض بان يقال لو كانت الآيات متصفة بهذه الصفات لما انكرها بلغاء قحطان * ولا جحدها فصحاء عدنان * اجاب عن هذا السؤال بجواب مطابق للواقع وقاطع لشبهة السائل ودافع فقال لا تعجبن الخ لا تعجبن نهى حاضر مؤكد بنون مخففة اى لا يكن لك عجب ولحسود متعلق به والحسود على وزن الصبور يقال لرجل له حسد شديد والفرق بين الحسد والغبطة ان الاول يستعمل فى تمنى زوال نعمة الغير او تمنى تحويل نعمة الغير الى نفسه والثانى يستعمل فى تمنى مثل نعمة الغير بلا تمنى زوالها عنه وراح بمعنى صار واسمه تحته راجع الى الحسود وجملة ينكرها خبره والضمير الفاعل فى ينكر راجع الى الحسود ايضا والمفعول راجع الى الآيات وتجاهلا بالنصب مفعول له لينكر والتجاهل اظهار الجهل وليس له جهل فى الواقع لان الكفار كانوا يعرفون حقية الآيات من بلاغتها وفصاحتها واخبارها عن المغيبات كما يعرفون ابناءهم لكن يظهرون الجهل وينكرونها عنادا واستكبارا والواو فى وهو للحال والضمير راجع الى الحسود والعين ههنا بمعنى النفس والذات من بين معانيها واضافته الى الحاذق من قبيل شجر اراك والحاذق بمعنى الماهر والفهم بالكسر صفة الحاذق وهو بمعنى كثير الفهم وشديد العقل وفائدة الاتيان بهذا القيد اعنى قوله وهو عين الخ قطع توهم كون انكاره من جهله لا من عناده مع ان فى هذا القيد تعظيما للقرءآن العظيم من جهة كون عدو الشئ عظيما يدل على عظم

ذلك الشئ كما لا يخفى على اهله

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * و ينكر الفم طعم الماء من سقم

فلما كانت علة نهى التعجب من انكار الحسود خفية اراد ان يبينها بتمثيل المعقول بالمحسوس واتيان نظيره من المأنوس فقال قد تنكر العين ضوء الشمس الخ قد للتقليل و تنكر من الانكار والعين ههنا بمعنى الباصرة والضوء بمعنى النور وانما قال ضوء الشمس ولم يقل نورها لان الضياء اقوى واتم من النور فبين النور والضياء فرق اذ النور كيفية ظاهرة بنفسها مظهرة لغيرها والضياء اقوى منه ولذلك اضيف الى الشمس فى قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقد يقال ينبغى ان يكون النور اقوى على الاطلاق لقوله تعالى الله نور السموات والارض الاية وانت خبير بان هذا انما يتم اذا لم يكن معنى النور فى الاية المنور وقد حمله اهل التفسير على ذلك وقد يفرق بينهما بان الضياء ضوء ذاتى والنور ضوء عارضى تأمل والشمس كوكب نهارى مضيء للعالم وقد سبق تفصيلها ومن رمد من منشأية متعلقة بتنكر والرمد بفتحتين وجع العين يقال رمدت العين من الباب الرابع اذا هاجت ثم ان فى هذا المصراع تشبيه الحسود المنكر للايات المتجاهل بعين فيها رمد فى كونهما مشتملين على ما يضر ولا ينفع و يورث اصاحبه انكار شئ ظاهر وتشبيه الايات بضوء الشمس فى الظهور وعدم الخفاء والاشتهار عند الصغار والكبار وتشبيه التجاهل بالرمد فى ايراث الاذى اصاحبه وايراث انكار امر باهر وظاهر ثم اعلم انه يمكن ان نرتب ههنا قياسا تعبيره هكذا الحسود مثل من فى عينه رمد والايات مثل ضوء الشمس والتجاهل مثل الرمد و كل من كان مثل من فى عينه رمد ينكر ما كان مثل ضوء الشمس مما هو مثل الرمد ينتج الحسود كان ينكر الايات من التجاهل وقوله و ينكر الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة تنكر الاولى والفم يقرأ بتشديد الميم للضرورة واصل فم فوه على وزن سوط فحذفت الهاء تخفيفا لشبهها بحرف اللين فبقى الاسم على حرفين فلم يروا ايقاع الاعراب عليه لئلا تنقل اللفظة فابدلوا من الواو ميما فقالوا فم لان مخرجهما من الشفة والدليل على ان الاصل فى فم الواو قولهم تفوهت بكذا ورجل افوه وقولهم فى تصغيره فويه لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها وقوله طعم بالنصب مفعول ينكر والطعم بمعنى اللذة والماء اسم جنس يقع على القليل والكثير ومن منشأية متعلقة بينكر والسقم المرض ثم ان فى هذا المصراع ايضا تشبيه الحسود بفم فى صاحبه مرض فى كونه مشتملا على ما يمنع عن الوصول الى ما هو الحق فى الواقع وتشبيه الايات بالماء اللذيذ فى كونه سببا لحياة كل شئ وتشبيه التجاهل بالسقم فى كونه مورثا للاذى الى صاحبه وكونه مانعا من الوصول الى الحق وفيه ايضا يمكن ترتيب قياس كالاول فتأمل ولا تكن من الحاسدين فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

يا خير من يمم العافون ساحته * سعيا وفوق متون الاينق الرسم

لما اشتغل بذكر معجزاته و بيان ما هو من اعظم آياته اعنى به الكتاب الذى هو البحر

البسيط

البسيط * والقرآن الذى هو اليم المحيط * وبعد ذكر ذات المحبوب اشتاق الى تكرار بيان من هو المطلوب فأتى به مخاطبا بيا الدالة على الحضور لتحصيله العلم له من بيان اوصافه التى هى كالشمس فى الظهور فقال يا خير من يمم الخ كلمة يا وضعت لنداء البعيد وقد ينادى بها القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا له كما فى قول الداعى يا الله و يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استصغارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يقصده امر خطير يعتنى بشأنه وما وقع ههنا اما من قبيل الاول او الثالث فتأمل وخير اسم تفضيل ومن من الفاظ العموم و يمم بمعنى قصد اى يا خير من قصد العافون جمع العافى بمعنى السائل اى السائلون والساحة بالنصب مفعول يمم وهو بمعنى حريم الدار والضمير راجع الى من والساحة من قبيل ذكر المحل وارادة الحال اذ شرف المكان بالمكين ولذا قال الشاعر

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

والمعنى يا خير من قصد السائلون ذاته ونفسه وسعيا بالنصب على انه حال من فاعل العافون فان قيل كيف يجوز كونه حالا منه مع انه لا مطابقة بين الحال وذيه لان الحال مفرد وذا الحال جمع قلت كونه حالا باعتبار الافراد كذا قيل فتامل والمصدر اعنى السعى ههنا بمعنى الفاعل اعنى ساعين والواو فى وفوق عاطفة وفوق ظرف متعلق بمحذوف معطوف على سعيا اى وكائنين فوق المتون والمتون جمع متن وهو بمعنى الظهر كما فى قوله

وفرع يزين المتن اسود فاحم * اثيث كقنو النخلة المتعشكل

والاينق بتقديم الياء على النون مقلوب الانيق بتقديم النون اصله انوق جمع ناقة فقدمت الواو فصار اونق ثم قلبت ياء لمزيد الخفة والرسم بالجر صفة الاينق وهو بضمتين جمع الرسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الارض من شدة الوطئ او ناقة تسير سريعا وعلى كلا التقديرين ففيه تجريد ثم اعلم ان هذا القول من الناظم الفاهم اعنى وفوق متون الخ تكملة للكلام الاول يعنى ان الكلام الاول يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من قريب وهذا الكلام يدل على كونه مقصودا للسائلين الجائين من مكان سحيق ومطلوبا للراكبين على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع دنيوية واخروية بمشاهدة النبى الشفيق * وحاصل معنى البيت يا خير كل من يقصد اليه ارباب الحاجات والمطالب * وافضل من ترجى الى ساحته الركائب * وكونه خير من يقصد اليه ارباب الحاجات * يدل على كونه قاضيا لحاجاتهم ومعطيا مقاصدهم

ومن هو الاية الكبرى لمعتبر * ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

ثم كرر النداء لزيادة اشتياقه الى ذاته الاعلى * مع بيان اوصافه الاسنى * والاشارة الى حكمة عروجه الى سدرة المنتهى فقال ومن هو الخ فالواو عاطفة ومن معطوفة على المنادى اعنى خير فالتقدير يا من هو الاية وهو ضمير فصل يفيد القصر والاية بمعنى

يد

العلامة التى يميزبها بين الحق والباطل والكبرى تانيث الاكبر وتنوين معتبر للتكثير اى لكل معتبر والمراد من المعتبر المستدل على الحق تعالى وعلى دينه الحق المميز بين الحق والباطل والواو عاطفة والنعمة عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير وقيل النعمة على قسمين نعمة المنافع كصحة البدن والامن والعافية والتلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح ونعمة دفع المضار من الامراض والبلايا والشدآئد والفقر وفى كتب التصوف النعم ست الاولى نعمة النفس وهى الطاعات والاحسان والنفس فيهما تتقلب والثانية نعمة القلب وهى اليقين والايمان وهى فيهما تتقلب والثالثة نعمة الروح وهو الخوف والرجاء وهى فيهما تتقلب والرابعة نعمة العقل وهو الحكمة والبيان وهى فيهما تتقلب والخامسة نعمة المعرفة وهو الذكر والقرءآن وهى فيهما تتقلب والسادسة نعمة المحبة وهو الالفة والمواصلة والامن من الهجران وهى فيها تتقلب والنعمة ههنا بمعنى المنعم به لانه عليه السلام نعمة عظمى لكونه رحمة لسائر الخلق مع انه قد صدر عنه نعم كثيرة لا يحصى عدد انواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا والعظمى تأنيث الاعظم والمغتنم اما متعلق بالنعمة واما ظرف مستقر صفة للنعمة كما كان قوله لمعتبر صفة للاية والمغتنم على صيغة اسم الفاعل من اخذ الخير واغتنم به يعنى انه عليه السلام هو الاية الكبرى لكل من اخذ العبرة لانه اكمل الموجودات * ونعمة عظمى لكل من علمه غنيمة وخيرا لانه رحمة وهداية تامة ورافع للظلمات * ودافع للشبهات * ومقصود للسائلين فى الارض والسموات ثم اعلم ان هذا البيت والبيت الذى قبله اشارة الى حكمة معراج رسول الله عليه السلام وهو انه اختصم الملأ الاعلى وناظروا فى اربع مسائل مقدار الف سنة ولم يوفقوا لحلها فلما بعث نبينا عليه السلام علموا ان هذه المشكلات انما تنحل منه عليه السلام فتضرعوا الى الله تعالى لاجله فدعا الله حبيبه الى مقام قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ومن جملته قوله عليه السلام رأيت ربى باحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت انت تعلم فوضع يده بين كتفى فوجدت بردهما بين ثديى ثم قال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت نعم فى الكفارات والمنجيات والدرجات والمهلكات قال صدقت يا محمد ثم قال يا ملائكتى وجدتم حلال المشكلات فاسألوا اشكالكم فقال اسرافيل ما الكفارات فقال عليه السلام اسباغ الوضوء فى المكاره والمشى بالاقدام الى الجماعة وانتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال ميكائيل وما الدرجات فقال اطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام ثم قال جبرائيل وما المنجيات فقال خشية الله فى السر والعلانية والقصد فى الفقر والغنى والعدل فى الغضب والرضى ثم قال عزرآئيل ما المهلكات فقال شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فقال الله فى كل ذلك صدق كذا ذكره فى البريقة شرح الطريقة

سريت من حرم ليلا الى حرم * كما سرى البدر فى داج من الظلم

فلما ذكر

فلما ذكر الندآء فى البيتين السابقين مع الاشارة الى تمام اوصافه واظهار كمال اخلاقه اجمالا اراد ان يأتى بجواب الندآء مشيرا ايضا الى اعجب امر آخر من الامور التى بين الله و بين افضل خلقه واخص عباده ولم يعط ذلك الامر لاحد من الانسان بل هو مخصوص بنبى آخر الزمان فقال سريت من حرم الخ سريت على صيغة الخطاب له عليه السلام وسرى لغة فى اسرى بمعنى سار فى الليل و كان الاسرآء الذى حصل له قبل الهجرة بجسده وروحه معا ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده الاية لان العبد اسم للروح والجسد جميعا قال الشيخ الاكبر ان معراجه عليه السلام اربع وثلاثون مرة واحدة بالجسد والباقى بروحه رؤيا رأها قبل النبوة ومن حرم متعلق بسريت والحرم بفتحتين حرم مكة شرفه الله تعالى قال فى الدرر اعلم ان البيت لما كان معظما مشرفا جعل له حصن وهو مكة وحمى وهو الحرم وللحرم حرم وهو المواقيت حتى لا يجوز لمن وصل اليها ان يجاوزها الا بالاحرام انتهى وفى تفسير روح البيان ان حدود الحرم من جهة المدينة على ثلاثة اميال ومن طريق العراق على سبعة اميال ومن طريق الجعرانة على تسعة اميال ومن طريق الطائف على سبعة اميال ومن طريق جدة على عشرة اميال ثم ان الحرم عام لكل ما كان فى داخل الحرم فلا ينافى ما قال الرواة من انه عليه السلام كان اسرآؤه من بيت ام هانىء بنت ابى طالب لان بيتها كان فى الحرم وليلا نصب على الظرفية لسريت وهو تأكيد للاسرآء والسرى فى لسان العرب لا يكون الا ليلا حتى لا يتخيل انه كان نهارا ولافادة تقليل مدة الاسرآء اى فى جزء من الليل لما فى التنكير من الدلالة على البعضية وهى ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الاثنين فان قلت فلم جعل المعراج ليلا ولم يجعل نهارا حتى لا يكون فيه اشكال وطعن وما الحكمة فى اختيار الليل قلت اجيب عنه بانه انما جعل ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالى اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا والليل اخص زمان يجمع المحبين فيه والراحة فى الخلوة متحققة بالليل وقال بعض الفضلاء لعل تخصيصه بالليل ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم اذ الليل اخفى حالا من النهار وقيل حكمته انه افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود فى الليل الى السماء وقال بعض اهل المعارف حكمته انه لما محا الله آية الليل و جعل آية النهار مبصرة كان الليل محزونا ومنكسرا فكان الاسراء بمحمد عليه السلام فى الليل للعدالة وسيظهر جواب آخر من تشبيه الناظم الفاهم فتبصر والى حرم متعلق بسريت والمراد من هذا الحرم المسجد الاقصى والتعبير عنه بالحرم انما هو للمشاكلة وقيل اطلاق الحرم عليه لكونه محترما وقوله كما سرى البدر الخ تشبيه لسيره عليه السلام وقطع المنازل والانارة والمشبه به قاصر وفى داج من الظلم متعلق بسرى وداج صفة موصوف محذوف اى فى ليل داج والداجى من الدجى بمعنى الظلمة فداج بمعنى راكد ظلامه ومن الظلم متعلق بداج بتضمينه معنى راكد والظلم بالضم فالفتح جمع ظلمة

والمراد اظهار مبالغة الظلمة وماقيل من ان قوله من الظلم ظرف مستقر صفة داج والمراد من الظلم الليل مجازا فبعيد كل البعد ثم اعلم انهم قالوا ان انكار معراجه عليه السلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكونه بروحه وجسده كفر بلا نزاع واما من المسجد الاقصى الى السموات العلى ففيه اختلافات فمنكره لا يكون كافرا

وبت ترقى الى ان نلت منزلة * من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

فلما كان مظنة ان يتوهم من البيت السابق ان سيره انما كان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى دون غيره من المنازل العلى اراد دفعه فقال وبت ترقى الخ فبت ماض مخاطب من البيتوتة وفى نسخة ظلت بفتح الظاء وكسرها فعلى كلا النسختين بمعنى صرت وترقى بمعنى تصعد والى متعلق بترقى ونلت بكسر النون ماض مخاطب من النيل بمعنى الوصول ومنزلة بالنصب مفعول نلت ومن بيان للمنزلة وقاب قوسين بالنصب محكى على انه محكى عما وقع فى القرءآن والقاب بمعنى المقدار والقوسين من قسى العرب وهو عبارة عن كمال القرب مع رعاية الادب وذكر القوس لكونه مذكورا فى القرءآن والقرءآن بلغة العرب والعرب تجعل الاشياء بالقوس وانما كان قاب قوسين عبارة عن كمال القرب لان عادة العرب ان الاميرين او الخليفتين اذا ارادا الصلح وعقدا العهد والصفاء خرجا بقوسيهما فالصق كل واحد منهما طرف قوسه بطرف قوس صاحبه والمعنى فقد وصلت الى منزلة هى كمال القرب ومعنى قرب الرسول عليه السلام الى الله ودنوه منه انما هو قرب المكانة لا قرب المكان ولا قرب الزمان بل هو قرب اللطف والمحبة بلا مشابهة الى قرب الانسان ولم تدرك مضارع مجهول مؤنث والجملة صفة منزلة اى لم يدرك تلك المنزلة احد من الانسان ولا ملائكة الرحمن بل لم ترم وهو ايضا على صيغة المجهول من الروم بمعنى الطلب اى فقد وصلت الى منزلة لم يطلب تلك المنزلة احد غيرك لانه ممتنع فى حق غيرك فلا وجه لطلب ما هو ممتنع وفى البيت اشارة الى ماورد فى الحديث من انه عليه السلام قال عرج بى جبرائيل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه ربه ما اوحى قال العلامة المرزوقى انه عليه السلام لما قرب الى ربه وكان قاب قوسين قال اللهم انت ما تفعل بامتى قال الله تعالى انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سالنى اعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا استر على العصاة وفى الاخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ثم اعلم ان خاصية هذا البيت انه اذا كان احد معقودا فاراد الفتح فليأخذ ثلاث بيضات وليطبخها فى ماء ثم لينزع قشرها ثم ليكتب المصراع الاول من هذا البيت بالحروف المهملة على اثنتين من تلك البيضات يجعل حروف هذا المصراع منقسمة بينهما والمصراع الثانى على ثالثتها فليؤكل الثالثة المرأة وليؤكل البيضتين الاولين زوجها فان عقده يفتح باذن الله تعالى قال الاستاذ طول الله بقاه وقد جربناه ووجدناه صادقا

وقدمتك جميع الانبياء بها * والرسل تقديم مخدوم على خدم

فلما دفع

فلما دفع شبهة المشتبهين اراد ان يبين بعض ما وقع فى ذلك السير من الفضيلة له عليه السلام والخير فقال وقدمتك جميع الانبياء الخ قدمتك فعل ماض من قدم وهو قد يكون متعديا وقد يكون لازما وههنا من الاول اى جعلك جميع الانبياء امامهم واقتدوا بك وصيروك امامهم وجميع بالرفع فاعل قدمتك وتأنيث فعله باعتبار الاضافة يعنى ان الجميع مضاف الى الانبياء والانبياء جمع وكل جمع مؤنث فالجميع قد اكتسب التأنيث بالاضافة كما فى قولهم قطعت بعض اصابعه وكقراءة تلتقطه بعض السيارة وكقول الشاعر وما حب الديار شغفن قلبى * والنبى اعم من الرسول والباء فى بها بمعنى فى متعلق بقدمت والضمير راجع الى بيت المقدس بقرينة المقام ويكون الحرم الثانى عبارة عنه وقوله والرسل بالجر عطف على الانبياء والرسل بضم الراء والسين جمع رسول لكن يقرأ فى البيت بالسكون لضرورة الوزن وقوله تقديم مخدوم صفة موصوف محذوف بتقدير الجار اى تقديما مثل تقديم المخدوم والمصدر مضاف الى مفعوله وعلى خدم متعلق بالتقديم والخدم بفتحتين بمعنى الخادم والمراد من المخدوم فى هذا المقام رسول الله عليه السلام ومن الخادم سائر الانبياء عليهم السلام والبيت اشارة الى ما وقع فى ليلة المعراج من كونه عليه السلام اماما للانبياء فى المسجد الاقصى وصلاته معهم اذ روى انه لما اتى صلى الله عليه وسلم بيت المقدس نزل عن البراق فربطه فى الحلقة التى كانت الانبياء تربطه فيها فدخل المسجد فاذا المسجد مملوء بالانبياء فاقيمت الصلاة قال عليه السلام فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدى جبرائيل فقدمنى فصليت بهم ثم خرجت من المسجد فجاء جبرائيل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة الحديث ثم اختلف هل كانت تلك الصلاة قبل عروجه عليه السلام الى السماء او بعده والمستفاد من هذا البيت كونها قبل العروج كما لا يخفى وقال القاضى عياض يحتمل ان يكون صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى ثم انهم اختلفوا فى هذه الصلاة هل هى فرض او نفل فعلى رواية انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم قبل العروج تكون نفلا وعلى رواية انه صلى بهم بعده تكون فرضا اعنى الصبح كذا فى المواهب

وانت تخترق السبع الطباق بهم * فى موكب كنت فيه صاحب العلم

لما بين ما وقع فى المسجد الاقصى مما يدل على كمال مرتبته العليا اراد ان يبين ايضا بعض ما وقع له بعده من الامور العجيبة والاسرار الغريبة فى السموات العلى وما فوقهما من العرش وسدرة المنتهى فقال وانت تخترق السبع الخ الواو للعطف او للحال وتخترق من اخترق الطريق اذا قطعه ومر به اى وانت تمر وتقطع وفى اتيان صيغة المضارع مع ان الظاهر صيغة الماضى استحضار للحال الماضية وفى اتيان لفظ تخترق دون غيره رد للفلاسفة القائلين بان الافلاك اجرام اصلية غير قابلة للخرق والالتئام لانها لو كانت قابلة لهما لكانت اجزاؤها قابلة للتفرق فيلزم ان تكون الجهات محدودة قبلها

اذ التفرق لا يكون الا بالحركة المستقيمة والجواب ان الاجسام متماثلة الحقائق تقبل الخرق والالتئام فعلى تقدير تسليمه انما يتم فى المحدود دون ماعداه والسبع بالنصب مفعول تخترق لكنه صفة موصوف محذوف اى السموات السبع كما فى قوله فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة اى فزوجة واحدة والطباق صفة بعد صفة للسموات المحذوفة وهو اما مصدر من طابق فحينئذ له ثلاثة اوجه اولها بمعنى مطابقا بعضها بعضا من طابق النعل وهذا وصف بالمصدر وثانيها ان يكون التقدير ذات الطباق وثالثها ان يكون من قبيل قوله فانما هى اقبال وادبار واما جمع فيكون جمع طبق كجبل وجبال وقيل جمع طبقة وبهم حال من فاعل تخترق والباء للملابسة اى مارا بهم والضمير للانبياء والرسل فيكون اشارة الى ماروى انه عليه السلام حيث قال جاء جبريل فعرج بى الى السماء فلما جئت الى سماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح الباب قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك احد قال معى محمد قال أرسل اليه قال نعم فلما فتح صعدناها فاذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى فسلمت عليه فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة التى عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التى عن شماله اهل النار ثم عرج بى الى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الاول ففتح فصعدناها فاذا فيها يحيى وعيسى ثم الى السماء الثالثة فاذا فيها يوسف عليه السلام ثم الى السماء الرابعة فاذا فيها ادريس ثم الى السماء الخامسة فاذا فيها هرون ثم الى السماء السادسة فاذا فيها موسى ثم الى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليه السلام ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام ففرض الله على امتى خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله على امتك قلت خمسين صلاة قال فارجع الى ربك فان امتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها ثم رجعت الى موسى فقلت وضع شطرها فقال راجع ربك فان امتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها ثم رجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك فان امتك لا تطيق فرجعت فقال هن خمس لا يبدل القول لدى فرجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك فقلت استحييت من ربى الحديث ويجوز ان يكون الباء فى بهم بمعنى مع اى مصاحبا معهم فيكون اشارة الى ما وقع فى بعض الروايات من انه عليه السلام لما صلى فى المسجد الاقصى مع الانبياء صعدوا معه الى السموات العلى وهذا يناسب لسباق البيت ولحاقه كما لا يخفى وقوله فى موكب حال بعد حال اى كائنا فيهم والموكب جماعة الفرسان والمراد به ههنا جماعة الملائكة على الاحتمال الاول فى بهم بناء على ماروى انه عليه السلام صعد بملائكة عن يمينه وملائكة عن شماله وجماعة ارواح الانبياء على الاحتمال الثانى فيه وكنت بصيغة الخطاب وهو مع خبره صفة موكب والضمير فى فيه لموكب والعلم ههنا اما بمعنى الراية فيكون كونه عليه السلام صاحب العلم فيهم كناية عن كونه رئيسهم

لان صاحب العلم فى القوم يكون رئيسهم او بمعنى الجبل فيكون العلم استعارة بمعنى المرتبة كما لا يخفى تعبير استعارته فيكون المعنى فى موكب كنت فيه صاحب المرتبة العالية التى لا مرتبة فوقها

حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق * من الدنو ولا مرقى لمستنم

فلما دل البيت الاول على انه عليه السلام صعد السموات مع الملائكة وتوهم منه انهم عليهم السلام لم يفارقوه عليه السلام حتى وصلوا الى قاب قوسين اراد ان يدفعه بتخصيص ذلك المقام بنبينا عليه السلام فقال حتى اذا لم تدع الخ حتى غاية لقوله تخترق واذا للظرفية المحضة فلا تقتضى الجواب او للشرط فجوابه محذوف او قوله خفضت ولم تدع بمعنى لم تترك والشأو بمعنى الغاية اى لم تترك منتهى ولمستبق اما متعلق بلم تدع او ظرف مستقر على انه صفة شأوا والمستبق على صيغة اسم الفاعل بمعنى طالب السبق وتنوينه للتكثير اى لكل مستبق سواء كان نبيا او ملكا ومن الدنو اما متعلق بلم تدع او صفة شأوا والمراد من الدنو الدنو الى الله ومن الله والمراد من دنوه تعالى نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة اذ لا دنو للحق تعالى ولا بعد له ولا مرقى عطف على شأوا وتكرير النفى للتأكيد والمرقى بفتح الميم وسكون الراء بمعنى المصعد ولمستنم كلمستبق فى التركيب وهو على صيغة اسم الفاعل من استنم بمعنى المرتفع والمراد من المستنم هو جبريل الامين لانه مرتفع ومطمئن اى متمكن لانه ذو قوة عند ذى العرش مكين ففيه اشارة الى ماروى ان جبرائيل عليه السلام لما صعد به عليه السلام حتى انتهى الى سدرة المنتهى وهى شجرة اوراقها مثل آذان الفيلة فى اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان سأل رسول الله جبريل عن هذا فقال له جبريل اما الباطنان ففى الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات فبقى جبريل فى ذلك المقام وقال لو دنوت انملة لاحترقت ولذا قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم وكونه باقيا فى سدرة المنتهى لكون علم الملائكة منتهيا اليها غير متجاوز عنها فالتجاوز عنها خاص بالنبى الجليل غير لائق بمن عداه من الملائكة وجبريل

خفضت كل مقام بالاضافة اذ * نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

لما كان مضمون البيت السابق محل شبهة اراد ان يدفعها بتأكيد ذلك المضمون وتقرير ترقيه عليه السلام الى مرتبة لا مرتبة فوقها فقال خفضت الخ خفضت اما بدل من قوله لم تدع او جواب لاذا والخفض حط رتبة وجعل شئ تحت شئ ومنه الخفض فى الاعراب والمعنى جعلت فى الاسفل وتركت فيه وكل مقام بالنصب مفعول خفضت والمقام بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل القيام اى كل مقام من مقامات الانبياء فان قلت ما الفرق بين المقام بفتح الميم والمقام بضم الميم قلت الفرق بينهما مختلف فيه قال بعضهم اذا قرئ من الثلاثى يقرأ بالفتح نحو قام زيد مقام عمرو واذا قرئ من المزيد يقرأ بالضم نحو اقيم فلان مقام عمرو ورده المولى ابو السعود حين سأل سائل بقوله

يا وحيد الدهر يا شيخ الانام * افتنا فرق المقام والمقام

فقال الفرق بينهما انه اذا قيل اقيم فلان او قام فلان مقام فلان نظر الى فلان الثانى ان كان المقام له يقال مقام بفتح الميم سوآء قرئ الفعل اقام او قام وان كان لغير فلان الثانى فى نفس الامر يقال مقام بضم الميم سوآء قرئ الفعل اقيم او قام كالباء من حروف القسم لانها اصل فى القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو فاذا قيل التاء اقيم مقام الواو يقال المقام بالضم لان المقام ليس للواو بل للباء فاذا قيل الواو اقيم مقام الباء يقال المقام بفتح الميم لان المقام للباء فى نفس الامر لانها اصل فى القسم وما وقع فى هذا المقام بفتح الميم كما لا يخفى على ذوى فهم قويم و بالاضافة متعلق بخفضت والمراد من الاضافة ههنا معناها اللغوى اعنى النسبة والمعنى بنسبتك الى مقامك لان مقامك ارفع من مقامات جميع الانبياء والملائكة و يقول هذا الفقير يحتمل ان يكون مراده من الاضافة الاضافة التى وقعت فى سورة الاسرآء اى فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده حيث اضيف العبد المراد به رسولنا الذى له كمال فى العبودية لا كمال فوقه الى المعبود الذى لا معبود فوقه فيكون اشارة الى كون المعراج بجسده وروحه عليه السلام لان العبد انما يطلق عليهما معا كما سبق واذ ظرف لقوله خفضت اعلم انهم قالوا ان كلمة اذ تستعمل على اربعة اوجه الاول ان يكون اسما للزمان الماضى فحينئذ قد يكون ظرفا نحو فقد نصره الله اذ اخرجه الذين الآية وقد يكون بدلا من المفعول نحو واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت وقد يكون مفعولا به نحو واذكروا اذ انتم قليل وقد يكون مضافا اليه لاسم زمان نحو يومئذ والثانى ان يكون اسما للزمان المستقبل نحو يومئذ تحدث اخبارها والثالث ان يكون للمفاجأة نحو خرجت اذ زيد قائم لكن هذا قليل الرابع ان يكون للتعليل نحو لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وما وقع فى هذا المقام من اول الاول ومن جعله للتعليل فلم يأت بشئ يشفى العليل * ونوديت فعل ماض مجهول على صيغة الخطاب من النداء بمعنى طلب الاقبال والمنادى هو الله تعالى حيث روى انه تعالى قال له عليه السلام فى تلك الليلة ادن يا محمد وقوله بالرفع اى ملتبسا برفع الله اياك فالمراد بالرفع معناه اللغوى اعنى الارتفاع لا النحوى ومثل بالنصب صفة مصدر محذوف منصوب على المفعول المطلق والمفرد بمعنى المنفرد الواحد فى قومه والعلم بفتحتين بمعنى العالى والتشبيه فى الارتفاع والامتياز عن سائر جنسه وحاصل معنى البيت جعلت وتركت فى الاسفل كل مقامات الانبياء ومراتب الاصفياء ببركة اضافتك الى الرب الكريم * وشرافة نسبتك الى الخالق العظيم * حين طلب الله تعالى اقبالك بفضله وعنايته مميزا اياك عن سائر الناس * مثل ما يطلب المميز فيما بين الانام * بنحو يا هذا الرجل بالتعظيم والاكرام ثم اعلم ان فى هذا البيت من صنائع البديع صنعة مراعاة النظير وهى جمع امر وما يناسبه لا بالتضاد حيث جمع بين الخفض والاضافة وبين النداء والرفع والمفرد العلم وصنعة الطباق وهو الجمع بين المعنيين المتقابلين فى الجملة يعنى بين الخفض والرفع كما لا يخفى على اهل الصنع والصنائع والله الحافظ من الموانع

كيما تفوز بوصل اى مستتر * عن العيون وسر اى مكتتم

فلما ذكر سيره ومعراجه عليه السلام من الارض الى السموات العلى بالاكرام وكانت علته الغائية خفية بين اولى الاوهام اراد ان يبينها باختصار فى الكلام فقال كيما تفوز الخ فكى حرف جر بمعنى اللام للتعليل وما زائدة وتفوز منصوب بان مقدرة بعد كى او منصوب بكى فيكون كى بمعنى ان واللام مقدرة قبلها وتفوز من الفوز بمعنى الظفر وبوصل متعلق بتفوز والمراد من الوصل الوصلة الى الله تعالى واى مستتر صفة لمحذوف اى بوصل مستتر اى مستتر بمعنى كامل الاستتار وعن العيون متعلق بمستتر والعيون جمع عين بمعنى الباصرة والمراد جميع عيون الناس حتى عن اعين الملائكة والانبياء وقوله وسر بالجر معطوف على بوصل واى مكتتم كاى مستتر بمعنى كامل فى الاكتتام ثم اعلم ان فى قوله بوصل اشارة الى رؤيته عليه السلام ربه والمناجاة له وقد اختلف القوم فى انه عليه السلام رأى الله تعالى فى ليلة الاسرآء بقلبه او بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرأى بفؤاده فيكون معنى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) على هذا ما كذب الفؤاد ما رأى به الفؤاد وقال بعضهم رأى بعينه لقوله عليه السلام ان الله اعطى موسى الكلام واعطانى الرؤية وقوله عليه السلام رأيت ربى فى احسن صورة اى صفة قال فى الكواشى هذا لا حجة فيه لانه يجوز انه اراد الرؤية بالقلب بان زاده معرفة على غيره وقال الحق فى روح البيان يقول الفقير اراد الرؤية فى مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لان موسى سألها فمنع منها فاقتضى ان يفضل نبينا عليه السلام بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولا شك ان الرؤية القلبية يشترك فيها جميع الانبياء حتى الاولياء وقد صح ان موسى عليه السلام رأى ربه بعين قلبه حين خر فى الطور مغشيا عليه وحمله على زيادة المعرفة لا يجدى نفعا انتهى وقال بعض الفضلاء ذكر الله فى الآية رؤية فؤاده عليه السلام ولم يذكر رؤية العين لان رؤية العين سر بينه وبين حبيبه والى هذا اشار الناظم بقوله وسر اى مكتتم والحاصل انا نذهب الى صحة رؤيته بعينه وبقلبه لحديث رواه مسلم فى صحيحه رأيت ربى بعينى وبقلبى ولكنا عاجزون عن درك كيفيتها وفى قوله وسر اى مكتتم اشارة الى اسرار لا تنكشف لاحد غير محمد عليه السلام على ما يدل عليه قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما اوحى) قال بعض الفضلاء ستر الله بعض ما اوحى الى عبده عليه السلام عن الخلق لئلا يطلع عليه غيره لان ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته اذ بين الاحباب يجرى من الاسرار ما لا يطلع عليه غيرهم من الاجانب والاغيار انتهى قال الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذى خطر * والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندى فى بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

وقال آخر

بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجه انس يقابله * نور يحير فى بحر من التيه

وقال بعض اهل الحال لو بين كلمة من تلك الاسرار لجميع الاولين والآخرين لماتوا جميعا

من نقل ذلك الوارد الذى ورد من الحق على قلب عبده وتحمل ذلك المصطفى عليه السلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية البسه الله اياها ولولا ذلك لم يتحمل ذرة منها لانها انباء عجيبة واسرار ازلية لوظهرت كلمة منها لتعطلت الاحكام ولفنيت الارواح والاجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والعلوم وقال بعض المفسرين ان ما اوحى اليه عليه السلام تلك الليلة على اقسام قسم اداه الى العوام وهو الاحكام والشرآئع وقسم اداه الى الخواص وهو المعارف الالهية وقسم اداه الى اخص الخواص وهو الحقائق والنتائج للعلوم الذوقية وقسم آخر بقى معه لكونه مما خصه الله تعالى به وهو السر الذى بينه وبين الله تعالى عز وجل

فحزت كل فخار غير مشترك * وجزت كل مقام غير مزدحم

لما بين العلة الغائية للمعراج من الوصلة الى جمال الرب الفراج ومن نيله السر الذى لم يطلع عليه احد من الاولياء والانبياء والملائكة الذين هم فى السموات كالسراج الوهاج اراد ان يبين بعض ما يتفرع على تلك الوصلة من الفضائل والفواضل التى تورث للامة السرور والابتهاج وما يدفع به بلاياهم فى الدنيا وما ينجيهم فى الآخرة من عذاب ذى امواج فقال فحزت كل فخار الخ الفاء للتفصيل والتفريع وحزت على صيغة الخطاب كقلت من حاز بمعنى جمع والخطاب له عليه السلام اى جمعت وكل بالنصب مفعول حزت والفخار بكسر الفا ما يفتخر به من الفضائل والفواضل والشمائل وغير بالنصب على انه حال من فاعل حزت او على انه صفة كل او مجرور على انه صفة لفخار وجزت عطف على حزت وهو بالجيم والزاى من الجواز كما كان الاول بالحاء المهملة والزاى من الحوز وجزت بمعنى عبرت وذهبت وتعديت وكل مقام ككل فخار وغير مزدحم كغير مشترك والمزدحم كالمشترك اذ كلاهما اسم مفعول بمعنى المصدر فالمشترك بمعنى الاشتراك والمزدحم بمعنى الازدحام بمعنى الاجتماع والمنازعة قال بعض الفضلاء المراد بكل فخار غير مشترك مثل الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والشفاعة العظمى والمقام المحمود واللوآء الممدود ومن المقام الغير المزدحم مقام المحبة وختم النبوة والرسالة العامة وامثالها مع ما فيه من الاشارة الى ما روى عنه عليه السلام فى حديث الاسرآء حيث قال فتقدمت وجبريل على اثرى حتى انتهى بى الى حجاب الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبرآئيل ومعى محمد قال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى فوضعنى بين يديه فى اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق الملك فى اسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال ملك من ورآء الحجاب من هذا قال انا صاحب حجاب الذهب وهذا محمد معى فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى حتى وضعنى بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزنى سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملنى حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا

عظيما ثم تدلى لى قطرة من العرش فوقعت على لسانى فما ذاق الذآئقون شيأ قط احلى منها وانبانى الله بها انبأ الاولين والآخرين الحديث

وجل مقدار ما وليت من رتب * وعز ادراك ما اوليت من نعم

لما كان فى ليلة المعراج اسرار بين رسولنا وربنا الفراج وكانت تلك الاسرار مكنونة عند الاخيار والابرار حتى عجز كل من بين اخبار تلك الليلة العظيمة عن بيان تلك الامور الجليلة اراد الناظم الفاهم ايضا بيان عجزه عنها ببيان جلالة ما وقع فيها وبيان عدم ادراك احد من الخلائق ما كان بينهما من الاسرار والدقائق فقال وجل مقدار الخ الواو للاستئناف وجل بمعنى عظم والمقدار بالرفع فاعل جل ووليت ماض مجهول على صيغة الخطاب من ولاه اى جعله واليا ومن رتب بيان لما والرتب جمع رتبة وعز معطوف على جل وعز اى عسر وندر والادراك الاحاطة بالشئ ذاتا وصفة واوليت ماض مجهول على صيغة الخطاب ايضا لكنه من اولاه بمعنى اعطاه والمعنى ما اعطيت ومن نعم بيان لما والنعم بكسر النون وفتح العين جمع نعمة وفى قوله ما وليت من رتب اشارة الى كونه عليه السلام واليا يوم القيامة على اهلها بالشفاعة حيث اعطى له الشفاعة ليلة المعراج وكذا مما اعطى له فيها ما اوحى اليه من ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وقوله تعالى له عليه السلام لولاك لولاك لما خلقت الافلاك وكذا اعطى له فيها قوة جبروتية يهلك بها اعدآءه وغير ذلك مما لا يحيط به قلم وفى قوله ما اوليت من نعم اشارة الى اعطائه تعالى له عليه السلام فيها علم الاولين والآخرين وجعل امته خير الامم وارسال النصيحة لامته حيث روى عنه عليه السلام انه قال شكاى الله من امتى ليلة المعراج شكايات الاولى انه قال انى لم اكلفهم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد والثانية انه قال لا ادفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيرى والثالثة انه قال انهم يأكلون رزقى ويشكرون غيرى ويخونون معى ويصالحون خلقى والرابعة ان العزة لى وانا المعز وهم يطلبون العز من سواى والخامسة انى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم فيها وقال قل لامتك ان احببتم احدا لاحسانه اليكم فانا اولى به لكثرة نعمى عليهم وان خفتم احدا من اهل السماء والارض فانا اولى بذلك لكمال قدرتى وان انتم رجوتم احدا فانا اولى به وان انتم استحييتم من احد لجفائكم اياه فانا اولى به لان منكم الجفاء ومنى الوفاء وان انتم آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك لانى معبودكم وان صدقتم احدا فى وعده فانا اولى بذلك لانى انا الصادق وكذلك قال له عليه السلام يا محمد لم اكثر مال امتك لئلا يطول حسابهم يوم القيامة ولم اطل اعمارهم لئلا تقسو قلوبهم ولم الجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة واخرتهم فى الدنيا عن الآخرين لئلا يطول فى القبور حبسهم كذا فى روح البيان تفسير القرءآن لاسماعيل حقى صاحب الكشف والعرفان

بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا * من العناية ركنا غير منهدم

لما بين من اول هذه القصة اللطيفة الى هنا مايدل على افضليته عليه السلام واشرفيته من جميع الانام وعلو رتبته وسمو درجته وكونه نائلا النعم الكثيرة والاسرار والكلم الغفيرة وكأن قائلا قال هل اصاب شئ امته من تلك النعم وهل طاب لهم ذلك العروج وكان فى حقهم من الكرم اجاب عنه بالبشارة والسرور و بيان نعمة ما اصابهم من ذلك العبور فقال بشرى لنا الخ بشرى اما خبر مبتدأ محذوف اى هذه القصة بشرى ولنا صفة او مبتدأ اى بشرى قد ثبتت واما بشرى مبتدأ خبره لنا فحينئذ يرد عليه ان بشرى نكرة والمبتدأ لا يكون نكرة و يجاب بانه مخصص لانه موصوف بصفة محذوف اى بشرى عظمى او بانه فاعل فى المعنى اى ماثبت بشرى ثم ان البشرى بمعنى المسرة والفرح ومعشر بالنصب على انه منادى او على الاختصاص كما فى الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث والمعشر بمعنى الجماعة قال فى كليات ابى البقا كل جماعة امرهم واحد فهو معشر والتسمية بجماعة الاسلام خاص بهذه الامة لان التسمية باسم المسلم من خصائصهم كما سيأتى وقوله ان بكسر الهمزة تعليل للدعوى المستفادة مما سبق اى البشارة مخصوصة لنا فترتيب قياسه هكذا البشارة خاصة لنا يامعشر الاسلام لان لنا من العناية ركنا غير منهدم وكل من شأنه كذا فالبشارة خاصة له فينتج المطلوب ولنا ظرف مستقر مرفوع على انه خبر ان واسمه قوله الآتى ركنا ومن العناية ظرف مستقر منصوب على انه حال من ركنا قدم على ذى الحال لكونه نكرة وجعله صفة لركنا بعيد كل البعد كما لا يخفى والمراد من العناية مزيد الاعتناء بمصالحهم والكرامة عليهم وهى العنايات الازلية التى تورث السعادة الابدية وهى الخصائص التى لم توجد فى سائر الامم منها احلال الغنائم ولم تحل لامة قبلها ومنها انه جعل الارض لهم مسجدا ومنها انه جعل تراب الارض لهم طهورا ومنها الوضوء فانه لم يكن الا للانبياء دون اممهم ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد غيرهم ومنها الاذان والاقامة ومنها البسملة حيث لم تنزل على احد من الامم ومنها التأمين خلف الامام ومنها الاختصاص بالركوع ومنها الصفوف فى الصلاة كصفوف الملائكة ومنها الجمعة ومنها ساعة الاجابة التى فى الجمعة ومنها انه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر اليه لا يعذبه ابدا وتزيين الجنة لهم فيه واستغفار الملائكة لهم فى كل ليلة منه وكون ذنوبهم مغفورة جميعا فى آخر ليلة منه ومنها السحور وتعجيل الفطر ومنها ليلة القدر ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة ومنها ان الله رفع عنهم الاصر والاغلال ومنها ان الله لم يجعل عليهم فى الدين من حرج ومنها ان الله رفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم الا الانبياء ومنها ان شريعتهم اكمل الشرائع ومنها انهم لا يجتمعون على الضلالة ومنها ان اجماعهم حجة واختلافهم رحمة ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا ومنها ان الطاعون شهادة ورحمة لهم وكان على سائر الامم عذابا ومنها انهم اذا شهد منهم اثنان لعبد بخير وجبت له الجنة ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة فضيلة من خصائص

هذه الامة ومنها انهم اوتوا تصنيف الكتب ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجباء وابدالا ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب لانها تغفر لهم باستغفار المؤمنين لهم ومنها انهم اختصوا فى الاخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من بين الامم ومنها انهم يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ومنها انهم يكونون فى الموقف على مكان عال ومنها انهم يؤتون كتابهم بايمانهم ومنها انهم يدخل الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب ومنها انهم يدخلون الجنة قبل سائر الامم وركن الشئ جانبه الاقوى الذى يستند ذلك الشئ اليه لغة قال تعالى او آوى الى ركن شديد وفى الاصطلاح ركن الشئ ما يقوم بذلك الشئ والمراد ههنا معناه اللغوى اعنى معنى المستند يعنى ان لنا مستندا وطرفا قويا وهو النبى عليه السلام وشريعته وغير منهدم بالنصب صفة ركنا ومنهدم اسم فاعل من الانهدام بمعنى الزوال والمعنى غير مخوف انتساخه فان هذه الشريعة باقية الى يوم التناد بعناية رب هاد

لما دعا الله داعينا لطاعته * باكرم الرسل كنا اكرم الامم

لما كانت الصغرى المذكورة فى البيت السابق اعنى قوله ان لنا من العناية الخ نظرية اراد ان يثبتها فقال لما دعا الله الخ فترتيب قياسه هكذا ان لنا من العناية ركنا متينا لانه لما دعا الله داعينا لطاعته باكرم الرسل كنا اكرم الامم وحينما كنا اكرم الامم فان لنا من العناية ركنا غير منهدم لكن المقدم حق فالتالى مثله ثم ان لما ظرف بمعنى اذ يليه فعل ماض لفظا او معنى وههنا وليه ماض لفظا ويكون جوابه فعلا ماضيا لفظا كما وقع ههنا او معنى اتفاقا وقد يكون جوابه ماضيا مقرونا بالفاء وقد يكون جملة اسمية مقرونة باذا المفاجأة وبالفاء عند ابن مالك وفعلا مضارعا عند ابن عصفور وقد يكون لما حرف استثناء بمعنى الا فتدخل على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اى الا عليها وقد يكون فعلا نحو لم لما وتكون جازمة اذا دخلت على المضارع قال فى الارشاد فى قوله تعالى وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا ان لما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد منه الوقت المعين انتهى وكذلك ما وقع ههنا ودعا بمعنى سمى والله فاعله وداعينا مفعول دعا وسكون يائه للضرورة والداعى ههنا بمعنى الهادى والسفير للدعوة والمراد به رسول الله عليه السلام ولطاعته اللام بمعنى الى متعلق بداعينا والطاعة بمعنى العبادة والضمير اما راجع الى الله او الى الداعى المراد به الرسول والطاعة اليه طاعة الى الله ولذا قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله الآية وباكرم الرسل متعلق بدعا الله ووجه تسميته تعالى اياه عليه السلام باكرم الرسل قد ثبت بالاخبار الصحيحة كقوله عليه السلام انا اكرم الخلق على الله وآدم ومن دونه تحت لوائى وقد سبق تفصيله وكنا جواب لما واكرم الامم بالنصب خبر كنا والامم جمع امة والامة بمعنى الجماعة فان كل امة جماعة لنبيهم والنبى امامهم والحاصل ان كونه عليه السلام اكرم الرسل سبب لكوننا اكرم الامم لان الامة تابعة والنبى متبوع فاكرمية التابع انما هى من اكرمية المتبوع وبعض اهل الكلام من العلماء الاعلام جعل القضية

بالعكس كما لا يخفى على اولى الافهام ثم اعلم انه مما يدل على اكرمية هذه الامة حديث ذكره ابو نعيم فى الحلية عن انس انه قال قال رسول الله عليه السلام اوحى الله الى موسى نبى بنى اسرائيل انه من لقينى وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال تعالى ما خلقت خلقا اكرم على منه كتبت اسمه مع اسمى فى العرش قبل ان اخلق السموات والارض وان الجنة محرمة على جميع خلقى حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم صائمون بالنهار ورهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال موسى فاجعلنى نبى تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلنى من امة ذلك النبى قال استقدمت واستأخرت ولكن ساجمع بينك وبينه فى دار الجلال

راعت قلوب العدى انباء بعثته * كنبأة اجفلت غفلا من الغنم

لما فرغ من قصة المعراج وما يتعلق به من حصول الوصول وقطع كل مراتب من الفروع والاصول وصعوده الى ما فوق سدرة المنتهى وبلوغه الى المقصود والمنى شرع فى بيان بعض غزواته وشجاعة صحابته فى مجاهدة الجهاد لدفع اهل الكفر والعناد وتطهير الارض من اهل الزيغ والفساد فبين اولا وقوع الخوف فى قلوبهم بهيبة اخبار بعثته وانباء نبوته فقال راعت قلوب العدى الخ راعت من الروع بمعنى التخويف وقلوب العدى بالنصب مفعول راعت وهو جمع قلب وهو محل الادراك وكيفية ادراكه مجهولة وكونه عبارة عن الروح المسمى بالقوة العاقلة والنفس الناطقة على ما فى التلويح لم تقم عليه شبهة فضلا عن الحجة وقد يطلق على المضغة التى فى الجانب الايسر والمراد به ههنا المعنى الاول كما لا يخفى والعدى بكسر العين مقصور راجع عدو كالاعداء والمراد بهم اعداء الدين اعنى الكفار والمشركين والانباء بالرفع فاعل راعت وهى جمع نبأ بمعنى الخبر وخبر البعثة وان كان فى ذاته واحدا جمع بالنظر الى المخبر به لانه كثير او باعتبار المخبرين او جمعه مجاز للتعظيم لشأنه فتدبر والبعثة مصدر بمعنى الرسالة والنبوة والضمير راجع اليه عليه السلام اى كونه مرسلا وكونه مدعيا النبوة واظهار بطلان اديانهم وكسر اصنامهم فى عيانهم ثم اتى بنظير لكون اعدائه متفرقة بخبر نبوته فقال كنبأة الخ النبأة بمعنى صوت الاسد وجملة اجفلت صفة نبأة وهو من الافعال بمعنى الاهراب اى اهربت وفرقت وافزعت وغفلا بالنصب مفعول اجفلت والغفل بضم الغين جمع غافل والغنم اسم جنس يقع على الكثير والقليل وحاصل المعنى ان اخبار نبوته وآثار بعثته خوفت قلوب الاعداء من الكافرين من اهل الكتاب والمشركين مثل صيحة الاسد اهربت الاغنام الغافلة وفرقت جمعهم بهيبة عالية وفى هذا البيت اشارة الى نصرته عليه السلام بالرعب از ورد فى الحديث الصحيح انه عليه السلام قال نصرت بالرعب مسيرة شهر وفى حديث شهرين حيث وقعت الهيبة فى قلوبهم بلا جهاد ولا مقاتلة بل من عند الله فكانوا يجيئون من الاقطار ويؤمنون بالنبى المختار

ما زال يلقاهم فى كل معترك * حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

ثم شرع فى بيان جهاده وقتاله فى المعارك والكتائب وكونه غالبا عليهم بالرماح والقواضب فقال ما زال يلقاهم الخ ما زال بمعنى دام مجازا ويلقاهم من اللقاء بمعنى الملاقاة وفاعله راجع اليه عليه السلام وضمير مفعوله راجع الى الكفار ويقرأ يلقاهم باشباع ضمة الميم لضرورة الوزن والمعترك على صيغة المفعول بمعنى المعركة ومحل الحرب يعنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى الكفار فى محل الحرب كما خرج لاجل المقاتلة ويغلب عليهم وكان عدد مغازيه عليه السلام التى خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين مرة قاتل فى تسع منها بنفسه بدر واحد والمريسيع والخندق وبنى قريظة وخيبر وحنين والطائف وفتح مكة وسيأتى بيان بعضها ان شاء الله تعالى وحتى متعلق بمقدر اى كان يلقاهم فى كل معترك ويقتلهم حتى حكوا وحكوا من حكى بمعنى شابه كما فى قوله

ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

وضمير الجمع راجع الى الكفار يعنى شابه الكفار بالقنا وهو بفتح القاف بمعنى الرمح والباء فيه للسببية وفيه حذف مضاف اى بسبب ضرب القنا ولحما منصوب مفعول لحكوا وعلى وضم ظرف مستقر على انه صفة لحما والوضم بفتحتين خشب او حديد يقطع القصاب اللحم ويعلقه عليه ويترك معدا لكل من يميل اليه ويرغب فيه وحاصل معنى البيت دام النبى عليه السلام مجاهدا اعداء الاسلام فى كل معركة وكتيبة حتى تركهم جرحى وقتلى على رؤس القنا متشابهين اللحم الموضوع على الخشب والمتروك فى العيان بلا حجب ولا يخفى ما فيه من تشبيه الاصحاب بالقصاب والكفار بالغنم ورماح الاصحاب بسلاح القصاب فى كمال شجاعته واصحابه واتباعه واحزابه وكون قلوب الاعداء فى غاية الجبانة فى السر والعلانية وكون موتاهم معلقة على الرماح مع فضاحة وافتضاح

ودوا الفرار فكادوا يغبطون به * اشلاء شالت مع العقبان والرخم

لما بين خروجه عليه السلام والملاقاة للكفار وقتلهم بعناية الملك الجبار اراد ان يبين بعض ما وقع فى تلك الغزوات من انهزام اهل النار وهربهم منه عليه السلام بلا قرار مع سرعتهم بتواطئ بعضهم بعضا فى الفرار فقال ودوا الفرار الخ ودوا من الود بمعنى المحبة يقال وده اى احبه او بمعنى التمنى وضمير الجمع للكفار والفرار بالنصب مفعول ودوا يعنى ان الكفار احبوا الفرار من المقابلة له عليه السلام والجهاد لعدم اقتدارهم على المقابلة بل على المقاولة والفاء فى فكادوا للعطف والتفسير لودوا وكاد من افعال المقاربة اى قربوا وجملة يغبطون بالنصب خبر كاد وهو من غبط يغبط كضرب يضرب وقال فى القاموس كضرب وسمع والاسم الغبطة بكسر الغين وهى تمنى حصول مثل النعمة الحاصلة للغير من غير زوالها وقد يراد بالغبطة لازمها وهى المحبة والسرور والمراد ههنا هو المعنى الاول والفرق بين الغبطة والحسد قد سبق قبيل مبحث الايات فتذكر وبه متعلق بيغبطون والباء سببية والضمير راجع الى الفرار واشلاء بالنصب مفعول

يغبطون وهى كاشياء جمع شلو بمعنى العضو وشالت بمعنى ارتفعت وجملة شالت منصوب محلا على انه صفة اشلاء فضميره راجع اليها ومع حال من فاعل شالت ولا يجوز ان يكون ظرفا للشالت كما ذهب اليه بعض الشارحين لانهم قالوا ان كلمة مع تستعمل على ثلاثة اوجه بمعنى الحال نحو جاءنى زيد مع عمرو وبمعنى الظرف والظرف اما ان يكون بمعنى بعد او بمعنى عند ولا يجوز ان يكون ما وقع ههنا من هذين المعنيين فيكون حالا لا ظرفا كما لا يخفى والعقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من سباع الطير يصاد ويصاد به والرخم بفتحتين جمع رخمة وهو ايضا نوع من الطير الذى يقع على الميتة وفى بعض الاوقات يرفع الدجاجة ومن قال ان الرخم جنس واحده رخمة فقد غفل عن كتب اللغات كما لا يخفى على الثقات وحاصل معنى البيت ان اهل الشرك والعناد انهزموا فى الجهاد وتمنوا الفرار من مجاهدة سيد الابرار فقاربوا من كمال خوفهم وتفرة جوفهم ان يكونوا مثل قطع اللحم التى ترفعها الطيور كى يخلصوا من جهاد نبى الله الغفور

تمضى الليالى ولا يدرون عدتها * مالم تكن من ليالى الاشهر الحرم

لما بين انهزامهم وفرارهم لخوفهم من القتال اراد ان يبين كون خوفهم باقيا فيهم فى كل حال بلا مفارقة عنهم ولا زوال وكون رهبهم حاملا اياهم على حال لم يعرفوا عدد الايام من الشهور والاعوام حتى تجىء الايام المعدودة فى الشهور الاربعة المعهودة فقال تمضى الليالى الخ تمضى بمعنى تمر والليالى فاعل تمضى وفى الليالى تغليب المؤنث على المذكر اعنى الايام فانه وان كان الاصل تغليب المذكر على المؤنث كما فى القمرين للشمس والقمر وكما فى الايات الكثيرة كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لكن غلب ههنا على خلاف الاصل بناء على الاصل ولان فى ذكر الليالى ايماء الى سوء حال اوقاتهم فان ظلمة الزمان وسواده كناية عن ذلك ولان فيه اشارة الى ان حالهم فى الليالى التى هى اوقات الاستراحة كانت كذلك فكيف زمان ايامهم المخلوطة بالكدورات ومن لم يجعله من باب التغليب بل جعله من قبيل قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر فليس له من الفهم نصيب ولا يدرون الواو للحال ويدرون من الدراية اى لا يعلمون وعدتها بالنصب مفعول يدرون والعدة بكسر العين بمعنى العدد وضميره راجع الى الليالى اى لا يعرفون عدد الايام والليالى لشدة قتاله عليه السلام وغاية خوفهم منه حيث كان تصورهم وفكرهم فى كل زمان وآن التخلص من عذاب الحر والنيران وما فى مالم تكن ظرفية مصدرية اى دوام لم تكن وضمير المؤنث فى تكن راجع الى الليالى ومن متعلق بلم تكن والاشهر جمع شهر والحرم بالجر صفة الاشهر وهو بضمتين جمع حرام والمراد بالاشهر الحرم اربعة اشهر وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب والمحرم اول الشهور ولذا يدخل عليه الالف واللام فى اكثر استعماله وعدوا الشهور اثنى عشر شهرا اولها المحرم وكان اسم المحرم فى صدر الجاهلية المؤتمر لانهم كانوا يأتمرون فيه من الغارات فسمى بالمحرم لتحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على ابليس وثانيها صفر وكان اسمه فى الجاهلية ناجر

لانه تنجر فيه الابل اى تهزل فسمى صفرا لاصفرار الاشجار فيه اولا صفار مكة من اهلها اذا سافروا ويقال دار صفر اى خالية اولا صفرار وجوههم حين وقع فى الناس حمى او وباء وثالثها ربيع الاول وكان اسمه فيها خوان ورابعها ربيع الاخر وكان اسمه فيها بصان فسميا بهما لارتباع الناس فيهما اى اقامتهم فى الخصب وخامسها جمادى الاولى وكان اسمها فيها حنين وسادسها جمادى الاخرة وكان اسمها فيها رنى فسميا جمادين لجمود الماء فيهما وجميع الشهور مذكرة الا جمادين وسابعها رجب وكان اسمه فيها الاصم لانه لا يسمع فيه صوت السلاح فسمى رجب لتعظيم الله وتعظيمهم له وفى الروضة لم يعذب الله امة محمد فى رجب وثامنها شعبان وكان اسمه فيها عجلان ثم سمى شعبان لانشعاب القبائل فيه وتفرقهم بالغارات اولا نشعاب الخير فيه وتاسعها رمضان وكان اسمه فيها ناتقا فسمى رمضان لانه ترمض فيه الذنوب اى تحرق اولرمض الفصال وعاشرها شوال وكان اسمه فيها العاذل ثم سمى بشوال لشول الناقة فيه بذنبها ليعلم الذكر انها حامل اولان العرب كانت تشول فيه اى تنسرح عن امكنتها وحادى عشرها ذو القعدة وكان اسمه فيها رنة ثم سمى ذا القعدة لقعودهم فى رحالهم عن العدو والحرب وثانى عشرها ذو الحجة وكان اسمه فيها برك ثم سمى ذا الحجة لاداء الحج فيه فاعلم ان تسمية هذه الشهور بهذه الاسامى انما هى بالنظر الى ما وقع يوم تسميتها ولا يلزم كلية وجه التسمية كما لا يخفى ثم اعلم ان عدد ايام الاسبوع سبعة اولها السبت كما يدل عليه قول الشاعر

الم تران الدهر يوم وليلة * يكران من سبت عليك الى سبت

وكان اسماء ايام الاسبوع فى الجاهلية ايضا غير الاسماء المعهودة حيث كانوا يقولون للاحد اول وليوم الاثنين اهون وللثلاثاء جبار وللاربعاء دبار وللخميس مؤنس وللجمعة العروبة وللسبت شيار ثم ان اسماء ايام الاسبوع من الاعلام الغالبة فيلزمها اللام وقد يجرد لفظ الاثنين من اللام وحاصل معنى البيت ان الكفارة بلغوا الى حال قد كانت تمر الليالى ولا يعلمون عددها من شدة الالام والهموم لما رأوا فيها من المقاساة والغموم وغابوا عن حساب الايام والليالى مالم تجىء ايام الاشهر الحرم والليالى فاذا جاءت تلك الاشهر الاربعة المكرمة كانوا فى بيوتهم بالاستراحة متنعمة لكون النبى فارغا عن القتال فى تلك الاشهر بلا زوال لكونه مشغولا بعبادة ربه الكبير المتعال ذى الجمال والجلال

كانما الدين ضيف حل ساحتهم * بكل قرم الى لحم العدى قرم

لما بين انهزام المشركين فى المقاتلة وفرارهم وعدم قدرتهم على المقابلة وكان مظنة ان يسئل عن سبب الانهزام وباعث عدم قرارهم فيها والقيام اراد كشف القناع واللثام عن وجه سببه وبيان كون باعثه مقابلتهم بالاسلام وقد ورد ان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فى كل عام فقال بتشبيه لطيف كانما الدين الخ فكأن للتشبيه وما كافة والدين فى اللغة بمعنى العادة بدليل قول الفراء دين الرجل عادته وبمعنى الحساب كقوله تعالى ذلك الدين القيم اى الحساب المستقيم وبمعنى الجزاء خيرا وشرا كما فى قولهم كما تدين

تدان وقول الحماسة

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

وفى العرف وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى ماهو خيرلهم بالذات ثم ان الدين يقع على الحق والباطل جميعا لكونه عبارة عما يعتقد سوآء كان حقا او باطلا ولهذا يقال دين اليهود والنصارى باطل ودين الاسلام حق والمراد بالدين ههنا الاسلام لان الدين عند الله الاسلام ويمكن ان يراد بالدين ههنا صاحب الدين وداعيه وموجده اعنى النبى عليه السلام مجازا من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب والضيف بمعنى المسافر فالدين مشبه والضيف مشبه به وجملة حل ساحتهم صفة ضيف بيان لوجه الشبه مع قيوده وحل بمعنى نزل والساحة بمعنى ماحول الدار وضمير الجمع راجع الى الكفار وبكل قرم حال من فاعل حل اى ملتبسا او مصحوبا والقرم بفتح القاف وسكون الرآء بمعنى السيد والمراد بكل قرم صحابة رسول الله عليه السلام والى لحم العدى متعلق بقرم المؤخر والمراد من العدى الكفار وقرم بالجر صفة بعد صفة لضيف اوصفة لكل قرم وهو الاقرب لفظا ومعنى والقرم بفتح القاف وكسر الرآء بمعنى شديد الاشتهاء الى اللحم وحاصل معنى البيت ان دين الاسلام او صاحبه اعنى نبينا افضل الانبياء الفخام مثل سلطان نزل للضيافة فى ساحة دارهم مستوليا على حيطان بلادهم مصاحبا لجنود كلهم ازمة الاسلام والسادات الكرام مطيعين لسيدهم مع القيام فى خدمته بالاهتمام مشتهين الى لحوم العدى وازالة الاشقياء وتمزيق اجسادهم وتخريب بلادهم واسر اولادهم مع الغلبة فى كل الايام والاسلام لا يقبل الانهزام لانه يعلو ويغلب فى كل حال ولا يعلى ولا يكون مغلوبا ولو كانت اعداؤه كالجبال ومن كان خصمه هذا الدين المتين فله فى الدنيا والاخرة عذاب مهين ومن كان فى الدنيا له حبيبا اعطاه الاله من الجنة نصيبا

يجر بحر خميس فوق سابحة * يرمى بموج من الابطال ملتطم

لما اتم بيان انهزام الكفار وسببه وباعثه بكلام لم يبق فيه شبهة للصغار والكبار اراد بيان شجاعة جيشه عليه السلام ومتانة صحابته الفخام وكون عسكره تام الاركان وكونه كثيرا كامل الاطراف بلا نقصان فقال يجر بحر خميس الخ جملة يجر خبر مبتدأ محذوف اى هو يجر والضمير المستتر فيه راجع الى الدين المراد به رسول الله عليه السلام والعدول عن الماضى الى المضارع لاستحضار الصورة البديعة اولتأخر الجر بالنظر الى ذات النبى عليه السلام وبحر بالنصب مفعول يجر واضافة البحر الى الخميس من اضافة المشبه به الى المشبه اى خميس مثل بحر والخميس العسكر الذى تمت اركانه سمى به لكونه مشتملا على خمسة اركان لانهم قسموا العسكر الى خمسة اقسام المقدمة والميمنة والميسرة والساقة والقلب وتشبيه الخميس بالبحر انما هو فى الهيبة والاهلاك وتموج البعض على بعض بلا انفكاك والمراد بجر العسكر ايرادهم فى المحاربات والذهاب بهم الى المقاتلات وفوق صفة خميس وسابحة صفة موصوف محذوف اى خميس كائن فوق خيل

سابحة والسابحة من السبح والسبوح الفرس الحسن الذى يجرى تحت راكبه بلا اتعاب له ولا مشقة عليه كانه سفينة تجرى فى البحر وجملة يرمى صفة خميس فضميره راجع اليه اوراجع الى البحر والموج من ماج البحر اى اضطرب وارتفع بعضه فوق بعض والمراد بالموج ههنا السهام والرماح ففيه استعارة مصرحة بان شبه الرماح والسهام بامواج البحر فى الاهلاك والجريان وامتداد بعضه فوق بعض والهيجان فاستعير الموج للسهام والرماح فذكر الموج واريد السهام والرماح فيرمى قرينة لهذه الاستعارة وقوله من الابطال تجريد اوفى الموج استعارة بالكناية كما لا يخفى وقوله من الابطال ظرف مستقر على انه صفة لموج اى موج حاصل من الابطال او بيان لقوله المؤخر ملتطم والابطال جمع بطل بمعنى الشجيع القوى وملتطم بالجر صفة موج وهو على صيغة اسم الفاعل بمعنى ضارب بعضه على بعض من شدة الهيجان ففى الضمير فى الملتطم الراجع الى الموج استعارة بالكناية اذ المراد بالالتطام هنا مصادمة الابطال واصطكاك اسلحتهم كما لا يخفى وحاصل معنى البيت مازال النبى عليه السلام يجر ويقود جندا تام الاركان له خمسة اطراف كانهم بحر وكلهم من الاشراف يجرى كلهم على خيول جارية بالجريان اليسير وفوق سارية كسريان السرير على وجه الماء الكبير الى مضمار المعارك وميدان المهالك يرمى ذلك الجند سهاما ورماحا الى الكفار كامواج البحار وهم ابطال تتصادم وتتصاك اسلحتهم بالاضطراب بلا فرار من الاعدآء ولا اجتناب

من كل منتدب لله محتسب * يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

ثم شرع فى عد اوصاف ابطال ذلك الجند العظيم من كون قصدهم من المقاتلة هو الاجابة الى امر الله الكريم وكونهم ماهرين فى استعمال الاسياف والرماح وحاذقين فى علوم السهام والسلاح فقال من كل منتدب الخ ثم ان من كل منتدب بدل من الابطال والمنتدب اسم فاعل من الانتداب والانتداب بمعنى الاجابة للدعوة الى شئ بالحث والاغرآء اى من كل مجيب لدعوة الله ففى قوله لله حذف مضاف ومحتسب بالجر صفة منتدب وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من الاحتساب بمعنى العمل لله والاخلاص فيه طلبا لمرضاة الله كما فى قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا الحديث وقوله يسطو صفة بعد صفة اوحال وضميره راجع لكل منتدب ويسطو بمعنى يصول ويغلب على الاعدآء وبمستأصل الباء فيه للمصاحبة او للاستعانة متعلق بيسطو والمستأصل على صيغة اسم الفاعل من استأصله اى قلعه من اصله وهدمه بلا بقية اثره والمعنى بالة مستأصلة وقالعة وللكفر متعلق بمستأصل وفيه مجاز حذفى اى لاهل الكفر من قبيل قوله تعالى واسأل القرية اوقلع الكفر كناية عن قلع اهله فتدبر ومصطلم بالجر صفة مستأصل وتأكيد له وهو ايضا على صيغة اسم الفاعل من اصطلمه بمعنى اهلكه اى مهلك ثم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام انتدب الله لمن خرج فى سبيله ومعنى الحديث من خرج وقصد الى الجهاد فى سبيل الله طلبا

لمرضاة الله كان الله ضامنا وكفيلا لمغفرة ذلك العبد او سارع الله الى ايفاء مقابلة جهاده بالمثوبات او اوجب الله ان يجزله ما وعده من الجنة والحور والغلمان وحاصل معنى البيت ان اولئك الابطال المهرة فى ابطال اهل الضلال كل مجيب لدعوة ربهم الكبير المتعال مع الرغبة والميل اليه فى الغنى والعيله ومجتهد فى اخلاص النية بلا اعراض ولا خوف من المنية مع الاحتساب الى مرضاة الله بلا غرض غير رجاء مثوبات الله يسطو ويحمل كلهم بالات قوية مستأصلة للكفرة الدنية وباسلحة مهلكة لجميع اهل الفساد ومطهرة وجه الارض من اهل العناد

حتى غدت ملة الاسلام وهى بهم * من بعد غربتها موصولة الرحم

لما بين كون النبى عليه السلام موردا للجنود الكاملة والكتائب المقاتلة وبعض اوصاف ابطال جنوده واحوال شجعان جيوشه كان مظنة ان يسأل عن ثمرة جهادهم وفائدة قتالهم وجهادهم فقال دفعا لذلك الظن ومبينا لثمرة ذلك الفن حتى غدت الخ كلمة حتى اما غاية ليجر او ليسطو والتخصيص بالاول تخصيص بلا مخصص كما لا يخفى وغدت بمعنى صارت وملة الاسلام بالرفع اسم غدت واضافة الملة الى الاسلام بيانية اى ملة هى الاسلام او من قبيل شجر الاراك واعلم ان الدين والشريعة والملة والناموس متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار اذ الطريقة المخصوصة الثابتة عن النبى عليه السلام تسمى من حيث الانقياد لها دينا ومن حيث يردها الواردون المتعطشون لزلال نيل الكمال شرعا وشريعة ومن حيث تملى وتكتب او تجتمع عليها الناس للقبول ملة من الاملال بمعنى الاملاء او من امل بمعنى اجتمع ومن حيث لها ملك اسمه ناموس ناموسا وقوله وهى بهم الواو للحالية وهى مبتدأ وبهم ظرف مستقر خبر المبتدأ وضمير هى راجع الى الملة اى والحال انها منصورة بهم ومن بعد غربتها متعلق بما بعده وضمير المؤنث راجع الى ملة الاسلام والمراد من غربة الاسلام استغراب احكامه كل احد لعدم معرفته وعدم الائتلاف به او المراد منها كونه لا انيس له ولا صاحب ولا حافظ ولا حامى له يواسى امره ويسعى فى مصالحه كالرجل الغريب وموصولة الرحم بالنصب خبر غدت والموصولة من الصلة والرحم القرابة وصلة الرحم عبارة عن رعاية الاقارب بزيارتهم وتفقد خواطرهم واعطاء نفقة من تجب عليه نفقته وفى الحديث صلوا ارحامكم ولو بالسلام والمراد من صلة الاسلام الاكرام اليه باحيائه وباكثار اصحابه وحاصل معنى البيت انه قد كانت نهاية جره عليه السلام العسكر الكثير وفائدة صولتهم وحملتهم على اهل النار والزمهرير كون ملة الاسلام والحال انها منصورة بهم ومصونة عندهم موصولة من احبابه واصحابه الذين هم عززوها باتلاف ابدانهم فى بابه ومن اتباعه واتباع اتباعه ممن اقتدى بكتابه ما دار الزمان الى يوم القيام بدولاته بعد كونها غريبة ذات كربة وبعد ان لم يكن لها باحد صحبة ثم ان فى هذا البيت ايماء الى قوله عليه السلام ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء رواه مسلم فى صحيحه

مكفولة ابدا منهم بخير اب * وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

ثم اراد بيان كون ملة الاسلام دائمة باحيائهم الى يوم القيام ومحفوظة من النسخ والتبديل ومصونة عن التغيير والتحويل فقال مكفولة ابدا الخ مكفولة اما بالنصب او بالرفع فعلى الاول اما بدل من موصولة او عطف عليه بحذف حرف العطف للضرورة او حال منها او خبر ثان لغدت وعلى الثانى اما خبر مبتدأ محذوف اى هى او وهى خبر ثان لغدت تدبر والمكفول اسم مفعول من كفل يكفل بمعنى ضمن والكفيل بمعنى الضامن والحافظ فمعنى مكفولة محفوظة ومصونة وابدا منصوب على الظرفية لمكفولة والابد بمعنى الدهر والزمان الطويل وبمعنى الدائم وفى عناقيد الفوائد الابد بمعنى الوقت المستقبل الغير المتناهى كما ان الازل بمعنى الوقت الماضى الغير المتناهى وقد يضافان الى جمعهما فيقال ابد الاباد وازل الازال واما السرمد فاعم منهما انتهى ومنهم متعلق بمكفولة والضمير للكفار اى من شرورهم واضرارهم وافسادهم وبخير اب متعلق ايضا بمكفولة والمراد بالاب رسول الله عليه السلام والصحابة الكرام والعلماء الاعلام مجازا او استعارة مصرحة ووجه التشبيه الكون مظهرا حافظا والسعى فى حمايتها من اعدائها وهذا بعد تشبيه الملة بالابن فى الظهور وكونه نافعا وباقيا بعد وفاة ابيه وكونه محتاجا الى حافظ له وقوله وخير بعل عطف على خير اب فقيد ابدا معتبر ههنا والبعل بمعنى الزوج كما فى قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن الاية واصل البعل السيد والمالك سمى الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته كانه مالك لها ورب والمراد بخير بعل النبى عليه السلام واصحابه وورثته من علماء امته شبه النبى عليه السلام واصحابه وورثته بزوج الملة فى القيام بمصالحها ومنع يد الجانى عنها وهذا بعد تشبيه الملة بالزوجة فى احتياجها الى من يقيم مصالحها ويحفظها ممن يجانبها والفاء فى فلم تيتم تفريعية اى اذا كانت الملة محفوظة بخير اب دائما فلم تصر يتيمة فتيتم من يتم ييتم كعلم يعلم يقال يتم الولد اذا مات ابوه وهو صغير قيل اليتم اصل معناه الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل هو فى الادميين من قبل الاباء وفى البهائم من قبل الامهات وفى الطيور من جهتهما وقيل انه يقال فى الادميين لمن فقدت امه والاصح هو الاول ولم تئم عطف على لم تيتم وهو ناظر الى قوله وخير بعل من قبيل اللف والنشر المرتب اى اذا كان لها زوج فلم تئم وتئم من امت المرأة اذا مات زوجها او خلت منه ومنه قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وحاصل معنى البيت ان ملة الاسلام كانت كابن الكرام او كبنت السلاطين العظام محفوظة ومصونة دائما بالاب الذى هو اكرم الانبياء العظام واصحابه الذين هم اشرف الانام وعلماء امته الذين هم ورثته الى يوم القيام وكانت كزوجة لها بعل اشرف البعول وهو النبى الرسول واصحابه وعلماء امته الذين كلهم مرغوب ومقبول حيث كانوا فى اقامة امورها ورؤية مصالحها وحفظها من الاغيار من اهل الشرك والكفار فنعم الاباء والازواج الكبار

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم * ماذا راوا منهم فى كل مصطدم

لما بين بعض اوصاف شجاعته عليه السلام وثمرة جهاده مع ابطاله للكفار شرع فى بيان

كون اولئك الابطال ثابتين فى المعارك كالجبال وغير فارين من الجدال والقتال فقال هم الجبال الخ هم مبتدأ راجع الى الابطال السابقة والجبال بالرفع خبر المبتدأ والالف واللام فيه يفيد الحصر لكنه ادعائى والجبال جمع جبل والحمل من قبيل زيد اسد ووجه الشبه التمكن والثبات وعدم الفرار ولو جاءت عساكر الاعداء من الجهات والعظم والمهابة والمتانة والفاء فى فسل اما سببية او تفريعية اى ان لم تصدقنى فسل وسل امر من سأل يسأل اى فيلزم لك السؤال وعنهم ظرف لسل والضمير للكفار ومصادمهم بالنصب مفعول به لسل والضمير للابطال والمصادم بضم الميم مصدر من صادم مصادمة بمعنى التقاء العسكرين واصطكاك خيولهم وقيل هو بفتح الميم اسم مكان بمعنى محل الحرب وماذا رأوا بدل من مصادمهم اى فسل عنهم اى شئ رأوا وضمير الجمع فى رأوا راجع الى الكفار ومفعول الرؤية محذوف اى رأوه او العامل فى ماذا رأوا المؤخر قدم عليه لاقتضاء الاستفهام الصدارة فى الكلام ومنهم متعلق برأوا والضمير للابطال المراد بهم الاصحاب وفى كل مصطدم متعلق برأوا والمصطدم اسم مكان بمعنى محل الحرب وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الذين هم الابطال مشبهون بالجبال فان لم تصدقنى فسل عن الكفار مضاربة اولئك الكبار ومقاتلتهم مع اهل النار وسل عنهم ماذا رأوا من اولئك الشجعان فى كل معارك وكتائب وميدان من السيوف والسهام

وسل حنينا وسل بدرا وسل احدا * فصول حتف لهم ادهى من الوخم

لما ذكر واضح حروبه عليه السلام فى قوله السابق فى كل مصطدم بالابهام اراد بعض تفصيل تلك الغزوات وذكر اسماء بعضها للتبرك به فقال وسل حنينا الخ الواو عاطفة وسل امر كما سبق آنفا وحنينا بالنصب مفعول به لسل اى اهل حنين من قبيل واسأل القرية وحنين بضم الحاء وفتح النون واد بين مكة والطائف وهو المعروف فى زماننا بيدر حنين وقد وقع فيه محاربة عظيمة بين الفريقين وقصته انه لما فتح مكة رسول الله عليه السلام اقام بها خمس عشرة ليلة فلما سمعت به هوازن جمعها مالك بن عوف البصرى فاجتمع عليه مع هوازن ثقيف وبنو النضر وسعد بن ابى بكر وغيرهم وقصدوا حرب رسول الله عليه السلام فلما سمع به رسول الله عليه السلام امر الناس بالخروج الى حنين يوم السبت لست ليال خلت من شوال فخرج عشرة آلاف من المسلمين الذين شهدوا فتح مكة وثلاثة آلاف من غيرهم فنظر رجل من المسلمين الى عسكر الاسلام فقال اعجابا من كثرتهم لن نغلب اليوم من القلة فساءت تلك المقالة رسول الله عليه السلام وذلك قوله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ثم ساروا ولا يعلمون كون العدو مخبوأ عنهم وكان الاعداء قد كمنوا فى شعاب ظلمة الوادى فحملوا على المسلمين بلا اخبار فوقع ما وقع لكون عسكر الاسلام مغرورين بالكثرة وعدم قولهم ان الله هو الناصر فتفرق المسلمون وبقى رسول الله وحده وهو ثابت فى مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته البيضاء وابو بكر وعمر وعلى وخمسة من سائر الصحابة ثم طفق رسول الله عليه السلام يركض بغلته نحو الكفار ويقول انا النبى لا كذب *

انا ابن عبد المطلب * ثم قال يا رب آتنى ما وعدتنى من النصرة وقال للعباس ادع الناس بالنداء وكان العباس بليغ الصوت فنادى الانصار وغيرهم فاجتمعوا والتقى الفريقان فانزل الله النصرة ونزلت الملائكة عليهم فنظر رسول الله الى الكفار فاخذ كفا من تراب فرماهم به وقال انهزموا ورب الكعبة شاهت الوجوه فمر التراب كانه غمامة فدخل فى اعينهم كلهم فانهزموا وسل بدرا كرر العامل للوزن وبدر واسم موضع بين مكة والمدينة وقد وقع فيه محاربة فاعز الله الاسلام واهله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فبيض الله وجه النبى واصحابه واخزى الشيطان واحزابه قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر الاية وقد كانت هذه الغزوة اعظم غزوات الاسلام وكان خروجهم فى رمضان وجملة عسكر الاسلام ثلثمائة وخمسة عشر رجلا وكان المشركون الفا فكان فى تلك البقعة قتال عظيم فانزل الله سكينته على رسوله وايده بجنود الملائكة فقتل من المشركين فى ذلك اليوم سبعون واسر منهم سبعون وقتل اكثر صناديد قريش فى ذلك اليوم وقد وقع فى هذه الغزوة عجائب ومعجزات لا يتحمل هذا المقام ذكرها ولو بالاجمال فى الكلام وسل احدا عطف على القريب او البعيد واحد بضمتين موضع بقرب المدينة وهو محل المحاربة وقصته انه لما اصاب قريشا يوم بدر بليات وقتل صناديدهم اجتمعوا لحرب رسول الله واطاعهم قبائل كثيرة وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل فارسلوا اليه عليه السلام اخبار مجيئهم وكان يوم الجمعة فخرج رسول الله الى الخطبة فامر الناس بالتهيؤ وقال ايها الناس انى رأيت فى منامى بقرا ينحر ورأيت كأنى فى درع حصينة ورأيت كان سيفى انفصم ورأيت كأنى مردف كبشا فاولت البقر بنفر من اصحابى يقتلون واما الدرع الحصينة فالمدينة واولت انفصام سيفى بشئ يصيبنى فى نفسى واما الكبش فكبش كتيبة القوم اقتله ان شاء الله تعالى فتشاور رسول الله مع اصحابه فرأى رسول الله الاقامة فى المدينة وقال رجال من المسلمين اخرج بنا يا رسول الله الى اعدائنا فخرج رسول الله يوم الجمعة فلما التقى الجمعان انهزم المشركون فالتفت الناس الى الغنائم فاجتمع الكفار فحملوا على المسلمين فوقع حينئذ للمسلمين ما وقع من الشهادة واصابة المحن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه حكم ومصالح له تعالى كاظهار كمال استغنائه عن العالمين واختبار المحبين حتى يتبين الراضى بقضائه والصابر على بلائه والشاكر على نعمائه وقوله فصول حتف بالنصب مفعول لسل اى عن فصول والفصول جمع فصل وهو طائفة من الزمان والحتف الهلاك اى ازمنة الهلاك ولهم ظرف مستقر صفة حتف اى حاصل لهم وادهى صفة فصول او حتف او حال وهو اسم تفضيل من الداهية بمعنى الآفة العظيمة والبلية النازلة الجسيمة من الوخم متعلق بادهى والوخم بفتحتين مرض يقال له الوباء وهو مرض عام لا يسلم مريضه غالبا من الموت ومعنى البيت معلوم

المصدرى البيض حمرا بعد ما وردت * من العدى كل مسود من اللمم

ثم شرع فى بيان كمال مهارتهم فى استعمال السلاح وغاية حذاقتهم فى تقليب الرماح فقال المصدرى الخ المصدرى اما منصوب على المدح اى امدح المصدرى او مجرور

على انه بدل من الضمير فى منهم فى البيت السابق والمصدرى جمع مصدر اسم فاعل من اصدره بمعنى جعله صادرا فاصله مصدرين سقط نونه بالاضافة والاضافة فيه كاضافة الضارب الرجل والبيض جمع ابيض والمراد به السيوف المصقولة كما فى قوله

وقد كانت البيض القواضب فى الوغى * بواتر فهى الان من بعدها بتر

وحمرا بالنصب على انه حال من البيض اى ملطخة تلك السيوف المصقولة بالدماء الحمر بضم الحاء وسكون الميم جمع احمر وبعد ظرف للاصدار وما مصدرية ووردت بمعنى دخلت واتصلت والضمير للسيوف ومن العدى ظرف مستقر حال من كل مسودّ المؤخر وكل مسودّ بالنصب مفعول به لوردت ومن اللمم بيان للمسود واللمم بكسر اللام جمع لمة وهى الشعر المسترسل الى المنكب والمراد منبتها وهو الرأس والتعبير بالمسود اشارة الى ان الكفار المقتولين شبان اولوا قوة وحاصل معنى البيت امدح الاصحاب الكرام والابطال العظام بانهم المصدرون السيوف المصقولة متلطخة بدماء الكفار بعد ما اتصلت تلك السيوف ووصلت الى رؤسهم وبعد ما قطعتهم بابدانهم وفروسهم فنعم السيوف سيوفهم ونعم النفوس نفوسهم

والكاتبين بسمر الخط ما تركت * اقلامهم حرف جسم غير منعجم

لما بين كون الاصحاب ماهرين فى استعمال السيوف اراد ان يبين كونهم حاذقين فى استعمال السهام والسلوف فقال والكاتبين بسمر الخط الخ الواو عاطفة والكاتبين عطف على المصدرى والكاتب بمعنى الساطر والناقش على شئ والباء فى بسمر الخط متعلق بالكاتبين والسمر كالحمر جمع اسمر والمراد به نصال الرماح والخط اسم بلدة فى البحرين نسب اليها الرماح اعنى خشبها يقال رماح خطية اى رماح حسناء ذات قيمة غالية فاضافة السمر الى الخط لادنى ملابسة وما نافية وجملة تركت حال من الكاتبين واقلامهم بالرفع فاعل تركت اى غير تاركة اقلامهم او الجملة استئنافية والاقلام جمع قلم والمراد بها السهام او الرماح مجازا واستعارة بالكناية كما لا يخفى تعبيرها وحرف جسم منصوب مفعول تركت والحرف بمعنى الطرف او بمعنى الناقة المهزولة كما فى قوله

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

واضافة الحرف الى الجسم بمعنى اللام على الاول وللبيان او من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه اى جسم كحرف على الثانى والمراد من الجسم جسم من قابلهم من العدى وغير منعجم بالنصب حال من حرف جسم ومن جعله صفة له فقد بعد عن المعنى كما لا يخفى ومنعجم على صيغة اسم الفاعل من انعجم بمعنى قبل النقطة ومعنى غير منعجم غير منقوط وهو بمعنى مطعون مجازا واستعارة تبعية كما لا يخفى تدبر ولا يخفى ما فى هذا البيت من ايهام التناسب من ذكر الكاتب والخط والقلم والحرف ومنعجم وحاصل معنى البيت ان الاصحاب كانوا يكتبون وينقشون على صفحات اجسام العدو المرذولة التى هم كالحرف المهزولة بالرماح الخطية المأمونة من الانكسار وما تركت

اقلامهم التى هى الرماح طرف جسم من الكفار الابعد جعله منقوطا ومطعونا ومنقوشا بالاثار

شاكى السلاح لهم سيما تميزهم * والورد يمتاز بالسيما من السلم

لما بين الاوصاف اللطيفة للاصحاب التى هم بها يمتازون عن المشركين واهل الكتاب اراد ان يبين ايضا كونهم ممتازين بذواتهم وسيماهم ماعدا الثياب فقال شاكى السلاح الخ شاكى السلاح اما صفة للمصدرى او بدل او حال منه وشاكى مقلوب شائك اى تام السلاح كما فى قوله

لدى اسد شاكى السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم

وهو جمع شاكى اصله شاكين حذف نونه بالاضافة وتوهم احتمال كونه مفردا لا يصدر من عاقل فضلا عن فاضل كما لا يخفى ثم ان قوله شاكى السلاح اجمال بعد تفصيل وقوله لهم ظرف مستقر خبر مقدم وسيما مبتدأ والجملة صفة بعد صفة للمصدرى او حال منه وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والسيما بمعنى العلامة التى تكون فى وجه الانسان يستدل بها على بعض احواله وجملة تميزهم صفة لسيما وتميز بمعنى تفرق وضميره المستتر راجع الى السيما والسيما مؤنث بالالف المقصورة والضمير المفعول راجع الى الاصحاب اى للاصحاب سيما تفرقهم عن الكفار وقوله والورد جواب سؤال مقدر كانه قيل يمتاز بالسيما شيئان كانا من جنس واحد لان الاصحاب والعدى كلهم من بنى آدم فاجاب عنه مع تشبيه لطيف بهذا القول والورد بفتح الواو ثمر شجر معلوم يقال له بالعربى ايضا حوجم والسلم بفتحتين شجر يشبه شجر الورد وشجر الورد يمتاز عنه بحسن الخلقة وبهاء المنظر فالورد مجاز بمعنى الشجر او الورد على حقيقته والسلم مجاز بمعنى زهر السلم تدبر وحاصل معنى البيت ان اصحاب رسول الله كانوا تامى الاسلحة ممتازين عن الكفار واهل الشقاء بالاوصاف اللطيفة وحسن السيما لانهم اشداء على الكفار رحماء بينهم بالتواضع والانكسار كما انه يمتاز شجر الورد من شجر السلم وزهر الورد من نورة السلم وقد ورد فى حق الاصحاب سيماهم فى وجوهم من اثر السجود فهم ثمار اشجار حدائق الوجود وازاهير رياض عسكر الاسلام والجنود

تهدى اليك رياح النصر نشرهم * فتحسب الزهر فى الاكمام كل كمى

ثم شرع فى بيان كونهم منصورين فى جميع الجهاد وان لم يكن كذلك فى بعضه فى عيون العباد فقال تهدى اليك الخ تهدى من اهدى يهدى بمعنى توصل او بمعنى ارسال الهدية واليك متعلق بتهدى والخطاب لكل احد وجملة تهدى حال ورياح بالرفع فاعل تهدى وهى جمع ريح والمراد من رياح النصر التاييدات بالنصرة كما فى قوله عليه السلام (نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور) او المراد من الرياح الدولات كما فى قوله

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فعقبى كل عاصفة سكون

واضافته الى النصر بمعنى النصرة مجاز اذ ورد (وما النصر الا من عند الله) ونشرهم

بالنصب مفعول تهدى والضمير راجع الى الصحابة والنشر فى الحقيقة بمعنى الرائحة الطيبة والمراد به هنا اخبارهم الطيبة وانباؤهم العجيبة ففيه استعارة ومجاز كما لا يخفى والفاء فى فتحسب للتفريع وتحسب بصيغة الخطاب بمعنى تظن والزهر بالنصب مفعول تحسب والالف واللام فيه للاستغراق بمعنى كل زهر والزهر نورة النبات وفى الاكمام ظرف مستقر حال من الزهر او صفة له والاكمام جمع ايضا فيقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد اى كل واحد من الازهار فى كل واحد من الاكمام ومن جعل الاكمام جمع كم بضم الكاف وجعل اللام فيه عوضا عن المضاف اليه اعنى رسول الله واعتبر القلب فى البيت وقع فى التكلف وكل كمى بالنصب مفعول ثان لتحسب والكمى بمعنى الشجاع وهو بتشديد الياء فعيل خفف للضرورة قال اكثر الشراح فى البيت قلب اعنى ان المفعول الثانى لتحسب وهو قوله كل كمى مقدم على المفعول الاول اعنى قوله الزهر فى المعنى فحينئذ يكون المعنى فتحسب كل شجاع فى درعه زهرا فى اكمامه وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الكرام كانوا منتصرين فى جميع الجهاد وغالبين على الكفار حتى تهدى وتوصل اليك هدية كما هبت رياح النصرة وتحركت اخبار تأييداتهم بالبركة والدولة اخبارهم واذا كان كذلك فتحسب كما رأيت الازهار فى اكمامها كانها اولئك الاصحاب الشجعان فى الدروع لان الازهار كما كانت ذات رائحة طيبة فكذلك اولئك الاصحاب اولوا النشر وفوحة عجيبة

كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربى * من شدة الحزم لا من شدة الحزم

لما بين كونهم ماهرين فى استعمال السيوف والنصال اراد ان يبين كونهم حاذقين فى استعمال الخيول فى مضمار القتال فقال كأنهم الخ كأن للتشبيه والضمير للاصحاب وفى ظهور ظرف مستقر حال من الضمير والظهور جمع ظهر بمعنى المتن والخيل اسم جنس يقع على الذكور والاناث واضافة النبت الى الربى من قبيل شجر الاراك والربى بالقصر جمع ربوة بالحركات الثلاث فى الراء وتشبيه الاصحاب بنبت الربى وخيولهم بالربى انما هو فى الثبات والتقرر فى مدة كثيرة اذ نبت الربى اثبت على الارض من سائر النباتات لطول عروقه ووصوله الى الماء ومن شدة متعلق بكاف التشبيه والشدة بكسر الشين والحزم بفتح الحاء وسكون الزاى بمعنى قوة الثبات ومراعاة الاستعمال وقوله لا من شدة دفع توهم نشأ مما قبله من ان ثباتهم على الخيول يجوز ان يكون لشدة سروجها وقوة ربطها لا من ذواتهم فدفع بقوله من شدة الحزم لا من شدة الحزم والشدة الثانية بفتح الشين كما ان الحزم الثانى بضم الحاء والزاى جمع حزام وهو ما يشد به سرج الفرس على ظهره بالربط التام والاستحكام التام وحاصل معنى البيت ان الاصحاب كانوا ماهرين فى استعمال الخيول وكانوا ثابتين عليها بلا تحرك كأنهم عليها نبت ربى فى الثبات والتقرر وشدة الرسوخ وقوة المتانة لا مما يشد به سرجها ولا مما يستحكم به جلها

طارت قلوب العدى من بأسهم فرقا * فما تفرق بين البهم والبهم

لما بين كون الاصحاب فى غاية الشجاعة ونهاية المتانة ومهارتهم فى استعمال آلات الحروب اراد بيان ما يتفرع عليه من الخوف الحاصل منهم لعقول العدى والقلوب فقال طارت الخ فجملة طارت ابتدائية وهى من الطيران بمعنى التحرك من مكانها وقلوب العدى بالرفع فاعل طارت وفيه مجاز واستعارة فاما فى طارت استعارة تبعية او فى القلوب استعارة مكنية كما لا يخفى وبالجملة المراد من طيران القلب اضطرابه وانزعاجه ومن بأسهم متعلق بطارت ومن منشأية والبأس بمعنى الشدة كما فى قوله تعالى (واطعموا البائس الفقير) وضمير الجمع راجع الى الاصحاب وفرقا بالنصب مفعول له حصولى لطارت كما فى قعدت عن الحرب جبنا او مفعول مطلق له او تمييز من نسبته او حال من فاعله تدبر والفاء فى فما تفريعية او سببية وما نافية وتفرق من التفريق وضميره المستتر راجع الى القلوب والبهم الاول بفتح الباء وسكون الهاء جمع بهمة وهى السخلة ولد الغنم والبهم الثانى بضم ففتح جمع بهمة بضم فسكون بمعنى الشجاع ولا يخفى ما فى هذا البيت من الجناس المحرف فى قوله بهم وبهم والجناس الشبيه بالمشتق فى قوله فرقا وتفرق وحاصل معنى البيت ان قلوب الاعداء اضطربت من اجل شدة اولئك الاصحاب فى الحرب وفزعت وزالت عقولهم الى ان صارت لا تميز بين الشجاع والسخلة

ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد فى آجامها تجم

لما بين كون الاصحاب منتصرين فى كل الغزوات غير فارين من الكفرة واهل النار شرع فى بيان السبب الموصل الى ذلك فقال ومن تكن الخ الواو ابتدائية ومن شرطية وتكن بالجزم اما تامة او ناقصة وبرسول الله خبر مقدم لتكن والباء فيه اما للاستعانة او للسببية وتقديمه لضرورة الشعر ونصرته بالرفع اسم تكن واضافته اما الى الفاعل او الى المفعول وان شرطية وتلقه مجزوم بان اصله تلقاه وضمير المفعول راجع الى من والاسد بضم الالف وسكون السين جمع اسد بمعنى الهزبر وهو بالرفع فاعل تلقه وتقديم مفعول تلقه على فاعله اشارة الى ان الرجل لا يلاقى باختياره الاسد وفى آجامها اما متعلق بتلقه او بتجم المؤخر والآجام بالمد جمع اجمة وهى ارض كثيرة القصب واضافة الآجام الى الضمير الراجع الى الاسد لادنى ملابسة ثم ان هذا القيد اعنى فى آجامها يفيد مزيد المبالغة والتأكيد فان الاسد فى اجمته اشد بأسا واصعب حالا منه فى امكنة اخر لتوفير الغيرة فى الدفع عن ساحته وتجم بفتح التاء وكسر الجيم من وجم يجم وجوما بمعنى حزن او سكت والضمير المستتر فيه راجع الى الاسد وجملته جواب الشرط الثانى والشرطية جواب الشرط الاول وحاصل معنى البيت ان الاصحاب الكرام ما كانوا منتصرين فى الجهاد الا بنصرته عليه السلام واعانته فانه من كانت نصرته واعانته واغاثته على محاربة الاعداء بواسطة رسول الله فهو منصور ومحفوظ من جميع المصائب والانهزام حتى ان تلقه جميع افراد الاسد المشهورة باهلاك من لاقته فى امكنتها المسماة بالغابة وهى فيها اجرأ منها فى غيرها تسكن على حالها خوفا

واحتراما لرسول الله عليه السلام ثم اعلم ان البيت اشارة الى ماروى من تسخير الاسد لمولى رسول الله الذى اسمه سفينة حين ارسله عليه السلام الى معاذ باليمن فلقيه الاسد فى الطريق فقال سفينة انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى كتابه فهمهم الاسد وتنحى عن الطريق وفى رواية اخرى عن سفينة ان السفينة تكسرت نخرجت الى جزيرة فاذا الاسد فقلت له انا مولى رسول الله فجعل يغمزنى بمنكبيه حتى اقامنى على الطريق ودلنى عليها

وان ترى من ولى غير منتصر * به ولا من عدو غير منقصم

ثم اكد البيت السابق لكونه نظريا بهذا البيت فلذا قال وان ترى الخ الواو عاطفة ولن نافية وترى على صيغة الخطاب من الرؤية اما العينية او العلمية ومن ولى كلمة من زائدة وتنوين ولى للتكثير والولى بمعنى القريب وغير اما بالجر على انه صفة ولى او بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بالنصب على انه حال وهذا كله ان كانت الرؤية الرؤية البصرية والا فهو المفعول الثانى ومنتصر اسم مفعول من انتصر وبه متعلق به والضمير راجع اليه عليه السلام والمراد بالانتصار به التقوى والتأييد به ومن قال ان المنتصر بكسر الصاد اسم فاعل فهو عن معنى البيت غافل ولا من عدو عطف على من ولى اى ولا ترى من عدو له عليه السلام وغير بالجر او بالرفع او بالنصب ومنقصم اسم فاعل من انقصم بمعنى انقطع وتفرق وروى فى بعض النسخ بالفاء وهو كسر بلا فصل كما كان الاول مع فصل وحاصل معنى البيت ان الاصحاب منتصرون به عليه السلام فى كل الاوقات اذا ن تعلم ولن تبصر وليا له عليه السلام غير منصور به ولا ترى عدوا غير مكسور به بل كل ولى به منتصر وكل عدو له منكسر اعلم ان جميع الاولياء منتصرون به عليه السلام ولذا قال الولى الشيخ احمد الملثم لم تكن الاقطاب اقطابا ولا الاوتاد اوتادا ولا العماد عمادا الا برسول الله وبتعظيمهم له واجلالهم شريعته وكل من كان عدوا لشريعته كان عدوا له عليه السلام وكذا كل من كان عدوا لصواحب الشرع من العلماء وكل من يتكلم بما يتأذى به عليه السلام فهو عدوه ولذا قال الحقى فى روح البيان حكى عن بعض الكبار انه قال كنت فى مجلس بعض الغافلين فتكلم الى ان قال لا مخلص لاحد عن الهوى ولو كان فلانا اراد به النبى عليه السلام حيث قال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقلت له اما تستحى من الله فانه عليه السلام ما قال احببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من الله ثم حصل لى غم وهم من استماعى مثل هذا الكلام فرأيت النبى عليه السلام فى المنام فقال لى لا تغتم فقد كفينا امره ثم سمعت انه خرج الى ضيعة له فقتل فى الطريق نعوذ بالله من التطاول على الانبياء وورثتهم من العلماء والاولياء انتهى

احل امته فى حرز ملته * كالليث حل مع الاشبال فى اجم

لما توهم ان يستفاد من الابيات السابقة ان الانتصار به عليه السلام خاص باصحابه دون سائر امته دفع ذلك الوهم بتعميمه فقال احل امته بمعنى انزل وامته بالنصب

مفعول احل والامة نوعان امة الاجابة وهى كل من آمن به عليه السلام وامة الدعوة وهى كل من بلغه دعوة النبى عليه السلام والمراد بها ههنا الاول وفى حرز متعلق باحل والحرز بكسر الحاء بمعنى الحصن ففيه تشبيه الدين بالحصن الحصين فى حفظ من دخله من الاعداء وكالليث حال من فاعل حل والليث اسم للاسد وحل الثانى صفة الليث بناء على ان اللام فيه للعهد الذهنى او حال وهو ايضا بمعنى نزل والاشبال جمع شبل بكسر الشين وهو ولد الاسد وفى اجم متعلق بحل الثانى والاجم بفتحتين بمعنى مكان يسكن فيه الاسد شبه الناظم الفاهم نبينا عليه السلام بالاسد فى السلطنة وكمال الشجاعة والهيبة وشدة البطش وحماية الاولاد وشبه امته باولاده فى كونه عليه السلام سبب حياتهم كالاسد وشبه الملة بالاجم فى ان كلا منهما سبب للحفظ ومنع ضرر الغير وحاصل معنى البيت انزل رسول الله المبين امته فى دينه الحصين كما انزل الليث معه اولاده فى آجامه للتحصين فلا يستولى على امته شخص بظلم ولا ينزل عليهم بلية فان قلت كثيرا ما ترى امته يغلب عليهم عدوهم وينزل عليهم بليات لا تعد ولا تحصى فكيف يصح هذا التبيين من الناظم الفاهم قلت مراد الناظم كونهم محفوظين من بليات الآخرة ومن مثل الخسف والمسخ وغيرهما من البليات التى نزلت على سائر الامم اونقول ان امته محفوظة من جميع ما ذكر ومن المغلوبية ومن كان مغلوبا ونزل عليه بليات فليس من امته اذ امته من اتبعه ولا يتبعه الا من اعرض عن الدنيا فانه عليه السلام ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة ومن اعرض عن الدنيا يكون سالما من البلايا ومن كونه مغلوبا للاعدآء واما من عدل عن سبيله واعرض عن متابعته واقبل على الدنيا ولحق بالذى قال الله فى حقه (فامامن طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى) فقد خرج عن سبيله واعرض عن كونه امة له فله البلايا والمغلوبية للاعدآء فتأمل يارجل من حين تمسى الى حين تصبح لا تسعى الا فى الحظوظ العاجلة ولا تتحرك الا لاجل الدنيا الفانية ثم تطمع ان تكون غدا من امته واتباعه ويحك وياويلنا ما ابعد ظننا وما اخش طمعنا ثم اعلم ان فى هذا البيت اشارة الى ما جاء فى الحديث القدسى (لا اله الا الله حصنى ومن دخل حصنى امن من عذابى) والى قوله تعالى (النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم) وفى قرآءة شاذة وهو اب لهم

كم جدلت كلمات الله من جدل * فيه وكم خصم البرهان من خصم

لما استفيد من البيت السابق كون الاسلام حصنا حصينا لا يستولى عليه احد من عدوه بل هو يغلب على اعدآئه اراد تفصيله فقال كم جدلت كلمات الله الخ كم خبرية للتكثير وجدلت من التجديل وهو بمعنى الوضع على الارض اى كثيرا من المرات وضعت على الارض وكلمات الله بالرفع فاعل جدلت والمراد من كلمات الله القرآن العظيم اذ الاسلام عبارة عنه ومن جدل مفعول لجدلت ومن زائدة والجدل بكسر الدال بمعنى كثير الخصومة وفيه متعلق بجدل والضمير اما راجع الى الملة بتأويلها بالاسلام والدين

اوبرسول الله فيكون مجازا حذفيا اى فى دين رسول الله وكم خصم عطف على كم جدلت وخصم بالتشديد من المبالغة بمعنى كثيرا ماغلب فى الخصومة والبرهان بالرفع فاعل خصم والمراد بالبرهان اعم من المعجزات والكرامات الباهرات ومن فى من خصم زائدة كمن فى من جدل وقد جاز زيادتها فى الاثبات كما فى قولنا قد كان من مطر والفعلان المذكوران ههنا وان كانا مثبتين صورة لكنهما متضمنان معنى النفى تدبر وخصم بكسر الصاد بمعنى كثيرا لخصومة وحاصل معنى البيت كم مرة رمت الى الارض فى المجادلة كلمات الله التى جاءت من عنده منكوسا على الرأس شخصا كثير الجدال وكم مرة غلب الدليل القاطع شخصا كثيرالخصام

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتاديب فى اليتم

لما استفيد من البيت السابق ان له عليه السلام معجزة بها كان الخصم مغلوبا وكان مظنة ان يسأل عن تلك المعجزات اجاب عنه ببيان بعض مااشتهر فقال كفاك بالعلم الخ كفاك بمعنى حسبك والخطاب لكل احد والباء فى بالعلم زائدة ككفى بالله واللام فى العلم للعهد الذهنى وفى الامى صفة العلم اوحال منه والامى منسوب الى الام وهو الاصل وهو فى العرف عبارة عمن لم يعرف الكتابة ولم يقرأ من الخط ولم يتعلم من معلم ولم يجلس بين يدى الاستاذ بطريق العادة بل بقى على اصل الخلقة والفطرة وقيل معنى الامى منسوب الى ام العرب وهم قوم الغالب عليهم عدم معرفة الكتابة والحساب ومعجزة بالنصب تمييز كما فى طاب زيد نفسا ومعنى المعجزة قد سبق لكن المراد ههنا معنى خرق العادة مطلقا فتذكر ومن اراد به المعنى السابق فلم يتبصر فان كنت ذا بصيرة فتدبر وفى الجاهلية متعلق بالعلم اى فى وقت الجاهلية وهى عبارة عن زمان انحرف فيه الشرع السابق ولم يكن فيه الوحى اللاحق وتفرق الناس فى اديانهم ويسمى ذلك الزمان ايضا بالفترة والتأديب بالجر على انه معطوف على العلم اوبالرفع معطوف على العلم اذ الباء فيه زائدة والتأديب بمعنى كونه عليه السلام مؤدبا بمعنى عدم كونه فاحشا ولا متفحشا ولا غليظ القلب لانه كان مجموع محاسن الاخلاق مجموعا فيه عليه السلام من صباوته الى نبوته عليه السلام وفى اليتم متعلق بالتأديب بلا تكلف واليتم بضمتين بمعنى موت الاب وبقاء الابن صبيا وحاصل معنى البيت ان معجزاته عليه السلام كثيرة وشهيرة فاذا نظرت اليه عليه السلام بعين البصيرة كفاك ايها الطالب لمعجزاته وآياته العلوم التى لا تعد ولا تحصى فيه عليه السلام بغير تعلم من العلماء ولا كتابة مع الادباء فى زمان كثر فيه الجهل على الانام وزاد فيه الضلال بلا انفصام وكذا كفاك كونه مؤدبا بمكارم الاخلاق والخصال ومتادبا على وجه الكمال فى اوان يتمه وزمان حداثة سنه واول خلقته

خدمته بمديح استقيل به * ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم

لما فرغ من بيان بعض اوصافه وبيان بعض معجزاته ومعراجه وغزواته وبعض اوصاف اصحابه الكرام اراد ان يشرع فى الاسترحام من جنابه الكريم والاستشفاع من

ذاته الرؤف الرحيم وبيان الغرض من نظمه هذه القصيدة اللطيفة المباركة الطيبة الشريفة فقال خدمته بمديح الخ خدمته على صيغة نفس المتكلم من الخدمة اى مدحته والضمير له عليه السلام والجملة استئنافية والمديح ما يمدح به اعنى ما يبين فيه الفضائل والمراد به هذه القصيدة وجملة استقيل صفة مديح اوحال منه من الاستقالة بمعنى طلب العفو وبه متعلق به والباء فيه للاستعانة والضمير راجع الى المديح وذنوب بالنصب على انه مفعول به لاستقيل والذنوب جمع ذنب شامل للصغائر والكبائر وعمر الانسان عبارة عن مدة حياته واضافة الذنوب بمعنى فى وجملة مضى صفة عمر ومضى بمعنى ذهب يعنى لا كل العمر بل العمر الذى ذهب الخ وفى الشعر متعلق بمضى والشعر قول موزون وزنا عن تعمد كما ان البيت ماتركب من المصراعين والقطعة شعر يكون مؤلفا من سبعة ابيات والقصيدة ماتركب من عشرة ابيات فما فوقها والمراد من الشعر ههنا معناه المصدرى اعنى اتيان الكلام الموزون عن تعمد وان كان المراد الاول يقدر فيه مضاف اى فى استعمال الشعر واتيانه والخدم بالجر عطف على الشعر وهو بكسر الخاء وفتح الدال جمع خدمة والمعنى فى انواع الخدمة اوفى خدم المخلوقين تدبر وحاصل معنى البيت ان حاصل المرام من مدحى سيد الانام بهذه القصيدة المشتملة على اوصافه عليه السلام طلبى العفو من الله الملك العلام بسبب هذه القصيدة عن ذنوب فى مدة حياة مضت فى الاشتغال بالشعر فى مدح الناس ومذمتهم وتلفت فى خدمات ارباب الدنيا لاغراض فاسدة فى صحبتهم اذ روى ان الناظم كان فى اول الامر من مقربات السلاطين وكان يخدمهم ويدفع احزانهم بانشاد الشعر فى مدائحهم وفى مذمة اعدائهم وكان قصده جلب الدنيا واخذ المنصب الاعلى وقد سبقت الاشارة الى بعض هذا فى مفتتح الكتاب ثم اعلم ان فى البيت رد العجز على الصدر من قبيل قوله

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندا بسريع

اذ قلدانى ما تخشى عواقبه * كاننى بهما هدى من النعم

لما كان مظنة ان يسأل عن مضمون البيت السابق من طلب العفو عن الذنوب الحاصلة من الشعر والخدم بانه هل حصل لك من الشعر والخدم ذنوب حتى تطلب العفو عنهما قال نعم اذ قلدانى الخ فاذ للتعليل لطلب العفو وقلدانى على صيغة التثنية وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم وقلد من التقليد وهو ربط العنق ثم ان اسناد قلدانى الى الشعر والخدم مجاز من الاسناد الى السبب وفى قلد استعارة تبعية بتشبيه لزوم الاثم بالقلادة فى مطلق اللزوم وعدم الافتراق كما لا يخفى وما تخشى منصوب محلا على انه مفعول ثان لقلد وتخشى على صيغة المجهول من الخشية بمعنى الخوف وعواقبه بالرفع نائب فاعل لتخشى وهى جمع عاقبة وضمير عواقبه راجع الى ما والمراد بما تخشى عواقبه الآثام والاوزار الحاصلة بهما وكأن للتشبيه وبهما ظرف مستقر حال من اسم كأن وضمير التثنية راجع الى الشعر والخدم فان قلت الاولى ان يفرد الضمير ويرجع الى ما لان ما كان كالقلادة دون الشعر والخدم قلت ان الشعر والخدم لما كانا سببين قويين

فى كون ماتخشى عواقبه قلادة ذكر السبب واراد المسبب كما لا يخفى وهدى بالرفع خبران والهدى بفتح الهاء وسكون الدال مايهدى الى مكة للذبح فيها ومن شانه ان يقلد بتعليق شئ فى عنقه ليعلم انه هدى فلا يتعرض له بشئ ومن النعم بيان للهدى والنعم بفتح النون والعين هو الابل والبقر والغنم ثم ان فى تشبيه نفسه بالهدى اشارة الى انه متوجه فى كل امر الى جناب الحق وان فعل ماتخشى عواقبه من الاقبال على غيرالله على مقتضى قوله تعالى (فاينما تولوا فثم وجه الله) وحاصل معنى البيت ان طلبى العفو من الله عن ذنوبى لازم لانه بسبب الشعر والخدم المذمومين لزم على الآثام والاوزار مما تخشى عواقبه من انواع العقاب فى عاقبة الدار فكانى عنيت للهلاك بسببهما كالهدى المقلد المعد للهلاك وان لم يتحول قلبى عن خالق الافلاك

اطعت غى الصبى فى الحالتين وما * حصلت الا على الآثام والندم

لما استفيد من السابق ان اشتغاله بالشعر والخدم كان فى بعض عمره اراد بيانه مع بيان سبب اشتغاله وعدم تحصيله شيأ من المحاسن فقال اطعت غى الصبى الخ اطعت اى اتبعت وغى الصبى بالنصب مفعول اطعت والغى بتشديد الياء بمعنى الغواية والضلالة والصبى بكسر الصاد وقت الصباوة والمراد من غى الصبى الاغترار بالاباطيل والالتذاذ بالتماثيل والركون والميل الى العاجل وترك النظر فى امر الآجل وفى الحالتين متعلق باطعت اوظرف مستقر صفة لغى الصبى اى الحاصل فى الحالتين والمراد من الحالتين الشعر والخدم واستفيد من هذا المصراع ان المقدم والباعث الى الاشتغال بالشعر والخدم أوان الصباوة والشباب فتأمل والواو فى وماحصلت للحال وما نافية وحصلت بالتشديد من حصل على كذا اى بقى عليه فالمعنى مابقيت منهما على شئ والا للاستثناء والآثام جمع اثم وهو الذنب والندم بفتحتين الندامة والمراد به مايترتب عليه الندامة والا فالندم نفسه توبة وهى موجبة للنجاة قيل فى البيت لف ونشر مرتب اذ الآثام ناظر الى الشعر والندم ناظر الى الخدم وحاصل معنى البيت انى وافقت وما خالفت ضلالة الصباوة والشباب فى الاستعمال بالشعر والاشتغال بالخدمة وتضييع العمر بهما والحال انى ماحصلت ومابقيت الا على المعاصى والندامة والتحسر والتحزن

فياخسارة نفس فى تجارتها * لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

لما بين كون نفسه باقية على الآثام والاوزار غير محصلة لما ينفعها يوم القرار اراد اظهار التحسر والندامة عليها فقال بالفاء التفريعية فياخسارة نفس الخ كلمة يا للنداء وخسارة بالنصب منادى مضاف الى النفس ونداء الخسارة مجاز لان الخسارة لايتأتى منها الاقبال وانما المعنى على المبالغة فى شدة التحسر كانه نادى الخسران وقال تعال ياخسران فهذا اوانك قال ابن الشيخ فى سورة يس النداء فى مثل هذا المقام يكون لمجرد التنبيه انتهى والخسارة اصابة الضرر الغير المقصود من التجارة وتنوين نفس عوض عن المضاف اليه اى نفسى وفى تجارتها متعلق بالخسارة وفيه حذف مضاف

اى وقت تجارتها وهو حياة الدنيا والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء وههنا مجاز عن طلب مرضاة الله ومثوباته وانما خسرت نفسه فى تجارتها لانها اخرجت استعداد الاعراض عن الدنيا والتوغل فى عبادة المولى عن اليد والقدرة فكانها لاتملك الرجوع اليه ولذا قال لم تشتر الدين الخ فجملة لم تشتر استئنافية كانه قيل لم خسرت نفسك فى التجارة فاجاب عنه ببيانه فقال لم تشتر الخ والضمير فى تشتر راجع الى النفس ومعناه لم تختر ولم تؤثر ولم تستبدل والدين بالنصب مفعول به لتشترى والمراد من الدين ههنا كماله الذى تدور عليه النجاة من كل البليات الدنيوية والاخروية وبالدنيا متعلق بلم تشتر ودنياك كل مايشغلك عن مولاك وهى هنا بمنزلة الثمن ولم تسم عطف على لم تشتر وهو من سام يسوم سوما والسوم هو الاتيان بمقدمات البيع والشراء وهذا للمبالغة ثم ان الاشتراء مجاز عن الاستبدال والسوم عن القصد ويجوز فى البيت استعارة تمثيلية تأمل وحاصل معنى البيت ياخسارة نفسى تعالى فهذا وقتك حتى يتعجب منك قومى فى تجارتها اذ لم تأخذ الدين بدل الدنيا ولم تبدل الفانى بالباقى ثم لم تقصد لتحصيل الدين بترك الدنيا بحسن النية قال فى روح البيان ان الله خلق الروح نورانيا علويا وخلق النفس ظلمانية ثم اشرك بينهما وجعل رأس مالهما الاستعداد الفطرى القابل للكمال والترقى فى القربة والمعرفة والخسارة والنقصان فمن آمن وجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله وطلب فى كل حاله رضى الله فقد ربح روحه وخسرت نفسه ومن لم يؤمن بالله ورسوله وكفر بهما اوآمن ولم يأت بعمل حسن اصلا فقد خسر روحه ونفسه جميعا فعلى العاقل ان يجتهد قبل مجيء الفوت ويربح فى تجارته ببذل النفس والمال فى طلب الله فان سلامة رأس المال الذى هو الاسلام مادام حاصلا يمكن ان يتدارك الربح فى صفقة وان لم يحصل فى صفقة اخرى فلا ينبغى تضييع العمر فيما لا يعنى اذ الفرصة غنيمة ولذا قال الشاعر الفارسى

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف

ومن يبع آجلا منه بعاجله * يبن له الغبن فى بيع وفى سلم

لما استفيد من البيت السابق انه اشترى الدنيا بالدين اذ مفهوم المخالفة معتبر فى مذهب الناظم افاهم الامين فكانه قيل مايحصل لمن اشترى الدنيا بالدين اجاب عنه بقوله ومن يبع آجلا الخ الواو ابتدائية ومن اسم شرط مبتدأ ويبع مضارع مجزوم من باع يبيع بيعا والبيع وكذا الابتياع من الاضداد يقع على فعل المشترى والبائع كالشراء وكذا الاشتراء والمراد به هنا ماوقع على فعل البائع واريد منه المعنى المجازى اعنى الاستبدال والاخراج من اليد وآجلا بالنصب مفعول يبع والآجل مايأتى بعد اجل ومدة والمراد به هنا العقبى ومايتعلق بالدين اذ ثمرته تظهر فى الاخرة ومنه ظرف مستقر صفة لآجلا وضميره راجع الى الدين اى من حظ الدين ومن ارجع ضميرمنه الى من فقد وقع فى تكلف تدبر وبعاجله متعلق بالبيع والعاجل مايأتى بعجلة والمراد به الدنيا وهو فى مقام الثمن المأخوذ فى البيع اذ ادخل عليه الباء وضمير عاجله راجع الى من وجملة يبن

جزاء الشرط وهو مضارع مجزوم من بان يبين اى ظهر فمعنى يبن يظهر قريبا قال الشاعر

سوف ترى اذا انجلى الغبار * افرس تحتك ام حمار

وضميره راجع الى من والغبن بالرفع فاعل يبن وهو بفتح الغين وسكون الباء بمعنى الضرر الكامل الزائد زيادة فاحشة وفى بيع متعلق بالغبن اوصفة له وفى سلم عطف على فى بيع واعادة الجار لضرورة الشعر ولفظ البيع عام لانواع البيع كبيع العين بالعين وهو المقايضة وبيع العين بالدين وهو المداينة وبيع الثمن بالثمن وهو الصرف وبيع الدين بالعين وهو السلم بفتحتين وما نحن فيه من قبيل السلم ولذا تعرض الى تصريحه بقوله وفى سلم وفى البيت استعارة تمثيلية واستعارة مصرحة وبيانها لا يخفى على اهل البيان وايماء الى رد من يقول الدنيا نقد والاخرة نسيئة واعطاء النقد لها غير معقول فان السلم انما يكون باعطاء النقد للنسيئة وحذاق التجار تلقوه بالقبول اعلم ان الله تعالى خلق الانسان مركبا من الدنيا والاخرة ولكل جزء منهما ميل وارادة الى كله يتغذى منه ويتقوى ويتكمل به ففى جزئه الدنيوى وهو النفس طريق الى دركات النيران وفى جزئه الاخروى وهو الروح طريق الى درجات الجنان وخلق من هذين الجزئين القلب وله طريق الى كونه بين اصبع الرحمة واصبع القهر فمن يرد الله به ان يكون مظهر قهره ازاغ قلبه وحول وجهه الى الدنيا فيريد العاجلة ويرمى بها نفسه الى ان يبلغ الى دركات جهنم ومن يرد الله به ان يكون مظهر لطفه اقام قلبه وحول وجهه الى العالم العلوى فيريد الاخرة ويسعى لها سعيها

ان آت ذنبا فما عهدى بمنتقض * من النبى ولا حبلى بمنصرم

لما ذكر كون نفسه منغمسة فى اودية المعاصى والاوزار وخسارتها فى تجارتها وعدم كسبها بما ينفع فى دار القرار وفهم منه انه لم يكن له فوز ونجاة من العذاب الاليم فى يوم الحشر والميقات فوقعت نفسه فى دهشة وحيرة وكاد يقطع الرجاء من مغفرة تلك الذنوب شرع فى تسلية النفس وتأنيسها ودفع وحشتها وحيرتها ببيان ما يكون سببا لمغفرتها فقال ان آت ذنبا الخ ان حرف شرط وآت بمد الهمزة وكسر التاء نفس متكلم وحده اصله آتى من اتى يأتى فسقط الياء للجزم فمعنى ان آت ان فعلت وذنبا بالنصب مفعول آت والذنب عام يشمل كل الذنوب واحدا بعد واحد والفاء فى فما للجزاء اى فلا احزن ولا اقطع الرجاء وطلب العفو او فلا تحزنى يا نفسى ولا تتحيرى ولا تقطعى الرجاء ففى العبارة على كلا التقديرين ايجاز الحذف فيكون قوله ما عهدى علة للجزاء المحذوف كما لا يخفى وما نافية والعهد بمعنى الميثاق والمراد به التزامه التوحيد والدين والعقائد والمنتقض من نقض العهد بمعنى عدم الوفاء به ومن النبى متعلق بمنتقض ولا حبلى عطف على ما عهدى وتكرير النفى للتأكيد اى لانه لم يكن حبلى الخ والمراد من الحبل الوسائل التى بينه وبين النبى عليه السلام والاصوب ان يكون المراد من العهد والحبل ما سيأتى فى البيت الآتى وهو الوعد الذى جاء فى التسمية بمحمد ومنصرم على صيغة اسم الفاعل بمعنى المنقطع وحاصل معنى البيت ان فعلت ذنبا وكسبت سيئا فانى ارجو ستره وغفرانه لان

عهدى الذى هو الايمان ليس بمنتقض لان نقض التوبة بارتكاب المعصية لا ينقض عهد الايمان ولان حبلى اى الوعد الآتى ليس بمنقطع من جهته عليه السلام بل هو مأمول فى كل حال وزمان

فان لى ذمة منه بتسميتى * محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم

لما بين فى البيت السابق ان له عهدا وذمة مع النبى عليه السلام وكان فى مفهوم ذلك خفاء اراد دفعه وتفسيره فقال فان لى ذمة الخ الفاء للتفسير والذمة بمعنى الامان كما فى قوله عليه السلام ويسعى بذمتهم ادناهم وتطلق على العهد ايضا ومنه ظرف مستقر صفة لذمة والضمير راجع الى النبى عليه السلام وبتسميتى متعلق بالذمة والباء فيه للسببية والتسمية ان كانت مصدر المعلوم تكون اضافة المصدر الى المفعول الاول والفاعل متروك اى تسمية الله اياى لان الالقاب تنزل من السماء وتلقى على المسمى او تسمية مسمى اياى محمدا ويحتمل ان يكون النبى خاطب الناظم فى رؤياه بهذا الاسم او فى اليقظة كما وقع لبعض المشايخ الكبار فيكون التقدير بتسميته عليه السلام اياى ومحمدا بالنصب مفعول ثان للتسمية ثم اعلم ان اسم محمد اسم كريم شريف وهو اشرف اسمائه عليه السلام واخصها واعرفها وبه يناديه الله تعالى ويسميه فى الدنيا والآخرة وهو المختص بكلمة التوحيد وبه كنى آدم عليه السلام وبه كان يكتب من محمد رسول الله وبه يصلى عليه المصلون وبه صعد ملك الموت الى السماء لما قبض روحه قائلا وامحمداه وتفصيل الكلام فى كتب الانام ثم ان قوله وهو الخ جملة استئنافية والضمير له عليه السلام واوفى صيغة مبالغة للتفضيل من وفى بالعهد يفى اذا راعى مقتضاه او من وفى بمعنى تم اى اتم الخلق والخلق بمعنى الانام والمخلوقات والذمم بكسر الذال جمع ذمة وحاصل معنى البيت فان لى عهدا وميثاقا معه عليه السلام لان اسمى محمد وهو دال على محبته له والاسم لا يتغير بمخالفة المسمى وهو عليه السلام بمراعاة الذمم اوفى فيقوم بحقها بالشفاعة لاهلها فى دار العقبى وفى البيت اشارة الى ما ورد فى الحديث انه عليه السلام قال اتانى جبرائيل فقال يا محمد ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك وعزتى وجلالى لا اعذب من يسمى باسمك بالنار والى ما ورد فى حديث آخر استحيى ان اعذب بالنار من اسمه اسم حبيبى وروى القاضى عياض فى الشفاء ان الله تعالى وملائكته يستغفرون لمن اسمه محمد واحمد ولهذا كان اكثر اسامى العلماء الكرام محمدا

ان لم يكن فى معادى آخذا بيدى * فضلا والا فقل يا زلة القدم

ثم اراد بيان كونه محتاجا غاية الاحتياج لشفاعة صاحب الآيات والمعراج وكونه مقطوع الرجاء من سائر العباد ان لم يكن رسول الله له شافعا فى المعاد فقال ان لم يكن الخ ان لم يكن جملة شرطية والضمير له عليه السلام وفى جواب هذا الشرط وجهان احدهما ان يكون قوله الآتى فقل والثانى ان يكون محذوفا اى فقل يا شدة البال ويا بؤس الحال * والمعاد مصدر او مكان او زمان والمراد به حالة الموت وما بعده

والاخذ باليد عبارة عن النصر والامداد والمعاونة ودفع البلايا وفضلا بالنصب على انه تميز من نسبة آخذ الى فاعله وايراد الفضل اشارة الى انه لم يكن له حق عليه عليه السلام بل لو شفع يشفع تفضلا واحسانا وقوله والافيه خلاف بين القوم فقال بعضهم اصله وان لا ادغمت نون ان فى لام لا لجزآء هذا الشرط محذوف ان كان قوله فقل جوابا لقوله ان لم يكن اوفقل ان كان جواب ان لم يكن محذوفا وجملة هذا الشرط والجزآء تكون تأكيدا لجملة ان لم يكن فتدبر وقال بعضهم الا بالتنوين وكسر الهمزة بمعنى العهد قال تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وهو الاصوب وقوله فقل خطاب لمن جرده من نفسه وبازلة القدم اى احضرى فهذا اوانك وزلة القدم عبارة عن الوقوع فى المهالك ويمكن حملها على زلق القدم عن الصراط بالوقوع فى النار وحاصل المعنى انى محتاج الى جنابه الكريم فى النجاة من المهالك والعذاب الاليم حتى لو لم يكن معينالى فضلا اى احسانا زآئدا على الوعد وعهدا وهو الوفاء بالذمة والعهد فقل انت فقل انت نفسك بالخطاب والعتاب بازلة القدم ويا سيء الحال وشتيت البال وشديد المآل

حاشاه ان يحرم الراجى مكارمه * او يرجع الجار منه غير محترم

لما كاد أن يتوهم من البيت السابق كون رجاء الراجى وسؤال المناجى غير مقبول عند بابه عليه السلام اراد دفعه فقال حاشاه اى انزهه وابرئه وضمير المفعول له عليه السلام ويحرم من حرم يحرم كضرب يضرب اومن احرمه بمعنى منعه يتعدى الى مفعولين وهو على صيغة المعلوم او المجهول وسكون ياء الراجى لضرورة الشعر والراجى بمعنى السائل ومكارمه بالنصب مفعول الراجى والمراد بمكارمه هنا الالطاف والخيرات من جهته عليه السلام ويرجع بالنصب معطوف على يحرم ورجع يجيء لازما ومتعديا وههنا لازم اى يعود او متعد فالجار امامنصوب اومرفوع والجار بمعنى القريب وقد يطلق الجار على المستجير الداخل فى الجوار وضمير منه راجع اليه عليه السلام وغير محترم حال من فاعل يرجع وحاصل معنى البيت انه عليه السلام منزه عن ان يحرم راجيه وسائله من الاكرام او يرد المستجير منه بغير احترام فانه معدن الكرامات * ومنبع الاحترامات * بل جميع اهل الدنيا مستغيث بذاته عليه السلام

ومنذ الزمت افكارى مدآئحه * وجدته لخلاصى خير ملتزم

لما نزه رسول الله عن رده رجاء الراجى وسؤال المناجى اراد بيان حكم منه مما وقع له فى الدنيا من قبول رجائه عند بابه فقال ومنذ الزمت الخ العامل فى منذ قوله وجدت او كلمة منذ مبتدأ وهو بمعنى اول المدة التى الزمت افكارى الخ والزمت من الزمته الشيء فالتزمه اى جعلته كفيلا للشيء فتكفل به والافكار جمع فكر وهو استعمال القوة العاقلة لاستحضار ماليس بحاضر والمراد به هنا عدم الافتراق من رضاه وذكره ومحبته فى آن ومدآئحه بالنصب مفعول الزمت وهو جمع مديح والمراد به مكارمه

الحسنة

الحسنة والاخلاق المستحسنة ولخلاصى متعلق بقوله ملتزم المؤخر والخلاص بمعنى الفوز والنجاة من المصائب والبليات والمراد من بليات الدنيا كالسقم فى الجسم وغيره وخير ملتزم بالنصب مفعول ثان لوجدت وملتزم على صيغة اسم الفاعل بمعنى خير كل ملتزم لوعده واحدا واحدا وحاصل معنى البيت انى من اول المدة التى اوجبت على افكارى مدآئحه باخلاص النية وصفاء الطوية وجدته وعلمته قد تكفل لى وقام بتخليتى من كل شدة وبلية وهذا ناشئ عن مكارمه الحسنة واخلاقه المستحسنة

ولن يفوت الغنى منه يدا تربت * ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم

ولما توهم من البيت السابق كونه اهلا للعطا ومستحقا للفضل والندى شرع فى هضم نفسه وبيان كثرة شفقته وعطيته حتى اصاب من لم يكن له استحقاق اصلا فقال ولن يفوت الغنى الخ ويفوت من الفوت والغنى بالكسر مع القصر بمعنى اليسار والمراد منه شفاعته عليه السلام ومنه ظرف مستقر صفة للغنى او حال منه والضمير له عليه السلام ويدا اى عن يد وتربت بمعنى افتقرت واريد باليد ايدى المحتاجين والنكرة فى سياق النفى تفيد العموم وقيل يجوز ان يراد من الغنى المال ويؤيده نسخة الندى وقوله ان الحيا استئناف وتنظير للحكم المتقدم والحيا بالقصر المطر واما بالمد فمعناه الاستحياء قال المصنف حدثنى بعض من تشرفت بملاقاته وتفاخرت باستماع مقالاته من اكابر السادات بمكة ان بعض صلحاء مكة رأى رسول الله عليه السلام فى المنام وسأل منه عليه السلام فقال انت قلت يا رسول الله الحيا من الايمان بالقصر فقال رسول الله لا فاستيقظ وتعجب من ذلك وحكى هذه الواقعة عند علماء مكة فتعجبوا من ذلك لانهم تيقنوا بالرواية الصحيحة وعلموا ان الرواة ثقات امناء اذ هو مذكور فى البخارى وغيره فامروه بتكرر التوجه الى الحضرة العلية له عليه السلام فى الليلة الثانية ففعل فرأى تلك الحضرة على الطريق المذكور ثم حكى ذلك عندهم فامروه ثانيا بتكرير التوجه الى ان بلغ ثلاث ليال وكان الامر كماذكر فاجتمعوا وكتبوا هذه الواقعة فى صحيفة فارسلوا بها الى سلطان مصر وعلمائها وكان ذلك فى زمن ابن حجر من المحدثين فلما سمع ابن حجر ذلك تعجب وقال للسلطان مروه ليجيء الينا فنراه ونسمع من لسانه فارسل السلطان اليه مبلغا من النقود لترتيب اسباب السفر وطلبه فابى عن تلك النقود وذهب اليه بماله فلما وصل استقبله العلماء والكبرآء فلما رأوه سألوه عن ذلك فحكى عندهم كما مر فتعجبوا من ذلك فرفعوا القضية الى الامام برهان الدين المحدث بالشأم فقال اريد ان ارى هذا الرجل واسمع ذلك من لسانه فذهبوا به اليه فحكى عنده كما مر فتنبه برهان الدين لما سبق من الفرق بين الممدود والمقصور فقال لقد صدق رسول الله فان الحيا بالقصر المطر والحديث ممدود لكن توجه هذه الليلة واسأل الحضرة ففعل فرأى رسول الله فاستكشف منه فقال الامر كذلك بارك الله فيك وفى معلمك برهان الدين انتهى

ثم ان اسناد ينبت الى الحيا مجاز من قبيل الاسناد الى سببه والازهار بالنصب مفعول ينبت وهو جمع زهر والاكم بفتحتين جمع اكمة بمعنى رأس الجبل الذى لا يستقر فيه الماء والمقصود تشبيه جوده بالجود فى عموم النفع وقطع النظر عن ان يستأهل العطاء محله وفيه اشارة الى انه رحمة للعالمين وسبب للغنى الظاهرى والباطنى للعلماء العاملين

ولم ارد زهرة الدنيا التى قطفت * يدا زهير بما اثنى على هرم

لما كان البيت السابق موهما انه اراد النفع الدنيوى دون الحظ الاخروى دفع الوهم والخيال فقال ولم ارد زهرة الدنيا الخ اى ما رجوت وما طلبت وزهرة بالنصب مفعول لم ارد وزهرة الدنيا عبارة عن زينتها ومتاعها او بهجتها ونضارتها وفى التعبير بالزهرة اشارة الى سرعة زوالها كالزهر والى كونها غرارة تفتن الناس بحسنها وطمعها وفى بعض النسخ هذه الدنيا وهذه للتحقير كما فى قوله تعالى أهذا الذى يذكر آلهتكم والتى صفة للزهرة لا للدنيا وقطفت من قطف الثمرة واقتطفها جناها وكلاهما رواية فى البيت ويدا زهير فاعل قطفت اصله يدان وزهير اسم شاعر من فحول الشعراء وهو زهير بن ابى سلمى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقدم عليه احدا ويقول اشعر الناس زهير وولده كعب صحابى صاحب بانت سعاد وفى الوشاح لابن دريد ان كنية زهير ابو بجير وذكر غيره انه مات قبل المبعث واخرج ثعلب عن ابن عباس بسنده قال قال لى عمر انشدنى اشعر شعرائكم قلت من هو يا امير المؤمنين قال زهير وعن ابن الاعرابى قال كان لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره كان ابوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر واخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعران واخته الخنساء شاعرة وكان معاوية يقول كان اشعر اهل الجاهلية زهير بن ابى سلمى وكان اشعر اهل الاسلام ابنه كعب والباء فى بما اثنى للسببية او للبدلية وما اما موصولة اى الذى اثنى به او مصدرية اى باثنائه وهرم بفتح الهاء وكسر الراء هو هرم بن سنان من اجود ملوك العرب ولزهير فيه مدائح كثيرة ومن جملتها قصيدة انشاها فى مدحه اولها

غشيت ديارا بالبقيع فثهمد * دوارس قد اقوين من ام معبد
الى هرم تهجيرها ووسيجها * تروح من الليل التمام وتغتدى
تقى نقى لم يكثر غنيمة * بنكبة ذى قربى ولا بحقلد

ووصل من الملك المذكور لزهير عطيات وخلع كثيرة خارجة عن التعداد وحاصل معنى البيت ظاهر

يا اكرم الخلق ما لى من الوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

فلما ذكر نعوت ذاته وكمالات صفاته انتقل من حال الغيبة الى مقام الحضور فناداه فى الرجاء بالخطاب لان السؤال بالخطاب ادعى الى الاجابة من الغيبة فقال يا اكرم الخلق الخ وتفصيل الكلام فى اكرميته عليه السلام قد سبق فتذكر والالف واللام

فى الخلق

فى الخلق للجنس او للاستغراق والخلق بمعنى المخلوق وفى بعض النسخ يا اكرم الرسل ويلزم منه كونه عليه السلام افضل الخلق بطريق الدلالة وما نافية بمعنى ليس والوذ بمعنى التجئ واعوذ وبه متعلق بالوذ والضمير له عليه السلام اى للشفاعة الى الله وسواك منصوب على الظرفية وعند متعلق بالوذ والعمم بفتحتين وبكسر الميم الاولى وكلاهما مروى وهو من عم بمعنى شمل واحاط والمراد من الحادث الشامل لجميع الخلق اما الموت وهى القيامة الصغرى واما الساعة وهى القيامة الكبرى والمراد من حلوله ونزوله مجيء وقته

ولن يضيق رسول الله جاهك بى * اذ الكريم تحلى باسم منتقم

ثم كرر الرجاء بطريق النداء الى رسول الله الكريم حرصا فى السؤال وطلبا للنوال فقال ولن يضيق الخ الواو حالية ورسول الله منصوب على انه منادى محذوف حرف ندائه والجاه بمعنى الوجاهة وهى رفعة المنزلة وسعة المرتبة وبى اى بشفاعتى واعتنائك بى واذ بمعنى اذا للظرفية وتحلى اما بالحاء المهملة بمعنى اتصف او بالمعجمة بمعنى انكشف باسم منتقم اى بصفة منتقم ثم اعلم انه ذكر الله اولا باسمه الكريم وخصه بالذكر مع انه من صفات الجمال ثم ذكر اسمه المنتقم فى مقام الانتقام مع انه من صفات الجلال ليحصل الاعتدال ولا تنقطع قلوب الرجال وهذا مزج لطيف ومعجون شريف فان قلت انه يستفاد من قوله اذ الكريم الخ انه تعالى يتصف بصفة الانتقام فيما سيأتى لا فى الازل مع انه تعالى متصف بها ازلا وابدا قلت مراده منه اذا الكريم ظهر كمال اثر اتصافه بالاسم المنتقم كما لا يخفى

فان من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم

لما كان فى مضمون البيت الاول خفاء اراد تفسيره وبيانه وتعليله فقال فان من جودك الخ الجود افاضة ما ينبغى لا لعوض ولا لغرض والدنيا بالنصب تقديرا اسم ان وضرة الدنيا هى الآخرة وانما سماها ضرة لان الجمع بينهما متعذر الا ان يوفق الله تعالى كتعسر الجمع بين المرأتين كما قال عليه السلام من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته الحديث ومن لطائف ما قيل

عتبت على الدنيا لتأخير عالم * وتقديم ذى جهل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل اولادى لذا الذ رفعتهم * واهل النهى اولاد ضرتى الاخرى

قيل كون الكونين من جوده لانه واسطة فى فيضان الوجود على الماهيات وسيلان الجود على الموجودات فكأن الكونين من جوده او يكون مجازا اى حصول خيرهما من جودك وبركة شفاعتك وفى هذا المصراع تلميح الى حديث لولاك لولاك الحديث وقوله ومن علومك عطف على من جودك والعلوم جمع علم وهو اما بمعناه او بمعنى المعلوم اى من معلوماتك علم اللوح والقلم اى المعلومات الحاصلة منهما وعلم اللوح بالنصب معطوف على الدنيا واللوح هو الكتاب المبين ولا يقبل العقل ما فيه من العظمة واللطافة وما فيه من الحروف والكتابة قبل اللوح اربعة

لوح القضاء السابق عن المحو والاثبات وهو لوح العقل الاول ولوح القدر اى لوح النفس الناطقة الكلية التى يفصل فيه كليات اللوح الاول ويتعلق باثباتها وهو المسمى باللوح المحفوظ ولوح النفس الجزئية السماوية التى ينقش فيه كل ما فى هذا العالم بشكله ومقداره وهو المسمى بسماء الدنيا ولوح الهيولى القابلة للصور فى عالم الشهادة والقلم وهو الذى خلق مقدما على جميع الاشياء وقد جعل الله له ثلاثمائة وستين سنا كل سن يعرب عن ثلاثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها فى اللوح قال محيى الدين بن عربى اعلم ان الله تعالى لما تجلى للقلم اشتق منه موجودا آخر سماه اللوح وامر القلم ان يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة انتهى قال الشعرانى فى كتاب اليواقيت والجواهر فان قلت فهل اطلع احد من الاولياء على عدد الحوادث التى كتبها القلم على اللوح الى يوم القيامة فالجواب قال الشيخ فى الباب الثامن والستين بعد المائة من الفتوحات المكية نعم انا من اطلعه الله على ذلك وقال الشيخ اطلعنى الله على عدد امهات علوم ام الكتاب وهو مائة الف نوع وتسعة وعشرون الف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوى على علوم انتهى ثم اعلم انه قيل ان العلم مصدر مضاف الى فاعله اى علم اللوح والقلم بالاشياء فاحتاج الى القول بان لهما ادراكا وشعورا وقيل انه مضاف الى المفعول اى علم الناس باللوح والقلم وقيل ان الله اطلعه عليه السلام على ما كتب القلم فى اللوح المحفوظ وزاده ايضا لان اللوح والقلم متناهيان فما فيهما متناه ويجوز احاطة المتناهى بالمتناهى وقال شيخ زاده هذا على قدر فهمك واما من اكتحلت عين بصيرته بالنور الالهى فيشاهد بالذوق ان علوم اللوح والقلم جزء من علومه كما هى جزء من علم الله تعالى وحاصل المعنى انه عليه السلام هو الواسطة فى افاضة المنح الظاهريات والباطنيات من المبدأ الاول فى الكائنات العلويات والسفليات واذا كان كذلك فلن يضيق جاهه بعنايته وكفايته ولا يعزب عن علمه حال ضراعته فلا يقصر جوده عن شفاعته

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت ❊ ان الكبائر فى الغفران كاللمم

لما فرغ من الرجاء للشفاعة منه عليه السلام شرع فى تأنيس النفس مخاطبا لها استبعادا عن مظان الزلفى ناهيا اياها عن القنوط فقال يا نفس الخ روى نفس بضم السين على انه منادى مفرد معرفة وبكسرها على انه منادى مضاف الى ياء المتكلم وتخصيص النفس بالخطاب اشعار بان القنوط انما ينشأ من النفس ولا تقنطى من القنوط وهو اعظم اليأس وفى المفردات القنوط اليأس من الخير وبالفارسية نوميد شدن از خير واعلم ان القنوط من رحمة الله علامة زوال الفطرة الاسلامية بانقطاع الوصلة بين الحق والعبد اذ لو بقى فى شئ من نوره الاصلى لارى الاثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه فرجاء وصول ذلك الاثر اليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية والزلة الذنب اعم من ان يكون كبيرة او صغيرة لا الزلة التى جاءت فى حق الانبياء وعظمت بمعنى كبرت وجلت وان الكبائر علة للنهى والكبائر جمع كبيرة وهى ما يوعد

الشارع عليه بخصوصه والذنب ما يذم الآتى به شرعا وقد اختلفت الروايات فى المعصية الكبيرة روى عن ابن عمر انها تسع الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وقذف المحصنة والزنى والفرار من الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد فى الحرم وقيل كل معصية اصر عليها العبد فهى كبيرة وكل ما استغفر منها فهى صغيرة وتفصيل الكلام فى رسالة مستقلة لابن نجيم فى عد الذنوب وفى الغفران متعلق بالكاف فى قوله كاللمم واللمم بمعنى صغار الذنوب وحاصل المعنى يا ايتها النفس لا تيأسى من رحمة الله ومغفرته يأسا ناشئا من المعاصى التى كبرت وعظمت باصرارك لان الكبائر من المعاصى كصغار الذنوب فى جنب غفران غفار الذنوب وقد وعد الله تعالى على طريق التأكيد والتشديد فى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا الآية بغفران الذنوب وان كثرت وكانت بعدد الرمال والاوراق والنجوم سواء كانت صغائر او كبائر ونحوها قيل لما نزل قوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم انشد عليه السلام بهذا

ان تغفر اللهم فاغفر جما ❊ فاى عبد لك لا الما

لعل رحمة ربى حين يقسمها ❊ تأتى على حسب العصيان فى القسم

لما علل نهى النفس عن القنوط بقوله ان الكبائر الخ اورد عليه علة اخرى لكونه مما يعتنى بشأنه فقال لعل رحمة ربى الخ لعل للترجى وانما جاء به لان الاصلح لا يجب على الله تعالى وهو فاعل مختار ولا يتجاوز فعله عن الفضل والعدل ورحمة منصوب على انه اسم لعل وحين ظرف لتأتى المؤخر يقسمها اى يفرقها على حسب صلة لتأتى والحسب بمعنى القدر والعصيان شامل للذنوب كلها صغيرها وكبيرها وفى ظرف لحسب والقسم بكسر القاف وفتح السين جمع قسمة بمعنى نصيب وحاصل المعنى يا نفسى الامارة المكارة لا تقنطى من رحمة الله ومغفرته لان الكبائر كالصغائر بالنسبة الى مغفرته تعالى لانى ارجو واظن ان تأتى رحمة ربى وغفرانه حين يقسمها ربى على مقدار العصيان وفى البيت اشارة الى ما روى عن ابى هريرة انه قال سمعت رسول الله يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وانزل فى الارض جزأ واحدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها لولدها يمص من لبنها فهذا يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين لانه حصل من رحمة واحدة ما حصل من النعم الظاهرة والباطنة فما ظنك بمائة رحمة فى الدار الآخرة والى ما ورد فى الخبر ايضا يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه واخبؤا كبارها فيقال فعلت كذا يوم كذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لى ذنوبا ما علمتموها ههنا قال الراوى فلقد رأيت رسول الله يضحك حتى بدت نواجذه وهذا يدل على سعة الرجاء

يا رب واجعل رجائى غير منعكس ❊ لديك واجعل حسابى غير منخرم

لما ذكر الله تعالى فى البيت السابق بطريق الغيبة انتقل منه الى الخطاب اذ الرجاء بالخطاب ادعى الى الاجابة فقال يارب الخ كلمة يا موضوعة لنداء البعيد وقد ينادى القريب بما ينادى البعيد لحرص المنادى على اقبال المدعو عليه لما يدعوه له اوجعله نفسه فى عداد من لا يستأهل القرب لحقارة المنادى ولعظمة المنادى ورب محذوف الياء اكتفاء بالكسرة والرب بمعنى المالك والصاحب والمبلغ الى الكمال شيأ فشيأ واجعل وقع فى بعض النسخ فاجعل بالفاء والرجاء بمعنى الامل فالرجاء اما بمعنى اسم المفعول اواسم مصدر ومرجوه النجاة والسعادة وغير منعكس بالنصب مفعول اجعل وهو بمعنى غير مردود اذ انعكاس الرجاء بالخيبة وانعكاس المرجو بالهلاك والشقاء ولدى بمعنى عند والحساب يطلق على ثلاثة معان العد والترقب والظن وكله جائز هنا فالمعنى على الاول واجعل عدى نعمك المتوالية وعلى الثانى واجعل ترقبى وانتظارى مزيد انعامك وعلى الثالث حسن ظنى بك وقد قلت انا عند ظن عبدى بى وغير منخرم بمعنى غير منقطع من خرمه قطعه

والطف بعبدك فى الدارين ان له * صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم

ثم اتم دعاءه من الله العلام برجاء لطفه العام الشامل فقال والطف الخ اللطف هو الاحسان الخفى اوالذى ليس له سبب جلى قيل من لطفه تعالى بالعبد ابهام عاقبته عليه لانه لوعلم سعادته لقل عمله واستند اليه ولوعلم شقاوته لايس وترك التذلل لديه وقيل من لطفه اخفاء اجله عليه ثم انه وضع المظهر موضع المضمر فى قوله بعبدك مكان بى للاستعطاف كما فى قوله الهى عبدك العاصى اتاكا * وان له استئناف وتعليل لطلب اللطف وفى الدارين متعلق بالطف والمراد بهما الدنيا والآخرة وصبرا بالنصب على انه اسم ان وله خبره وكلمة متى من الظروف الزمانية المتضمنة للشرط الجازمة للفعل وتدعه فيه روايات ثلاث بالدال بمعنى تطلبه وبالراء بمعنى تخوفه وفى اخرى تلقه من الملاقاة والاهوال جمع هول وهو الشدة والفزع وينهزم مجزوم على الجزائية والجملة الشرطية مع الجزاء صفة صبرا وحاصل المعنى يا لطيف الطف واحسن بعبدك الضعيف المعترف بالمعاصى وسلمه فى الدنيا والآخرة من الشدائد والافزاع لان لعبدك صبرا كائنا متى طلبته الاهوال اولاقته اوخوفته يفر صبره منه لكمال ضعفه

وائذن لسحب صلاة منك دائمة * على النبى بمنهل ومنسجم

لما علم انه لا ملجا اقوى ولا منجى اوثق من ملازمته عليه السلام ومتابعته فى كل الاوقات والايام قال وائذن الخ الواو عاطفة وهذه الجملة معطوفة على اجعل اوالطف وائذن بمعنى اعط الاجازة والسحب جمع سحاب والمراد من الصلاة مزيد الشرف والكرامة ومنك صفة صلاة ودائمة صفة بعد صفة له وعلى النبى متعلق بصلاة اودائمة اوبمقدر والمراد من النبى محمد عليه السلام وبمنهل متعلق بائذن اى بافاضة مطر منصب سائلا بلا انقطاع من انهلت السماء اى صبت وانهل المطر سال ومنسجم من سجم الدمع وانسجم بمعنى سال ولله در الناظم الفاهم حيث اتى بالصلاة على سيد الكرام بابلغ الوجوه

واحسن الاكرام حيث جمع فى بيت ذكر الصلاة ودوامها ونزولها ومبدأ النزول ومنتهاه وكثرتها فى ضمن الانصباب وعمومها فى طى السيلان ومحلها وتشبيهها بالامطار واثبات السحاب قيل فى لفظ ائذن ايذان بان سحب الصلاة حاضرة واقفة موقوفة على اذنه تعالى والاذن متحقق فانه تعالى ومعه الملائكة يصلون عليه

والآل والصحب ثم التابعين لهم * اهل التقى والنقى والحلم والكرم

لما كان تقرب العبد الى الله تعالى كما يتوقف على التوسل بحضرة النبى عليه السلام كذلك يتوقف على التوسل بحضرات آله واصحابه الكرام عقب الصلاة عليه عليه السلام بالصلاة عليهم تحصيلا للقربة وارشادا للامة وتكميلا للملة فقال والآل الخ اصله اهل وآله عليه السلام كل من تبع دينه وقيل كل تقى نقى وفيه تفصيل لكن المراد به ههنا اهل بيته والصحب تخفيف صاحب اوجمع له عند من يذهب الى جعل ركب جمع راكب وايراد كلمة ثم تنبيه على تأخر رتبهم عن رتبة الآل والاصحاب اوايراده لمجرد الوزن كما فى قوله * وعجمة ثم جمع ثم تركيب * ولهم متعلق بالتابعين والضمير للاصحاب والآل واهل التقى بالجر صفة لكل واحد منهم او بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى هم والتقى بالضم التقوى واصله الوقى كالتراث والتقوى هو الاجتناب عن المحرمات وما فيه الشبهات والنقى اى الخيار والطهارة من خبث المعاصى وفى بعض النسخ النهى مكانه وهو جمع نهية وهى العقل والحلم والكرم قد سبق بيانه فى اوصافه عليه السلام تذكر وحاصل المعنى يا مفيض الخير والجود انزل وافض رحمة دائمة على نبيك المصطفى ورسولك المرتضى واهل بيته واصحابه واتباعه الذين كلهم جامعون للصفات الجميلة والخصال الحميدة كالتقوى والنقاوة والحلم والكرم وهم كاملون من جميع الجهات بشرف المصادفة لمصاحبة اشرف المخلوقات ولذا استحقوا لذلك السلام والصلاة

ما رنحت عذبات البان ريح صبا * واطرب العيس حادى العيس بالنغم

ثم عقب الصلاة بما يبين دوامها وقيامها الى يوم القيام فلذا قال ما رنحت الخ ما مصدرية بمعنى المدة وتلك مدة بقاء الدنيا ورنحت بمعنى حركت وامالت وعذبات مفعول رنحت وهو جمع عذبة بمعنى الغصن والبان نوع من الاشجار كما سبق فى مفتتح القصيدة وريح بالرفع فاعل رنحت وهو مؤنث سماعى واضافته الى الصبا من قبيل اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك والصبا ريح تهب من مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار قال فى حلبة الكميت اعلم الرياح اربع الصبا وتسمى القبول وهى تنفس عن المكروب وفى ابن خلكان ان ريح الصبا استأذنت ربها فى ان تأتى يعقوب بريح يوسف عليه السلام قبل ان يأتيه البشير بالقميص فاذن لها فأتته بذلك فلذا يسترجح كل محزون بريح الصبا وهى من ناحية المشرق واذا هبت على الابدان نعمتها ولينتها وهيجت الاشواق الى الاوطان والاحباب والجنوب وهى تجمع السحاب ومنها خلقت الخيل كما ذكره الحاكم ابو عبد الله فى تاريخ نيسابور باسناده عن على بن ابى طالب عن النبى

صلى الله عليه وسلم انه قال لما اراد الله تعالى ان يخلق الخيل اوحى الى ريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فاتى جبريل فاخذ منها قبضة ثم قال الله تعالى هذه قبضتى ثم خلق فرسا كميتا وقال خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم الحديث والشمال والدبور وهى التى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى الريح العقيم والعاصف والصرصر المذكورة فى القرءآن وكل ما فى القرءآن من لفظ الريح فالمراد به الدبور ثم ان اطرب بمعنى اوقع فى الطرب وهو بالتحريك الخفة الحاصلة للانسان من شدة السرور والعيس بالنصب مفعول اطرب والعيس جمع اعيس كالبيض جمع ابيض وهى الابل البيض او التى يخالط بياضها شئ من الصفرة وحادى العيس بالرفع فاعل اطرب والحادى بمعنى السائق للابل وراءها وتكرير العيس لقصد الاستلذاذ والنغم بفتحتين جمع نغمة وهى حسن الصوت ثم ان فى الختم بالنغم ايذانا بانه يلزم فى قرآءة هذه القصيدة من نغمة لكونها شعرا ومن المعلوم ان الشعر يقرأ بالنغم ويحسن به وحاصل معنى البيت يامفيض الخير والجود ائذن وامر للسحب بذلك مادام تحريك اغصان شجر البان بريح الصبا ومادام اعطاء طرب وسرور سائق الابل الكرآئم البيض اياها بالاصوات الحسنة قد وقع

الفراغ من تصنيفه وتأليفه بعون الملك العلام * وبشفاعة سيد الانام *
فى شهر رمضان * سنة اثنتين واربعين بعد المائتين والالف من هجرة نبى
آخر الزمان * وارجو من كل الاخوان * توجيه ما وقع فيه من الزلل
والفساد * ناشئا من الجهل والعناد * اذ هو اول ما افرغته
فى قالب الترصيف * بعون الله الملك اللطيف *
مع تشتت الحال * واشتغال البال * بالاستفادة
من الاساتيذ الكرام * والعلماء الفخام *
ومع كونى غريبا والغريب
كالاعمى ولو كان بصيرا *
ومما ورد فى بيان مشقة
السفر السفر قطعة
من السقر *

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله اجمعين
تم بحمد الله تعالى
م

قال مصحح دار الطباعه * هذب الله اخلاقه وطباعه

نحمدك اللهم على ما اتممت من نعمك * ونشكر لما اوليت من فضلك وكرمك * ونصلى ونسلم على اكمل خلقك الذى شرحت له صدره * ووضعت عنه وزره ورفعت ذكره وقدره * صلى الله وسلم عليه وعلى آله * واصحابه والناسجين على منواله * وبعد فلما ان من الله تعالى بطبع هذا الشرح الفاخر * المقدم على غيره من الشروح وان كان هو الآخر * تأليف العلامة الالمعى * والفهامة اللوذعى * مفتى مدينة خربوط * الذى به الآن افتاؤها منوط * اطال الله عمره * ونفذ نهيه وامره * وكنت فى غضون طبعه وتمثيله * وتعليل مزاج صحته وتعديله * اطالع مطالع الجمال فيه * وارتشف سلسال رضاب فيه * واجتلى من لطائف الفاظه ومعانيه مارق ودق * وانزه فى حدائق محاسنه الحدق * اذ هو روض طاب جناه * ودنا ثمره الغض لمن جناه * وبهر بهاره * وازهرت ازهاره * جذبتنى جواذب نفحات عبيره الاريج * ودعتنى الى ان امتدح حسنه البهيج * فاجبتها لذلك * وانشدت قائلا هنالك

أوجه باهى الحسن ابدى خده * ام روض ازهار ارانا ورده
ام تلك خيرات حسان اوردت * رحيق خمر ما حيلى ورده
ام ذلك الصدر الهمام الالمعى * ابان عن عقد اللآلى الفرده
شرحا على متن زها اذ زانه * فرع حلى من لانبى بعده
ففز بشرح الصدر يا صاح وطب * فرب فرد فاق جمعا وحده
كل الشروح دونه فى خجلة * حيث اراها عكسه وطرده
كأنه قد قال من قابلنى * معارضا منها سلخت جلده
شرح اذا وافاه ضيف ناظر * يرى به عصيدة وشهده
رقت حواشى حسنه طبعا وقد * ألبسه زاهى الجمال برده
والحظ نادى قائلا ان أرخوا * طبعته ابهى شروح البرده
٤٨٦ ١٨ ٥١٤ ٢٤٢
(سنة ١٢٦٠)

كيف لا وقد قرظه افاضل عصرنا * واماثل جهابذة مصرنا * حيث قال الاستاذ العلامه * والجهبذ الفهامه * ذو التآليف المفيده * والتصانيف الجيده * مولانا الشيخ ابراهيم الباجورى * المحرز لقصبات السباق اذا جورى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى شرح قلوب اهل العلم لافادة الاحكام * وجعلهم نجوم الهدى وشموس الاقتدا بين الانام * واثبت لهم التمييز ورفع المقام * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى تشرفت بمدحه البردة والقصائد * وعلى آله واصحابه وعترته السادة الاماجد * وبعد فقد نزهت طرفى فى هذا الشرح الذى شرح القلوب بيانه * وسطع فى سماء التحقيق برهانه * فرأيت اسرار البلاغة فيه فاشيه * وابكار الفصاحة فى خدور

السطور ناشيه * والبردة به اكتست رقة الحاشيه * فياله من شرح لطيف قد طرز
البرده * واضحى بين الشروح عمده * واحتوى على كثير من الآداب *
واتى بالعجب العجاب * بحسن سبكه تقر العيون * وفى ذلك فليتنافس المتنافسون
فلله در مؤلفه لقد حقق لنا قول القائل الماهر * كم ترك الاول للآخر * كيف وهو
زبدة افاضل السادة العلما * وثمرة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السما * انسان
عين اعيان الروم * رب المنطوق والمفهوم * حضرة السيد عمر افندى الحنفى
مفتى مدينة خربوت المحميه * لا زال مبلغ الأمنيه * ولا برح رافلا فى اثواب المحاسن
واردا من المعارف شرابا غير آسن * وجزاه الله خيرا عن هذا المرام * واحسن لى وله
الختام

وقال الامام الاكمل * والهمام الامثل * مولانا الشيخ ابراهيم السقا * الذى هو اجل
من عنه يتلقى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لك الحمد اوجدت العلماء فى الاعصار والامصار * وجددت بهم الدين * ولك الشكر
اودعت فى قلوبهم من الاسرار والانوار * ما اوزعت به نفوسهم تمام التبيين * مننت عليهم
بمنة توريث الانبياء فى العلم والعمل * واحسنت اليهم بنعمة مدح مصطفاك ومختارك
فى الابد والازل * ومنك سلسل الصلوات * ومسلسل التسليمات * على عين العناية
والنعمه * ونفس الحماية والرحمه * وعلى آله الاشراف * واصحابه اهل الانصاف * اما بعد
فقد حظيت برؤيه هذا الشرح البديع الفائق * المورد الصفى الهنى الرائق * الذى
خدم به اوحد العلماء الاعلام * ومفرد العظماء الفخام * الانسان الكامل * الجهبذ
الفاضل * ذو النسب الرفيع السامى * وصاحب الادب البديع النامى * قاموس
البلاغة والفصاحه ونبراس الافهام * السيد عمر افندى مفتى مدينة خربوت ومفيد
الحكام صحيح الاحكام * بردة المديح للحضرة النبويه * الممدوحة بالمدائح العلية
من رب البريه * فوجدته بحرا احتوى على الدرر * وروضا استوى منه الثمر * وحوى
من فنون الافنان الغرر * انتجت قياساته الصحيحة وابتهجت اشكاله * فزال عن
مشروحه بما تضمنه غموضه واشكاله * يحق ان يقال فيه هو البحر لكنه زاخر *
هو الروض لكنه زاهر * فنزه الطرف بافنانه * فنونه ما لها آخر * فجزى الله مؤلفه
خير جزاء واثابه * وبلغه بجاه الممدوح بالمشروح آرابه * واحسن لى وله ولا خواننا
العواقب * واقامنا معه وادامنا على احسن واقوم الطرق والمذاهب امين

وقال العمدة الفاضل * الجامع بين الفضائل والفواضل * مولانا الشيخ محمد الابراشى
الجدير بتحقيق الشروح والحواشى *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد منك اليك يا من جعلت العلماء مصابيح يهتدى بهم فى حلك الظلام * وخصصتهم
بخصيصة الخشية حتى انتشر فضلهم وظهر للخاص والعام * والصلاة والسلام على

سيدنا محمد مجد الاوائل والاواخر * وعلى آله واصحابه اولى المآثر والمفاخر * اما بعد
فلما نظرت الى محاسن روض ما تضمنته هذه الطروس من ازاهر المعانى * وما اودعه
كنز هذه الصحائف من الدر المباهى به المعانى * قلت أهذه روضة تمايلت اغصانها *
وتدلت افنانها * وعبقت ازهارها * وطابت ثمارها وتدفقت انهارها * ام حلة بهر الناظر
رونقها * وادهش الالباب تأنقها * ام بردة اجيد طرازها * ام آيات اخرس البلغاء
اعجازها * ام عقود تلألأت فرائدها * وانتظمت قلائدها * بل هى درر تنافست
التيجان فى نفائسها فما طالت * وتطاولت الاكاليل ان تحسن بها فما نالت * لم لا وهى جمع
من فضله بين البريه معلوم * ومن حسدت العرب العرباء عليه الروم * خرجت كلماته
من قلب سليم * واخلاص فى حب صاحب الشفاعة من صميم * فما كل من جمع الف *
ولا كل من اكثر النقل والعزو صنف * انما تلك مواهب بها المولى * لمن شاء اولى *
وكل يدعى وصلا بليلى * فدونك شرحا صار لبردة المديح كالطراز المعلم * وابان ببلاغته
وحسن انسجامه انه خير شرح عليها تكلم وترجم * فمن تأمله كذب قول القائل *
ما ترك الاوائل كلمة لقائل * هذا وانى وان مددت ذراعى * واجلت فى ميدان مديحه
براعى * وقطعت فى ذلك ليلى ونهارى * وشمرت عن الساق ازارى * فما انا فى كمال محاسنه
الا ذو قصور * اذ لا تساوى الحجر الارضية القصور * كيف لا ومؤلفه حائز لشرفى
العلم والنسب * مفخر العجم والعرب * الهمام العلامه الا انه شيخ الاسلام * والعمدة
الفهامه الا انه ملك العلماء الاعلام * الحسيب النسيب * الآخذ من كل فن اوفر
نصيب * المتوكل على المعيد المبدى * سيدى السيد عمر افندى * مفتى مدينة
خربوت المحميه * صانه الله وحفظه من كل رزيه وبليه * ابقاه الله راقيا ذرى المعالى
رافلا فى حلل الحبور على ممر الليالى * ما ترنم بمدح سيد الكائنات مادح * وتليت
قصيدة البردة بين المدائح وعبق مسك الختام باريجه الفائح
هذا وقد كان تمام طبعه بدار الطباعة الباهره * الكائنة ببولاق مصر القاهره *
ملحوظا بنظر ناظرها الراجى فضل ربه الواهب * اعنى به حضرة حسين افندى الملقب
براتب * ومشمولا بتصحيح رئيس مصححيها المعدين * الفقير محمد بن اسماعيل شهاب
الدين * على ذمة الجناب السنى الهمم * الجميل الاخلاق والشيم * حضرة الحاج
محمد كامل افندى ابن المرحوم عبدى افندى الادرنوى رئيس العرضحالجيه والصحافين
بمصر المحروسه * صرف الله عنهما مكايد الدهر وبؤوسه * غفر الله ذنوبه وستر
فى الدارين عيوبه * ورحم والديه واحسن اليهما واليه * وذلك لغاية
شهر ربيع الاول * سنة ستين ومائتين بعد الالف من هجرة
النبى الاكمل * صلى الله وسلم عليه
وعلى آله وصحبه * وذريته
وعترته وحزبه
ما طلعت بدور التمام وازدهت * والى غاية كمالها انتهت

